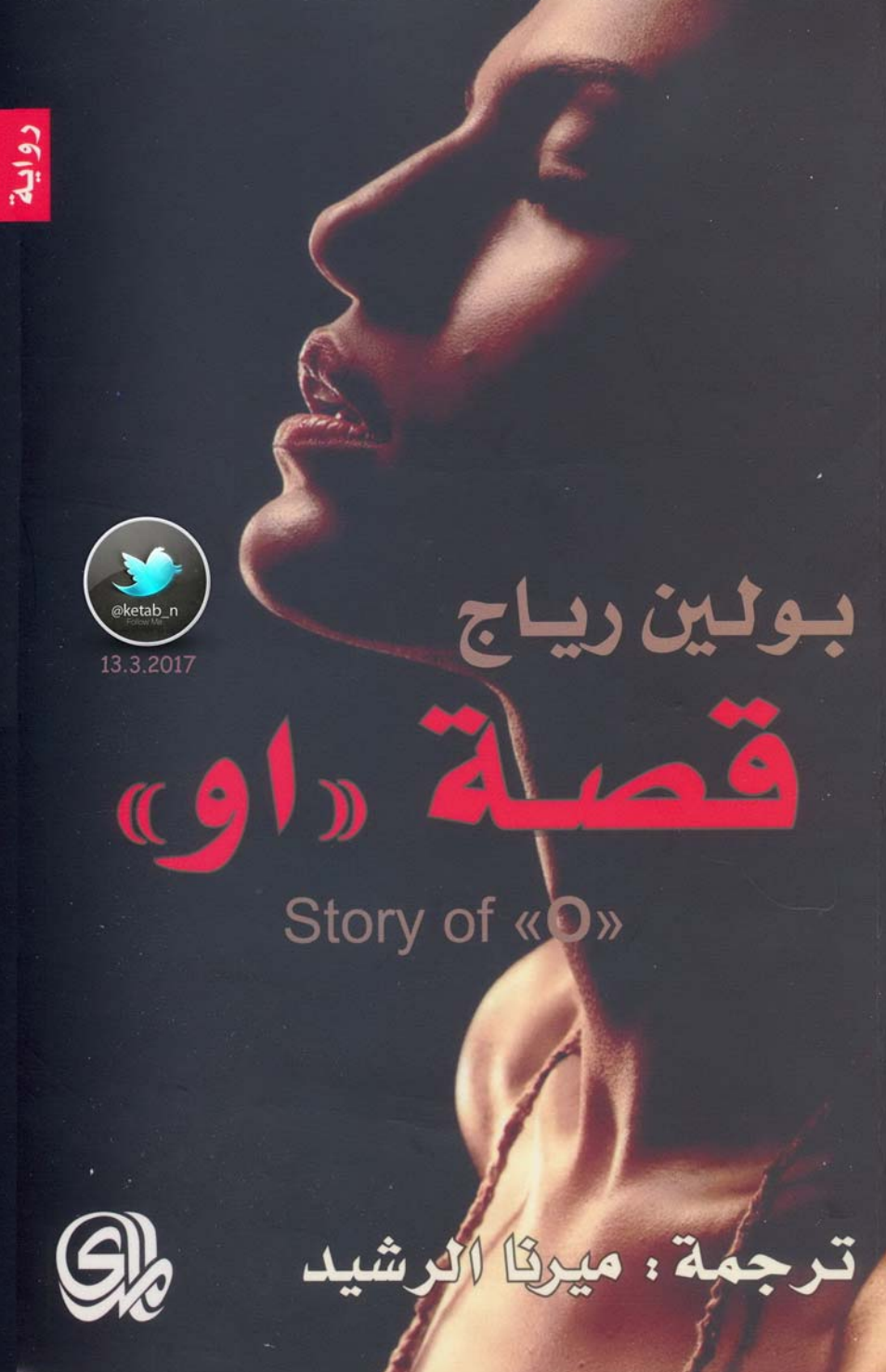

رواية

قصة «او»

Story of «O»

بولين رياج

ترجمة: ميرنا الرشيد

@ketab_n
Follow Me
13.3.2017

بولين رياج

قصة «او»

ترجمة: ميرنا الرشيد

Twitter: @ketab_n

قصة «او»

Twitter: @ketab_n

روايـــة

اسم المؤلف: بولين رياج

Author: **Pauline Reage**

عنوان الكتاب: **قصة «او»**

Title: **Story of O**

ترجمة: **ميرنا الرشيد**

Translator: **Myrna Al rasheed**

تصميم الغلاف: **ماجد الماجدي**

cover designed by: **Majed Al-Majedy**

الناشر: **دار المدى**

P.C.: **Al–Mada**

الطبعة الأولى: 2017

First Edition: **2017**

جميع الحقوق محفوظة لدار المدى

Copyright © **Al–Mada**

للإعلام والثقافة والفنون

Al-mada for media, culture and arts

بغداد: حي ابو نؤاس - محلة 102 - شارع 13 - بناية 141

Iraq/ Baghdad- Abu Nawas-neigh. 102 - 13 Street - Building 141

www.almada-group.com email: info@almada-group.com

+964 (0) 770 2799 999
+964 (0) 770 8080 800
+964 (0) 790 1919 290

بيروت: الحمرا- شارع ليون- بناية منصور- الطابق الأول

dar@almada-group.com

+961 706 15017
+961 175 2616
+961 175 2617

دمشق: شارع كرجية حداد- متفرع من شارع 29 أيار

al-madahouse@net.sy

ص.ب: 8272

+963 11 232 2276
+963 11 232 2275
+963 11 232 2289

لايجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين أي مادة بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء، كانت الكترونية أو ميكانيكية، أو بالتصوير، أو بالتسجيل أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدّماً.

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced or stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means; electronic, mechanical, photocopying, recoding or otherwise, without the prior permission in writing of the publisher.

Twitter: @ketab_n

المؤلفة آن ديكلو (بولين رياج – دومينيك اوري)

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

مقدمة

ليس بمقدور العديد من الكتّاب التفاخر بكتابة روايات إباحية تحقق مبيعات هائلة، ناهيك عن كونها من الروايات الكلاسيكية الشبقية، لكن باستطاعة باولين رياج، دومينيك أوري، آن ديكلو (١٩٠٧-١٩٩٨)، التباهي بهذا الإنتاج الأدبي. **هذه الأسماء الثلاثة كانت تخص امرأة واحدة**، إلا أن الاسم الحقيقي الذي ظل مختفياً وراء هذا العمل الإبداعي، كان من بين أكثر الأسرار غموضاً في العالم الأدبي.

Twitter: @ketab_n

فبعد مرور أربعين عاماً من صدور الراوية الفرنسية (قصة او)، كُشفت الحقيقة الكاملة على الملأ. وإلى الآن ما يزال البعض يعتبرونها من أكثر الروايات الصادمة التي كُتبت. عندما نُشر الكتاب باسم كاتبته المزعومة باولين رياج، اعتبره الكثيرون اسماً مستعاراً. على الرغم من أن الرواية كانت صادمة بدلالاتها السادية المازوشية، إلا أنها حظيت بإعجاب القرّاء لقساوة أسلوبها الأدبي المتحفظ.

آن ديكلو (أو دومينيك أوري كما عُرفت في أوائل ثلاثينياتها)، كانت مهووسة بعشيقها المتزوج الكاتب والصحفي **جان بولان**. الذي اعتقلته السلطة النازية وخرج من السجن حين انتهت الحرب، التحم بولان وديكلو بعلاقة شغف فكرية خلال الاحتلال النازي لفرنسا، وأصبحا عاشقين أثناء انشغالهما بالعمل في نشاطات المقاومة. كانت أوري مفتونة بذكائه، هذا ما أكده أحد الأصدقاء بقوله: (ذكاء بولان كان جلياً، وشكل لها نوعاً من الهوس).

تتناول (قصة او) حياة مصوِّرة أزياء فرنسية تُكنى بـ «او»، حُبست في أماكن غامضة وتعرضت لشتى أنواع التعذيب والإذلال والعنف والعبودية، في سبيل إثبات إخلاصها لعشيقها رينيه. في مجريات القصة، تُعصب عيناها وتربط بالسلاسل وتجلد بالسوط وتثبت الحلقات في جسمها وتوسم بالنار.

كتبت أوري هذه الرواية إهداءً لبولان بشكل خاص، رداً على ملاحظته الارتجالية، أن ليس بمقدور امرأة أن تكتب رواية جنسية حقيقية، إلا أن السبب الملّح لذلك كان خوفها من أن تنتهي العلاقة التي تجمعهما، حيث كشفت هذا السر فيما بعد (لم أكن في ريعان صباي،

Twitter: @ketab_n

و لم أكن باهرة الجمال، وبما أن الجانب الجسدي لم يكن كافياً، لذا كان من الضروري أن أجد أسلحة أخرى، للأسف، تلك الأسلحة كانت تدور في رأسي).

كُتبت هذه الراوية كتحد لجرأة بولين، (لقد كتبتُها له وحده، إرضاءً له، ولكي أستحوذ على تفكيره)، هذا ما قالته لـ بولا ربابورت مخرجة الفيلم الوثائقي، قبل وفاتها بفترة قصيرة.

لم يكن في نية أوري أن تظهر هذه الراوية للعلن، لكن بولان أصر على ذلك، وعندما سأل متحمساً إن كان بإمكانه أن يجد ناشراً لعملها الأدبي، وافقت لكن بشرط التكتم عن اسمها الحقيقي..

تلاعبت آن ديكلو بهويتها الحقيقية قبل صدور رواية (قصة او). ففي مرحلة ما خلال الحرب، عندما كانت تعمل كصحفية ومترجمة بعد تخرجها من جامعة السوربون، تخلصت من اسمها الحقيقي. محت آن ديكلو اسمها من حياتها المهنية والشخصية كلياً. اختارت دومينيك لحياده الجنسي، واشتقت أوري من اسم أمها قبل الزواج (أوري كوست).

من كان سيشك أن دومينيك أوري هي باولين رياج؟ في منتصف العمر، كانت أوري شخصية محترمة ومحررة فاعلة، وكاتبة وعضواً مساهماً في العديد من هيئات الجوائز الأدبية البارزة. حصلت على وسام جوقة الشرف، وترجمت إلى الفرنسية أعمال العديد من الكتّاب أمثال ألغيرنون تشارلز سوينبورن، إيفلين ووه، فرجينا وولف، ت. س. إليوت، وفرنسيس سكوت فيتزجيرالد، وغيرهم. كانت المرأة الوحيدة التي اتفق على اختيارها للعمل في لجنة القراءة الموقرة لدار غاليمار.

Twitter: @ketab_n

وبعد أسابيع من صدور الرواية، نشر موريس جيروداس من (أولمبيا بريس) ترجمة انكليزية على عجل. أثارت هذه النسخة خوف أوري التي اعتبرتها مبتذلة وقالت إنها لا تليق بمستوى الكتاب، لكنها أبدت موافقتها على الترجمة التي نشرتها دار كروف عام ١٩٦٥. حينها بدأت رسائل المؤيدين والكارهين بالتدفق، الأمر الذي دفع بالشرطة الفرنسية لاستجواب موريس جيروداس والناشر الفرنسي جان جاك بفيرت، بعد فوز الرواية بجائزة دوكس ماغوتس. تسلمت أوري الجائزة بنفسها بعد أن غطت وجهها بقطعة قماش بيضاء، ودست يديها وذراعيها في قفازين طويلين أبيضين. رفض الرجلان اللذان سلماها الجائزة الكشف عن مكانها، وعلى الرغم من التحقيقات الجارية بشأنها، إلا أنه لم يتخذ أي إجراء قانوني بحقها.

لكونه مشتبه رئيسي في صياغة هذا النص، دفع بولان الثمن. فعندما رُشح لعضوية النخبة الأكاديمية الفرنسية، المكّونة من أربعين عضواً تُعرف باسم (مجمع الخالدين)، جوبه بمعارضة شرسة من خصومه، تمثلت بوضع نسخة من رواية (قصة او) على مقاعد الأعضاء المشاركين في الاحتجاج، إلا أنه أُنتخب بكل الأحوال. كما أنه أُجبر على الإدلاء بشهادته لشرطة الآداب عام ١٩٥٥. بالطبع كذب في شهادته، وأوضح أن السيدة باولين رياج زارته في مكتبه وسلمته مخطوطاً سميكاً. كان هناك بعض الحقيقة في اعترافات بولان، فيما يخص مشاعره بشأن المخطوط ولماذا كان يؤيده. كشف أنه صُدم بخشونة السياق الأدبي، وتواضعه وتحفظه. لم يتفوه بكلمة عن علاقته بكاتبة الرواية، لكنه كان صادقاً بقوله إنه وقع بين يديه كتاب مهم للغاية في المضمون والأسلوب، كتاب أُستمد من الأفكار الباطنية أكثر من اعتماده على

Twitter: @ketab_n

الشهوانية. واختتم تصريحه مؤكداً أن رياج لم ترغب في الكشف عن هويتها الحقيقية، وأنه يعتزم حماية رغبتها في الخصوصية. ثم أضاف قائلاً، مع أنني أراها بشكل منتظم، علي أن أبلغها بالبيان الذي أدليت به للتو، وفي حال غيرت رأيها سأطلب منها أن تبقى على تواصل معكم. كان لـ أوري تعاملها الخاص مع الشرطة: ففي أحد الأيام أتوا إلى منزلها لاستجوابها حول الكتاب، إلا أنها ادعت عدم معرفتها بالأمر. و لسبب غير مفهوم اختاروا عدم متابعة هذه المسألة - وهو أمر كانت ممتنة له، لكنها شعرت بذنب كبير أن شرطة الآداب ركزت جلّ اهتمامها على حبيبها وناشرها.

بعد مضي عقود، أدلت أوري باعتراف علني. كان حبيبها قد توفي عام ١٩٦٨، وكذلك توفي والداها، وشعرت حينها أنها شارفت على الفصل الأخير من حياتها، و لم يكن لديها ما تخسره آنذاك، وما من شيء يعرض سمعتها للخطر. ففي الأول من شهر آب عام ١٩٩٤، نشرت صحيفة النيويوركر مقتطفات عن كتاب الكاتب البريطاني جون دي سانت جور، الذي تناول الروايات المثيرة التي نشرتها دار (أولمبيا بريس). عندما أجرى الكاتب مقابلة مع أوري ليضمها إلى كتابه، تلقى حينها مفاجأة مزدوجة، حيث علم بشكل مؤكد أن بولين رياج، ودومينيك اوري كانا اسمين مستعارين. مع أنها طلبت منه عدم نشر اسمها الحقيقي، إلا أن السيدة المسنة أصبحت مستعدة للاعتراف في نهاية المطاف، والكشف عن اسمها الحقيقي: **آن ديكلو**.

• تحولت هذه الرواية إلى فيلم فرنسي - الماني عام ١٩٧٥ من إخراج غوست جايكن، وأدى الأدوار الأولى فيه كل من: كورين كليري في دور «او». - يودو كير في دور رينيه. - انتوني ستيل في دور ستيفن.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

- ١ -

عشاق رواسي

في يــوم من الأيـام، أتى عشيق «او» ليصطحبها للتنزه في أحــد أماكن المدينة التي لا يرتاداها على الإطلاق، وهو متنزه مونتيسوري. بعد ان تجـولا في المتنزه، جلســا جنباً إلى جنب على حافة المرج، ولاحظـا في زاويــة مــن زوايــا المتنزه، وعند نقطة تقاطع لا تمـر منها سيارات الأجرة، اقتراب سيارة تشبه التاكسي لأنها مجهزة بعداد.

- اصعدي إلى السيارة، قال لها، فصعدت «او».

إنه فصل الخريـف الآن، وها قد بـــدأ الغسق يرخي ظلالـــه في السمــاء، تأنقت «او» بملابسهـا كمــا هي عادتهــا دائمــاً، الكعب العالي، زي نسائــي من تنورة لها عدة ثنيات، وبلوزة حريرية، لكن بـدون قبعة، وقفازين طويلين يغطيان كمي السترة، وقـد وضعت في حقيبتها الجلديــة أوراقهــا الثبوتية، وعلبة تجميل صغيرة، وأحمر الشفاه. انطلقت سيارة التاكسي ببطء، لم ينطق الرجل بكلمة واحدة للسائق حتى الآن،لكنـه بدأ يرخي ستائـر النوافذ على جانبي السيـارة، وستــارة النافـذة الخلفيـة،خلعت «او» قفازيها، ظناً منها أنه يريد تقبيلها، أو أنه يريد منها أن تداعبه، لكن بدلاً من ذلك قال لها: حقيبتك

Twitter: @ketab_n

تشكل عائقاً، دعيني آخذها. أعطته الحقيبة، وضعها بعيداً عنها وأضاف قائلاً: إنك ترتدين الكثير من الملابس أيضاً، فكي جوربيك، واثنيهما إلى فوق ركبتيك، وهذه أربطة للجوارب.

انطلقت سيارة الأجرة مسرعة الآن، لكن «او» واجهت صعوبة في تدبر الأمر، كما أنها خشيت أن يلتفت السائق إلى الخلف. وأخيراً، ثنت الجوربين، وشعرت بالإحراج لرؤية ساقيها عاريتين، ولأن جسدها أصبح حراً تحت ردائها الحريري، وها قد انزلق رباطا الجوربين اللذان قامت بفكهما عندما ثنت جوربيها.

- فكي حزام الجوربين، واخلعي سروالك الداخلي، قال لها.

الأمر سهل للغاية، إذ ليس عليها سوى أن تدس يديها خلف ظهرها، وترفع نفسها قليلاً، وتخلع السروال الداخلي. أخذ رباطي الجوربين والسروال الداخلي، فتح ساقيها ووضع ما في يده بينهما، قائلاً لها: ليس عليكِ أن تجلسي على تنورتك، ارفعيها إلى الخلف، واجلسي مباشرة على المقعد.

فالمقعد مصنوع من جلد صناعي زلق وبارد، إذ يعطي ملمسه شعوراً غريباً عند التصاقه بالفخذين، وهنا خاطبها قائلاً: البسي قفازيكِ الآن. ما تزال التاكسي تسير بسرعة جيدة، لا تجرؤ «او» أن تسأل لماذا يجلس رينيه دون أن يتحرك أو ينبس بكلمة ثانية، ولا يمكنها أن تخمن ما يعنيه كل هذا بالنسبة له، أي أن يجعلها تجلس دون حراك وبصمت مطبق، عارية ومكشوفة، ومغطاة بشكل كامل في سيارة سوداء، لا أحد يعلم إلى أين تتجه. لم يخبرها رينيه ما الذي يتوجب عليها أن تفعله أو لا تفعله، لكنها أيضاً تخشى أن

Twitter: @ketab_n

تصالب ساقيها أو تضمهما، فجلست وهي تثبت يديها المغلفتين بالقفازات على طرفي الكرسي.

– ها نحن ذا...، قالها بشكل مفاجئ، ها نحن ذا...

توقفت التاكسي في حي جميل، تحت شجرة الدلب، أمام أحد البيوت الصغيرة الخاصة، التي يمكن أن نراها منتصبة بين الفناء والحديقة. إنه أحد أنماط البيوت التي يمكن للمرء أن يجدها على طول مقاطعة «فاوبور سان جيرمان».

تبعد مصابيح الشارع مسافة قصيرة، وما يزال الظلام مخيماً إلى حد ما داخل السيارة، والسماء تمطر في الخارج.

– لا تتحركي، قال رينيه،ابقي مكانك تماماً.

مد يده إلى ياقة البلوزة، وفك العقدة ثم الأزرار، مالت «او» إلى الأمام قليلاً، ظناً منها أنه يريد أن يداعب نهديها، لكن لا، إنه يتلمس رباط حمالة الصدر، والذي قصه باستخدام سكين جيب صغيرة، ثم خلع الحمالة، وأصبح ثدياها حرين وعاريين تحت البلوزة التي زرر أزارها، كما هو حال بقية جسدها من خصرها وحتى ركبتيها. ثم خاطبها قائلا:

– اسمعي، لقد أصبحت جاهزة الآن، سأتركك هنا، سترجلين من السيارة، وتذهبين لقرع جرس الباب، ثم عليك أن تتبعي من يفتحه لك، وتنفذين كل ما يُطلب منك. إن ترددت في الدخول، سيأتون لإدخالك. وإن لم تطيعي الأوامر في الحال، سيجبرونك

Twitter: @ketab_n

على ذلك، وحقيبتك؟ لا، لست بحاجة إلى حقيبتك بعد الآن. إنك ببساطة الفتاة التي أُعدها للعمل. بالطبع، سأكون هناك، أسرعي الآن.

هناك نسخة أخرى للبداية ذاتها، وهي أبسط وتتسم بوضوح أكثر. تتأنق الفتاة الشابة بالطريقة ذاتها، يأخذها عشيقها وصديق غير معروف. كان هذا الشخص الغريب يقود السيارة، وكان العشيق يجلس إلى جانب الشابة. هذا الغريب هو الذي وضح للفتاة الشابة أن عشيقها كُلف بأن يعدها للعمل، وأنه سيربط يديها خلف ظهرها، ويفك جوربيها ويثنيهما إلى فوق ركبتيها، ويخلع رباط الجوارب، والسروال الداخلي، وحمالة الصدر، ويضع عصابة على عينيها، بعد ذلك، يتم تسليهما إلى القصر الريفي، حيث سيُطلب منها في الوقت المناسب أن تفعل ما يتوجب عليها فعله. في الحقيقة، حالما يتم تجريدها من ملابسها وتقييدها، يساعدانها كي تترجل من السيارة، بعد رحلة استغرقت نصف ساعة، يرافقانها بضع خطوات وهي ما تزال معصوبة العينين، لتجتاز باباً واحداً أو بابين، بعد ذلك، تُفك العصابة عن عينيها، وتجد نفسها وحيدة في غرفة مظلمة، حيث بقيت فيها نصف ساعة، أو ساعة، أو ساعتين، لست متأكدة من ذلك، لكن بدا الوقت كأنه دهر. أخيراً، عندما فُتح الباب، وأشعل الضوء، يمكننا أن نرى أنها كانت تنتظر في غرفة تقليدية جداً ومريحة، لكنها مميزة، حيث وُضع فيها سجادة سميكة على الأرضية، لكن دون وجود أي قطعة أثاث تُذكر، والجدران الأربعة كانت مغطاة بالخزائن. يُفتح الباب من قبل امرأتين شابتين وجميلتين، ترتديان زي خادمات القرن الثامن عشر، والذي

Twitter: @ketab_n

يتألف من تنورة طويلة مصنوعة من قماش خفيف، كان طولها يكفي لأن يغطي القدمين، وصدار ضيق مثبت برباط أو خطاف من الأمام، يظهر الصدر بشكل بارز، وأكمام نصف طويلة، وشريط مزركش يلف الرقبة. كانتا تضعان ظلاً للعين وحمرة شفاه، وكانتا ترتديان ياقتين شديدتي الالتصاق، وسوارين ضيقين في معصميهما. أعرف أنهما حررتا يدي «او» في هذه اللحظة، اللتين كانتا ما تزالان مقيدتين خلف ظهرها، وأخبرتاها أن تخلع ملابسها، إذ ستقومان بتحميمها وتزينيها. تستمر الخادمتان بتجريدها من ملابسها، حتى لم يتبق أي أثر للملابس، وتقومان بوضع ملابسها بأناقة في إحدى الخزائن. لم يُسمح لها أن تستحم بنفسها، وقامتا بتسريح شعرها عند مصفف الشعر، وجعلتاها تجلس على واحد من تلك الكراسي الكبيرة، التي تميل إلى الخلف عندما يغسلون شعرك، وتستقيم عند الانتهاء من ذلك، وتصبح جاهزاً لمجفف الشعر. يستغرق هذا الأمر دائماً ساعة على الأقل. في الحقيقة، استغرق أكثر من ذلك، فقد جلست على هذا الكرسي، وهي عارية، و لم تسمحا لها أن تعقد ساقيها أو تضمهما معاً. وبما أن الحائط قبالتها كان مغطى بمرآة كبيرة من الأرضية وحتى السقف، والتي لم يمسها أي كسر، استطاعت أن ترى نفسها، وكانت ساقاها متباعدتين، في كل مرة كانت تزيح نظرها إلى المرآة. عندما انتهتا من تزيينها بشكل مناسب وأصبحت جاهزة – الجفنان تزينا بخط رفيع، وشفتاها بلون أحمر براق، وأُبرزت حلمتا وهالتا ثدييها بلون زهري، وصُبغت حافتا شفتيها بلون أحمر، وتعطر إبطاها وعانتها بسخاء، كما وُضع العطر على الثلم بين فخديها، والثلم المحيط بأسفل ثدييها، وعلى تجويف كفيها، ثم أُخذت إلى غرفة تحوي على ثلاث مرايا جانبية، ومرآة في الخلف، ما جعلها تتفحص

Twitter: @ketab_n

نفسها بإمعان. طُلب منها أن تجلس على الأريكة، التي كانت تنتصب بين المرايا، وأن تنتظر. كانت الأريكة مغطاة بفرو أسود، ما جعلها تشعر بوخز طفيف، وكانت السجادة سوداء اللون، والجدران مطلية بلون أحمر. كانت «او» تنتعل شبشباً أحمر. كانت هناك نافذة كبيرة تنتصب على أحد جدران غرفة النوم الصغيرة، التي تطل على حديقة جميلة ومظلمة. لقد توقف هطول المطر، وكانت الأشجار تتمايل بفعل الرياح، وارتفع البدر عالياً بين الغيوم. لا أعرف كم بقيت تنتظر في غرفة النوم الحمراء، أو هل كانت وحدها هناك، أو أن أحداً كان يراقبها من الثقب غير المرئي في الحائط. كل ما أعرفه أن الشابتين عادتا، كانت إحداهما تحمل شريط قياس الخياط، والأخرى تحمل سلة في يدها. وكان برفقتهما رجل يرتدي رداء أرجوانياً طويلاً، ممتلئ الكتفين. عندما مشى تطاير الرداء وتباعد من الخصر إلى الأسفل، إذ يستطيع المرء أن يرى من تحت الرداء أنه لبس رداء محكماً، وقد غطى ساقيه وفخذيه، لكن عضوه كان مكشوفاً. العضو الذكري هو أول ما رأته «او»، وذلك عندما خطا أول خطوة له، ثم رأت السوط المصنوع من الجلد، والذي وضعه في حزامه، ثم رأت أن الرجل كان يضع قناعاً أسود يخفي حتى عينيه، خلف شبكة من الشاش الأسود، وأخيراً، رأت أيضاً أنه كان يرتدي قفازين سوداوين من جلد ناعم. أخبرها ألا تتحرك من مكانها، مخاطباً إياها بطريقة رسمية، وأمر الشابتين أن تسرعا. قامت المرأة التي تحمل شريط القياس بأخذ قياسات عنق «او» ومعصميها، مع أن الأجزاء الصغيرة لم تكن قياساتها خارجة عن المألوف إطلاقاً، وكان من السهل جداً العثور على الياقة والسوارين المناسبين، في السلة التي كانت تحملها المرأة الأخرى. كانت الياقة والسواران مصنوعين من عدة طبقات

Twitter: @ketab_n

من الجلد (وكانت كل طبقة رقيقة إلى حد ما، حيث لم يشكل مجموع الطبقات أكثر من سماكة إصبع اليد). وفيها مشابك تعمل بشكل أوتوماتيكي، تشبه القفل عندما يُطبَق، ويمكن أن تفتح فقط بمفتاح صغير. يتوضع جرس معدني شديد الالتصاق، مثبت بين طبقات الجلد، وبشكل معاكس للقفل مباشرة، مما يمكّن من إحكام السيطرة على السوار، إذا أراد أحدهم أن يرفقه، لكي تثبت الياقة والسواران مع الذراعين والعنق بإحكام، بشكل يسبب أقل شعور ممكن من الألم، لدرجة يستحيل معها أن ينزلق أي رباط إلى الداخل. وهكذا، قامتا بتثبيت الياقة والسوارين إلى عنقها ومعصميها، ثم طلب منها الرجل أن تنهض، وجلس مكانها على أريكة الفرو، ودعاها إلى الاقتراب حتى لامست ركبتيه، ومرر يديه المغلفتين بالقفازات بين فخذيها وفوق ثدييها، وشرح لها أنه سيتم تقديمها الليلة بالذات، بعد أن تتناول وجبة العشاء وحدها. بالفعل، تناولت العشاء وحدها، وهي ما تزال عارية، في غرفة صغيرة، حيث قامت يد خفية بتمرير أطباق الطعام إليها من نافذة صغيرة في الباب. وأخيراً، عندما انتهى العشاء، أتت الشابتان إليها. في غرفة النوم، قامتا بتثبيت جرسي السوارين خلف ظهرها. وأرفقتا رداء أحمر طويلاً بجرس ياقتها، وأسدلتاه فوق كتفيها. لقد غطاها الرداء بشكل كامل، لكنه كان يتباعد عندما تمشي، وبما أن يديها كانتا خلف ظهرها، لم يكن بإمكانها أن تبقيه متلاصقاً. سبقتها إحدى الشابتين، وفتحت الأبواب، وتبعتها الأخرى، وهي تغلق الأبواب خلفها. اجتزن الدهليز، وغرفتي الرسم، ودخلن إلى المكتبة، حيث كان يجلس أربعة رجال يحتسون القهوة. كانوا يرتدون ذات الرداء الطويل الذي كان يرتديه الرجل الأول، لكن من دون أقنعة. ومع ذلك، لم يتسنَ الوقت لـ «او» لكي ترى وجوههم، وتتأكد

Twitter: @ketab_n

فيما إذا كان حبيبها جالساً بينهم، لأن واحداً من الرجال وجه ضوءاً إلى عينيها وحجب عنهما الرؤية. بقي الجميع متسمرين دون حراك، وكانت الشابتان تحيطان بها، والرجال في المقدمة يتفحصونها. ثم انحسر الضوء، وغادرت الشابتان. بعد قليل عُصبت عينا «او» مجدداً. ثم جعلوها تمشي إلى الأمام، تعثرت قليلاً أثناء المشي، حتى شعرت أنها باتت تقف أمام الموقد الذي يجلس حوله الرجال الأربعة، كانت تشعر بالحرارة، وفي السكون المخيم، استطاعت أن تسمع طقطقة ألواح الخشب المحترقة. كانت تقف قبالة النار. مُدت يدان ورفعتا الرداء، واثنتان أخريان لامستا طول ظهرها وردفيها نزولاً، بعد أن تأكدتا أن السوارين كانا مرفقين. لم تكن الأيادي مغلفة بالقفازات، وإحداها اخترقتها بشكل مفاجئ في مكانين اثنين، في الوقت نفسه، ما جعلها تصرخ عالياً. ضحك أحدهم، وقال آخر: دعها تلتف، حتى نتمكن من رؤية نهديها وبطنها. جعلوها تلتف، وكانت حرارة النار تواجه ظهرها. يد أمسكت أحد ثدييها، فم أطبق على حلمة الثدي الآخر. لكنها فقدت توازنها فجأة ووقعت إلى الخلف. بينما كانوا يباعدون ساقيها ويوسعون شفتيها بلطف، احتك الشعر بباطن فخذيها. سمعتهم يقولون إنهم سيجعلونها تنحني على ركبتيها. وهذا ما فعلوه. لم تشعر بالارتياح أبداً بهذه الوضعية، وخاصة أنهم منعوها أن تضم ركبتيها، ولأن يديها كانتا مكبلتين خلفها، أجبرها ذلك على الانحناء إلى الأمام. ثم جعلوها تتأرجح إلى الخلف قليلاً، كما تفعل الراهبات عادة.

– لم تقيدها أبداً؟.

– لا أبداً.

Twitter: @ketab_n

– و لم تضربها بالسوط أبداً؟

– لا، و لم أضربها بالسوط أبداً، لكن حقيقة الأمر... كان حبيبها هو المتكلم.

ثم تابع الصوت الآخر، حقيقة الأمر، أن تقيدهنا من وقت إلى آخر، أو تضربها بالسوط قليلاً، يروق لها ذلك، لكنه ليس بالأمر الجيد أيضاً. عليك أن تتجاوز عتبة المتعة، حتى تصل إلى عتبة الدموع.

جعلوا «او» تنهض، وكانوا على وشك أن يفكوا وثاقها، لكي يثبتوها بعمود أو حائط ما على الأغلب، لكن أحدهم أعترض، وأخبرهم أنه يريد أن يأخذها أولاً، وعلى الفور. لذلك جعلوها تنحني إلى الأمام ثانية، وقد لامس صدرها الأريكة، ويداها لا تزالان مقيدتين، وردفاها أعلى من جذعها. ثم أمسكها أحد الرجال وهو يضع يديه على ردفيها، ثم غاصتا في بطنها، ثم انسحب لفترة وجيزة. أراد الرجل الثالث أن يقتحم الفتحة الأضيق، وبدأ يدفع بقوة، جاعلاً إياها تصرخ. عندما ابتعد عنها وهي تبكي، والدموع تنهمر من تحت العصابة، تمددت على الأرض، وشعرت حينها أن ركبتي أحدهم قبالة وجهها، وأدركت أن يداً تداعب فمها. أخيراً، تركوها وشأنها، أسيرة ترتدي رداءً مبهرجاً، وهي تتمدد على ظهرها أمام موقد النار. تمكنت حينها أن تسمع صوت الكؤوس وهي تُملأ، وضجيج الرجال وهم يحتسون الشراب، وصرير الكراسي. وضعوا المزيد من الخشب في النار المشتعلة. فجأة، فكوا عصابة عينيها. كانت الغرفة الفسيحة، والجدران المغطاة بخزائن الكتب، مضاءة بشكلٍ باهت، بمصباح جداري واحد، ووهج النار المشتعلة، التي كانت تزداد اتقاداً. كان اثنان من الرجال الأربعة

Twitter: @ketab_n

يقفـان ويدخنان، وكـان أحدهم جالساً، يمـرر السوط على ركبتيه، وعشيقهـا كان ممدداً فوقها يداعب نهديها. حينها شرحوا لها أن هذا ما سيكون عليه الأمر دائماً، طيلة فترة إقامتهـا في القصر، حيث أنهـا سترى وجوه أولئك الرجـال الذين اعتدوا عليهـا وقاموا بتعذيبها، لكن ذلك لن يحدث في الليل إطلاقـاً، وأنهـا لن تعرف أبداً أي واحد منهم كان مسؤولاً عن حدوث الأسوأ. كان الأمر كذلك عندما تعرضت للضرب بالسوط، ما خلا أنهم أرادوا أن ترى نفسها وهي تُضرب، لذلك قـاموا بفك العصابة عن عينيها هذه المرة، ومن جهة أخرى، سيغطون وجوههم بالأقنعة، وهكذا، لن يكون بمقـدورها أن تميز بينهم بعد الآن. ساعدهـا عشيقهـا أن تنهض وتقف على قدميهـا، وكانت لا تزال متدثرة بردائها الأحمر، وجعلهـا تجلس على مسند كرسي مريح بالقرب من النـار المتقدة، لكي تتمكن من سماع مـا سيقولونـه لها، وتشاهد ما سيعرضونه لها. كانت يداها لا تزالان خلف ظهرها. أروهـا السـوط الأسود الطويل المزود بأنشوطة، المصنوع من الخيزران الرفيع والمغلف بطبقة جلدية، إنه من النوع الذي يمكن للمرء أن يراه معروضاً في متجر لبيع أدوات ركوب الخيل، ذات النوعية الجيدة، وأروها السوط الجلدي الذي كان يضعه في حزامه أول رجل رأته، كان طويلاً وله ستة أهداب معقودة في نهايته. كان هناك أيضاً سوط ثالث، يتألف من أوتار رفيعة نوعاً ما، تتوضع عدة أنشوطات في نهاية كل منها، كانت الأوتار متخشبة، كأنها كانت مغمورة في الماء، وأدركت «او» أنها كانت كذلك بالفعل، عندما قاموا بمداعبة بطنها، ولكز فخذيها بالأوتار، لكي تشعر بقساوتها ورطوبتها على بشرتها الناعمة الطرية. ثم توضعت مفاتيح وسلاسل فولاذية على طاولة مستندة إلى حائط. وعلى طول جدار كامل من المكتبة، في المنتصف بين الأرضية والسقف،

Twitter: @ketab_n

تنتصب منصة مدعمة بعمودين، ثُبت خطّاف في أحدهما، على ارتفاع يكفي ليقف رجل على رؤوس أصابع قدميه، ويداه ممدودتان فوق رأسه. وثبت كتفي «او» بأحد الخطافين، ووضع الآخر بين تجعيدة حقويها، وكان شديد السخونة، وهي لا تستطيع احتماله، حتى يتم فك وثاق يديها، ليضعوا لها وثاقاً جديداً بعد فترة وجيزة، إذ ستثبتان إلى العمود، بواسطة السوارين وإحدى السلاسل الفولاذية. قالوا لها إنه باستثناء يديها، اللتين ستثبتان فوق رأسها، سيكون بمقدورها أن تتحرك، وترى الضربات الموجهة إليها، إنها من حيث المبدأ، ستضرب على فخذيها وورکيها، بمعنى آخر بين خصرها وركبتيها، وهي ذات المنقطة التي تم تهيئتها في السيارة التي أحضرتها إلى هنا، حيث جلست على المقعد عارية بجزئها السفلي، ذلك لأن هناك احتمالاً كبيراً بأن أحد الرجال الحاضرين يود وسم فخذيها بالسوط ذي الأنشوطة، الذي يخلف ندوباً عميقة تدوم لفترة طويلة. ليس عليها أن تتحمل كل هذا دفعة واحدة، إذ سيتخلل الجلدات متسع من الوقت، لكي تصرخ وتقاوم وتبكي، وسيمنحونها فترات من الراحة، لكن حالما تلتقط أنفاسها، سيعاودون الكرة من جديد، مستنبطين النتيجة من حجم ولون الجلدات، وليس من صرخاتها ودموعها. أوضحوا لها أن طريقة تقييم مدى فاعلية السوط هذه، بالإضافة إلى كونها عادلة، قد أثبتت أنه من غير المجدي أن يبالغ الضحايا في التعبير عن معاناتهم ومحاولة إثارة الشفقة، هذا ما جعلهم يلجأون إلى اتباع الإجراءات ذاتها خلف جدران القصر، وخارجاً في المتنزه، أو في أي شقة عادية، أو غرفة فندق، كما كانوا يفعلون عادة، مستخدمين كعاماً للفم (كالذي قاموا بتشكيله وعرضه عليها على الفور)، لأنه يكبح كل الصرخات المنبعثة ويخففها، باستثناء تلك الآهات القوية، التي تسمح بانهمار الدموع دون توقف. لم يكن

Twitter: @ketab_n

هناك أدنى شك من اتباع هذه الطريقة في تلك الليلة، على العكس، فقد أرادوا أن يسمعوا صراخها، وخير البر عاجله. لكن الصبر الذي أظهرته لتقاوم وتلتزم السكوت لم يدم لفترة طويلة، لأنهم سمعوها تتوسل إليهم ليفكوا وثاقها، وأن يتوقفوا قليلاً فقط. كانت تتلوى من الألم بجنون، وهي تحاول أن تتفادى ضربات السوط، لدرجة أنها استدارت بشكل كامل تقريباً، إلى الجانب الأيسر من العمود، لأن السلسلة المثبتة إليها كانت طويلة، لكنها رخوة بعض الشيء، على الرغم من أنها صلبة إلى حد بعيد. وبالنتيجة، مثلما وُسمت بطنها وفخذاها بضربات السوط، كذلك وسمت مؤخرتها. بعد أن توقفوا قليلاً، قرروا البدء من جديد، وذلك بعد أن ربطوا حبلاً حول خصرها أولاً، ثم ثبتوه بالعمود وبما أنهم قيدوها بإحكام، ظل خصرها ملتصقاً بالعمود، ما أجبر جذعها على الاستدارة قليلاً إلى طرف واحد، وهذا بدوره جعل ردفيها يبرزان في الاتجاه المعاكس.ومنذ ذلك الحين استقرت الضربات على الهدف المحدد، ما لم تكن موجهة عمداً إلى مكان آخر. وعلى اعتبار الطريقة التي سلمها بها عشيقها، والتي أوصلتها إلى هذه الحالة ربما ظنت «او» أن استجداء الرحمة منه، قد يكون الطريقة المؤكدة ليضاعف قسوته.لقد كانت متعته كبيرة بالتوصل إلى استنتاج، أو جعل الآخرين يستنتجون منها، هذا الدليل الذي لا لبس فيه عن قوته.وبالفعل، كان أول الذين أشاروا إلى أن السوط الجلدي الذي ضربت به أولاً، لم يترك أي أثر (بخلاف السوط المصنوع من الأوتار المغمورة في الماء، الذي كان يترك أثراً عند ملامسة جسدها، والسوط ذي الأنشوطة، الذي ترك كدمات على الفور)، ما سمح لهم بإطالة فترة العذاب، واتباع مخيلتهم في البدء والتوقف. لقد طُلب منهم استخدام السوط فقط. في الوقت الحالي، كان الرجل الذي أحب النساء، فقط من أجل ما يجمعهن من قواسم

Twitter: @ketab_n

مشتركة مع الرجال، والذي كانت تغريه المؤخرة التي تتلوى عند الحبال المثبتة تحت الخصر، مؤخرة جعلت الأمر برمته أكثر إغراءً، بمحاولاتها تفادي الضربات، قد طلب فترة استراحة ليستغل فرصة ذلك. لقد باعد الطرفين اللذين احترقا تحت يديه، وأدخل عضوه بصعوبة قليلة، مشيراً أنه يجب أن يمتاز الممر بسهولة أكبر للعبور. لقد وافقوا جميعاً أنه من الممكن، ويتوجب عليهم فعل ذلك. عندما فكوا وثاق الشابة، ترنحت وفقدت وعيها تقريباً، وهي ملتفة بردائها الأحمر. ثم جعلوها تجلس على أريكة مريحة قرب النار، قبل أن تعود إلى حجرتها التي كانت تشغلها، وشرحوا لها القواعد والتعليمات التي يتوجب عليها أن تتبعها خلال فترة إقامتها في القصر، ولاحقاً، وفي حياتها اليومية التي هجرتها (لكن هذا لم يكن يعني أنها ستستعيد حريتها). رن الجرس، ودخلت الفتاتان اللتان استقبلتاها لدى وصولها، وكانتا تحملان الملابس التي سترتديها طيلة فترة مكوثها، والتذكارات التي وضعها المضيفون الذين سبقوا وصولها إلى القصر، والذين سيأتون إليه بعد مغادرتها، والتي قد يتم التعرف عليها من خلالها. كان لباسها مماثلاً للباسهما: فستان طويل مع تنورة، يُلبس فوق صدار مربوط بشكل محكم عند الخصر، وبطانة تحتية متيبسة من قماش الكتان. يظهر تصميم الياقة المكشوف النهدين المرتفعين إلى الأعلى بفعل الصدار الضاغط، واللذين غطتهما شبكة من الأشرطة. كانت البطانة بيضاء اللون، والأشرطة كذلك، والفستان والصدار من الساتان الأخضر الضارب إلى الزرقة. عندما لبست «او» واستقرت في الكرسي المتوضع إلى جانب المدفأة، عكس لون الفستان شحوب وجهها الذي بدا واضحاً حينها، وكانت الفتاتان اللتان لم تنطقا بكلمة على وشك أن تغادرا. أمسك واحد من الأصدقاء الأربعة بإحداهما، وأشار إلى الثانية أن تنتظر، وجعل الفتاة التي أمسكها تقف

Twitter: @ketab_n

إلى جانب «او»، ثم أدارها، وبيد واحدة أمسكها من خصرها، ورفع تنورتها، مشيراً إلى «او» بالفائدة العملية التي تميز هذا الزي، مظهراً لها براعة التصميم. ثم أضاف أن حزاماً بسيطاً هو كل ما تحتاجه لتبقى التنورة مرفوعة، والتي جعلت كل ما تخفيه تحتها متاحاً. حقيقة الأمر، أنهم غالباً ما كانوا يسمحون للفتيات بالتجول في القصر أو في المتنزه هكذا، أو أن تكون التنانير مكورة في الأمام عند مستوى الخصر. جعلوا الفتاة تشرح لـ «او» كيف عليها أن تبقي تنورتها، وأن تثنيها عدة ثنيات (كما تلف خصلة الشعر على اللفافة)، وتثبت بشكل محكم بالحزام، إما مباشرة من الأمام كاشفة البطن، أو عند منتصف الظهر كاشفة الردفين. في كلا الحالتين، تباعدت التنورة والبطانة بشكل مائل، مشكلتين ثنيات من القماش المتداخل. كحال «او»، كانت آثار جلدات مؤخرة الفتاة ما تزال حديثة العهد بفعل ضربات السوط. لقد غادرت الغرفة.

وفيما يلي الخطاب الذي أسمعوه لـ «او»:

أنت تمكثين هنا لكي تخدمي أسيادك. خلال النهار، ستقومين بكل الأعباء المنزلية التي توكل إليك، الكناسة، وإعادة الكتب، وترتيب الأزهار، أو الانتظار على الطاولة. ليس هناك شيء أصعب من هذا. لكن عند أول كلمة أو إشارة يظهرها لك أي شخص هنا، تتركين ما تفعلينه، وتستعدين للمهمة الوحيدة التي من أجلها أتيت إلى هنا، وهي أن تسلمي نفسك. يداك ليستا ملكاً لك، ولا ثدياك، ولا حتى أي ثقب في جسدك على وجه الخصوص، والذي يمكن أن نكتشفه أو نخترقه ساعة نشاء ذلك. ستذكرين طيلة الوقت، أو بشكل دائم قدر المستطاع، أنك فقدت كامل الحقوق المتعلقة بالخصوصية والاختباء، وكتذكير لهذه الحقيقة، لن تغلقي شفتيك في حضورنا على الإطلاق، أو تصالبي

Twitter: @ketab_n

قدميك، أو تضمي ركبتيك (ربما تذكرين أنك مُنعت من ذلك لحظة وصولك إلى هنا).سيكون هذا تذكيراً دائماً لك ولنا أيضاً، أن فمك وبطنك ومؤخرتك مشرعة لنا. لن تلمسي نهديك في حضورنا، فالصدار يرفعهما نحونا، جاعلاً إياهما ملكاً لنا. سترتدين هذا النمط من الملابس خلال النهار، وعندما يطلب منك أحدهم أن ترفعي التنورة، ارفعيها على الفور. وإذا رغب أحدهم أن يستخدمك بأي طريقة تروق له، سيفعل ذلك من دون قناع، لكن بشرط واحد هو السوط. سيستخدم السوط فقط بين فترتي الغسق والفجر، لكن بالإضافة إلى الجلدات التي ستتلقينها ممن يرغب بجلدك، ستُجلدين بقسوة في المساء أيضاً، عقاباً لك على أي تجاوز للقوانين قد ترتكبينه خلال اليوم، لأن استجابتك على الإكراه كانت بطيئة، لأنك رفعت عينيك ونظرت إلى الشخص الذي يخاطبك أو يأخذك، إذ لا يتوجب عليك أن تنظري إلى وجه أي منا. إذا كان الزي الذي نرتديه في المساء يكشف أعضاءنا الذكرية، كهذا الذي أرتديه الآن، فإن ذلك ليس من أجل الراحة، لأنه سيكون مريحاً فقط بعكس ذلك، بل من أجل العنجهية، مما يتيح لعينيك أن تنظر مباشرة إليه، وليس إلى أي مكان آخر، وهكذا تتعلمين أن سيدك يقبع هنا، والذي ستتوجه إليه شفتاك قبل أي شيء آخر.خلال النهار، عندما نظهر بالزي العادي، ستلبسين الملابس التي ترتدينها الآن، وستطبق القواعد نفسها، باستثناء أنك ستفتحين ملابسك عندما تطالبين بذلك، وتغلقينها مجدداً عندما ننتهي منك.هناك أمر آخر، في المساء، سيكون لديك شفتاك اللتان ستكرميننا بهما، وفخذاك المتباعدان، لأن يديك ستقيدان خلف ظهرك، وستكونين عارية، كما كنت منذ قليل. سنعصب عينيك عندما نضطهدك فقط، وها قد رأيت الآن كيف جُلدت بالسوط. على أية حال، بينما تجري الأمور بشكل

Twitter: @ketab_n

جيد حتى تعتادين على الجلد، والذي ستتعرضين له كل يوم خلال إقامتك هنا، فهذا من أجل تنوير بصيرتك، أكثر من كونه لمتعتنا. ما مدى صحة هذا الكلام، ستعرفين ذلك في الليالي التي لا يطلبك فيها أحد، حينها ستنتظرين الخادم المكلف بالمجيء إلى حجرتك المنفردة، والذي يشرف على ما ستبلغين به، لأننا لسنا في مزاج لتسخيرك. في الحقيقة، عندما تثبت السلسلة والسوط بحلقة ياقتك، تبقين مقيدة بسريرك عدة ساعات في اليوم تقريباً، وذلك ليس لجعلك تعانين وتصرخين وتذرفين الدموع، بل على الأكثر، لكي تشعري خلال هذه المعاناة، أنك مقيدة ولست حرة، ولكي تتعلمي أنك مكرسة كلياً لشيء خارج ذاتك. عندما تغادرين من هنا، ستضعين خاتماً معدنياً في إصبعك الثالث، إذ سيستدل عليك من خلاله، وهكذا سيكون عليك أن تطيعي الأشخاص الذين يضعون العلامة نفسها، وعندما يرونها سيعرفون أن جسدك عار دائماً تحت تنورتك، لكن ملابسك قد تكون أنيقة أو عادية، إلا أن هذا التعري سيكون من أجلهم. وعندما يعلم أحدهم أنك تظهرين تمرداً بأقل تقدير، سيعيدك إلى هنا. والآن، ستذهبين إلى حجرتك.

بينما كانوا يتحدثون إلى «او»، كانت الشابتان اللتان جاءتا لتلبسانها، تقفان على جانبي العمود الذي ضُربت عنده، لكن دون أن تلمساه، فإما أنه شكل لديهما هاجساً من الرعب، أو أنهما منعتا من لمسه (وكان هذا الاحتمال المرجح). عندما انتهى الرجل من كلامه، تقدمتا نحو «او»، التي أدركت أنه من المفترض أن تنهض وتتبعانهما. لذلك نهضت، ولملمت رداءها بين ذراعيها لئلا تتعثر أثناء المشي، لأنها لم تكن معتادة على ارتداء الفساتين الطويلة، و لم تكن تشعر بالثبات، وهي تنتعل حذاء نعله سميك وكعبه عالٍ جداً، مصنوع من الساتان، وبلون

Twitter: @ketab_n

فستانها الأخضر، و لم ينفك ينزلق من قدمها باستمرار. وعندما انحنت أدارت رأسها، وكانت الشابتان بانتظارها، و لم يعد الرجال ينظرون إليها. كان عشيقها يجلس على الأرض متكئاً على الأريكة التي ارتمت عليها أول المساء، وكانت ركبتاه مثنيتين ومرتفعتين، ويضع مرفقيه فوقهما، وكان يعبث بالسوط الجلدي. عندما مشت أول خطوة لتنضم إلى الشابتين، لامسه رداؤها، فرفع رأسه وابتسم منادياً إياها باسمها، ثم نهض مداعباً شعرها بلطف، ملامساً حاجبيها برأس إصبعه، وقبلها بنعومة على شفتيها. أخبرها بصوت عالٍ أنه يحبها. فارتعبت «او» المرتعشة عندما أدركت أنها أجابته (وأنا أحبك)، وكان هذا صحيحاً بالفعل. شدها نحوه وقال: (محبوبتي، معشوقتي)، وقبّلها من رقبتها ومنحنى خدها، وأرخت رأسها على كتفه المغطى برداء أرجواني. وعبر لها مجدداً وبنعومة كبيرة هذه المرة، أنه أحبها، وأضاف برقة (ستنحنين على ركبتيك وتداعبيني وتقبليني)، ثم دفعها مبعداً إياها مشيراً إلى الشابتين أن تبتعدا جانباً، لكي يتكئ على الطاولة المسندة إلى الحائط. كان طويلاً، لكن الطاولة لم تكن مرتفعة كثيراً، وكانت ساقاه الطويلتان المكسوتان بلون أرجواني كلون ردائه مثنيتين. تيبس الرداء المفتوح من الأسفل كالستارة، ورفعت الطاولة قليلاً عضوه الذكري الثقيل، وكان الضوء خافتاً فوقه. اقترب الرجال الثلاثة. انحنت «او» على السجادة، ورداؤها الأخضر يحيط بها. كان صدارها يعصرها، وثدياها اللذان كانت حلمتاهما مرئيتين، كانا على مستوى ركبتي عشيقها. قال أحد الرجال (مزيد من الضوء..قليلاً). بينما كانوا يعدلون المصباح، لكي يضيء شعاع الضوء مباشرة عضوه الذكري، ووجه عشيقته، الذي كان يلامسه تقريباً، ويداها كانتا تداعبانه من الأسفل. أمرها رينيه فجأة (قوليها مجدداً: إني أحبكَ). فرددت «او» ثانية (إني أحبك)، وقد انتابته

Twitter: @ketab_n

سعادة عندما جعلت شفتيها بالكاد تداعبان رأس عضوه الذكري، الذي كان لا يزال محمياً بغطاء من الجلد الناعم. تابع الرجال الثلاثة الذين كانوا يدخنون على إيماءاتها، وعلى حركة فمها المغلق والمطبق على العضو الذي أمسكته، والذي كان يتحرك صعوداً ونزولاً، متناغماً مع الدموع التي كانت تنهمر على وجهها المهشم، في كل مرة يضرب العضو المتورم مؤخرة حنجرتها، جاعلاً إياها تتقيأ، وضاغطاً على لسانها، ما جعلها تشعر بالغثيان. لقد كان ذات الفم، نصف المطبق على الجلد القاسي الذي ملأه، قد دمدم مجدداً (إني أحبك). وقفت الشابتان إلى يمين ويسار رينيه، الذي وضع ذراعاً على كتف كل واحدة منهما. تمكنت «او» من سماع التعليقات التي أطلقها الحاضرون، لكنها بذلت جهداً من خلال كلماتهم لتسمع تأوهات عشيقها، وداعبته بلطف وبطء، وباحترام لا متناه، بالطريقة التي تعرف أنها ترضيه. شعرت «او» أن فمها كان جميلاً، بما أن عشيقها تكرم عليها ليضع عضوه بداخله، وبما أنه تنازل علانية ليعرض عليها ملاطفته، وبما أنه أخيراً، منّ عليها أن يقذف في جوفه. لقد عوملت كما تعامل الآلهة. سمعت صراخه، كما سمعت ضحكات الآخرين، وعندما تلقت ما بداخله وقعت، وأصبح وجهها مواجهاً الأرضية. أمسكت الشابتان بها، وأبعدتاها عن المكان هذه المرة. أصدرت الأحذية ذات الكعب العالي صوتاً على البلاط الأحمر، حيث الأبواب تليها أبواب كتومة ونظيفة ولها أقفال صغيرة، كأبواب غرف الفنادق الفخمة. كانت «او» تستجمع شجاعتها، لتسأل فيما إذا كانت هذه الغرف مشغولة، ومن الذي يشغلها، عندما سمعت صوت إحدى مرافقتيها، الذي لم تكن قد سمعته بعد، يقول لها. أنتِ في الجناح الأحمر، واسم خادمك هو بيير، أي خادم؟ قالت «او»، متأثرة بنعومة الصوت، ما اسمك أنت؟ أندريه، وقالت الثانية: أنا اسمي جين، تابعت

Twitter: @ketab_n

الشابة الأولى، الخادم هو الشخص الذي يضع المفاتيح بحوزته، وهو الشخص الذي يقيدك، ويفك وثاقك، والذي سيضربك عندما تعاقبين، وعندما لا يتسنى للآخرين وقت لك. فقالت جين: لقد كنتُ في الجناح الأحمر العام الفائت، وكان بيير هناك، ويأتي عادة في الليل. الخدم لديهم المفاتيح، والحق باستخدامنا في غرف أقسامهم. كانت «او» على وشك أن تسأل أي نوع من الأشخاص كان بيير، لكن لم يتسنَ لها الوقت لذلك. فعندما استدرن عند زاوية الرواق جعلتاها تتوقف أمام أحد الأبواب، الذي يشبه بكل المقاييس الأبواب الأخرى: فعلى مقعد بين هذا الباب والذي يليه، رأت قروياً مربوعاً ومتورد اللون، كان حليق الرأس بشكل نظيف عملياً، وله عينان سوداوان صغيرتان مغروستان في جمجمته، وثنيات من الجلد حول رقبته. كان يرتدي زياً كزي وصيف في الأوبريت، له قميص تدلى شريطه المزركش من تحت صداره الأسود، الذي كانت تغطيه سترة حمراء من طراز (سبنسر) الضيق القصير. وكان يرتدي سروالاً أسود، وجوارب بيضاء، وينتعل حذاءً جلدياً لماعاً. كان يضع أيضاً سوطاً جلدياً في حزامه. كانت يداه مكسوتين بشعر أحمر. أخرج المفتاح الرئيسي من جيب صداره، وأرشد النسوة الثلاث إلى داخل الغرفة وقال: سأقفل الباب، اقرعن الجرس عندما تفرغن. كانت الحجرة صغيرة إلى حد ما، وتتألف من غرفتين. وبما أن باب القاعة كان مغلقاً، فقد وجدن أنفسهن في غرفة تؤدي إلى الحجرة الفعلية، وعلى الجدار ذاته، وداخل الغرفة نفسها، كان هناك باب يؤدي إلى الحمام. كانت النافذة تنتصب قبالة الأبواب. كما انتصبت مقدمة سرير مربع، قبالة الحائط الأيسر بين الأبواب والنافذة. لم يكن هناك أي قطعة أثاث أخرى، ولا حتى مرآة. كانت الجدران مطلية بالأحمر الزاهي، والسجادة سوداء. أوضحت أندريه لـ «او» أن السرير كان منصة مغطاة

Twitter: @ketab_n

بقماش من الفرو التقليدي الأسود الطويل، أكثر من كونه سريراً فعلياً. وكانت الوسادة قاسية ومسطحة كالفراش، ومصنوعة من نفس المادة. الشيء الوحيد الذي كان معلقاً على أحد الجدران، هو حلقة فولاذية لماعة، كانت تنتصب فوق السرير، على ارتفاع مماثل لارتفاع خطاف العمود، الذي كان معلقاً فوق أرضية المكتبة، وقد تدلت منها سلسلة معدنية طويلة فوق السرير، وتكدست حلقاتها فوق بعضها، وأما النهاية الأخرى، فهي مثبتة بخطاف مزود بقفل يطبق عليها، كالستارة التي تثبت في مكانها بواسطة الأنشوطة.

– قالت جين لها: سنجعلك تستحمين الآن. سأفك رداءك.

الأمر الوحيد الذي كان يميز الحمام، هو التواليت المصمم على النموذج التركي، إذ كان يتوضع في الزاوية القريبة من الباب، وكانت كل بوصة من مساحة الجدار مغطاة بالمرايا. لم تسمح جين وأندريه أن تدخل «او» إلى الحمام، حتى أصبحت عارية. وضعتا فستانها جانباً في الخزانة القريبة من المغسلة، حيث وُضع حذاؤها ورداؤها الأحمر، وبقيتا برفقتها، لكي تجد نفسها عندما تجثم فوق حوض البروسلين، محاطة بمجموعة من المرايا العاكسة، ومكشوفة كما كانت في المكتبة، عندما أخذتها أيد مجهولة رغماً عن إرادتها.

– وهنا قالت لها جين: انتظري حتى يأتي بيير، وسترين ما سيحدث.

– فسألت «او»، لماذا بيير؟

– لأنه سيجعلك تجثمين على ركبتيك عندما يأتي ليقيدك.

Twitter: @ketab_n

– شحب وجه «او»، وقالت: لكن لماذا؟

– لأن عليك ذلك، لكنك محظوظة، أجابت جين.

– لماذا محظوظة؟

– أكان عشيقك هو الذي أحضرك إلى هنا؟

– أجل، أجابت «او».

– سيتصرفون بقسوة أشد معك.

– لست أفهم ما...

– ستفهمين عما قريب، إنني أقرع الجرس ليأتي بيير، سنأتي لنأخذك صباح الغد.

ابتسمت أندريه بينما كانت تغادر، وداعبت جين حلمتي نهديي «او»، قبل أن تلحق بـأندريه. لكنها تراجعت إلى الخلف تماماً، وبقيت متسمرة عند مؤخرة السرير. كانت «او» عارية بشكل كلي، باستثناء أنها كانت تضع الياقة والسوارين الجلديين، اللذين تصلبا بفعل الماء عندما استحمت، وأصبحا أضيق من ذي قبل. انظروا إلى السيدة الجميلة: قال الخادم فيما كان يهم بالدخول، وأمسك بيديها الاثنتين. وضع خطاف أحد السوارين داخل الآخر، حتى يتلاصق معصماها بشدة، ثم شبك هذين الخطافين بحلقة الطوق. وهكذا، كانت يداها متلاصقتين كما في وضعية الصلاة، عند مستوى رقبتها. لم يتبقَ الآن سوى أن يربطها بالسلسلة عند الحائط، التي كانت مكومة فوق السرير،

Twitter: @ketab_n

ومثبتة بالحلقة في الأعلى. أُجبرت «او» أن تتمدد عند مقدمة السرير. أُطبقت الحلقة على السلسلة بشكل محكم للغاية، لدرجة أن الفتاة الشابة، لم تتمكن سوى من التحرك على جانبي السرير، أو الوقوف عند طرفي اللوح الأمامي. قصّرت السلسلة من طول الياقة، ما جعلها تنسحب إلى الخلف، بينما كانت يداها تدفعانها إلى الأمام، وتسبب هذا بحدوث نوع من التوازن، وكانت يداها المتلاصقتان ممددتين على كتفها الأيسر، ورأسها في الاتجاه ذاته. رمى الخادم الغطاء الأسود فوق «او»، لكن ليس قبل أن يرفع قدميها قليلاً، ويدفعهما نحو صدرها، ليتفحص الشق الموجود بين فخذيها. لم يلمسها أكثر من ذلك، و لم ينبس بأي كلمة، أطفأ الضوء الذي كان بهيئة مصباح مثبت على الحائط بين البابين، ثم خرج. حاولت «او» أن تعرف ما سر العذوبة البالغة الممتزجة بالرعب الموجود في داخلها، أو لماذا بدا رعبها حلواً للغاية، فكرت بذلك بينما كانت ممدة على جانبها الأيسر، وحيدة في ظلام الغرفة وسكونها المطبق، متدثرة بين طبقتي الفرو، ومتسمرة مكانها حتماً. أدركت أن أحد أكثر الأمور التي جعلتها حزينة، هي حقيقة أنها حُرمت من استعمال يديها، ليس لأنهما باستطاعتهما أن تدافعا عنها (وهل كانت بالفعل تريد أن تدافع عن نفسها؟)، لكن لو كانتا حرتين، لساعدتاها على الأقل في اتخاذ وضعية معينة، وقامتا بمحاولة لإبعاد يديّ الرجل الذي قيدها، والذي قام بثقبها، ولحماية جسدها من جلدات السوط. لقد أُبعدت يدا «او» عنها، وكان جسدها المغطى بالفرو بعيداً عن متناولها. كم كان شعوراً غريباً ألا يكون بمقدورها أن تلمس ركبتيها، أو تجويف بطنها. كانت الحافتان المتوهجتان بين ساقيها محرمتين عليها، وربما كانتا متوهجتين، لأنها كانت تعرف أنهما مشرعتان لأول زائر، أي للخادم بيير، هذا إن رغب في الدخول. كانت مندهشة من فكرة أن ضربات

Twitter: @ketab_n

السوط التي تلقتها، جعلتها هادئة ومرتاحة البال، لكن ما كان موجعاً بالنسبة إليها، هو التفكير بأنها ربما لن تعرف أبداً، أي واحد من الرجال الأربعة قد اخترقها من الخلف مرتين، وهل كان الرجل نفسه أم كانا رجلين، أم هو حبيبها من فعل ذلك. انقلبت قليلاً على معدتها، وبدأت تسترجع في ذاكرتها، كيف أن حبيبها كان يحب الثلم بين ردفيها، الذي باستثناء هذه الليلة، لم يخترقه أبداً (هذا إن كان هو الفاعل). تمنت لو أنه كان هو، هل ستسأله يا ترى؟ آها، أبداً!. مجدداً، راحت تتذكر اليدين اللتين أخذتا رباطي جوربيها وسروالها الداخلي، ووسعتا الرباطين حتى تتمكن من ثني جوربيها إلى فوق ركبتيها. كانت هذه الذكريات منعشة للغاية، لدرجة أنها نسيت أن يديها كانتا موثقتين، ما جعل السلسلة تصدر صوت احتكاك. لكن لماذا، إن كانت قد تقبلت تجربة العذاب التي مرت بها بصدر رحب، لماذا كانت فكرة السوط بحد ذاته، أو مجرد لفظ الكلمة، أو رؤيته، تجعل قلبها يخفق بشدة، وعينيها تغمضان من شدة الخوف؟ لم تتوقف عن التفكير فيما إذا كان خوفاً فقط، لقد كانت مسحوقة من شدة الخوف، فربما يفكون السلسلة ويرمون بها إلى السرير ويضربونها بالسوط، ربما يضربونها وبطنها ملتصقة بالحائط، سيجلدونها. ظلت هذه الفكرة تدور في رأسها، قد يضربها بيير، قالت جين إنه سيفعل ذلك. (أنت محظوظة، سيكونون أشد قسوة معك)، كررت جين هذه العبارة. ما الذي عنته بقولها هذا؟ لم تعد تشعر بأي شي ما عدا الياقة والسوارين والسلسلة، كان جسدها ينجرف بعيداً، ثم غطت في النوم. في ساعات الليل المتأخرة، وقبل بزوغ الفجر، وعندما كان الجو أشد ظلمة وبرودة، دخل بيير. أشعل الضوء في الحمام، وترك الباب مفتوحاً، حتى يتسلط وهج الضوء على منتصف السرير، تماماً حيث كان جسد «او» النحيل متكوراً، مشكلاً كتلة صغيرة تحت الغطاء الذي سحبه

Twitter: @ketab_n

بهدوء. بما أنها كانت نائمة على جانبها الأيسر، ووجهها نحو النافذة، وساقاها فوق بعضهما، بدت كأنها رسمت له مشهداً ليرى خاصرتها البيضاء، والتي ظهرت أشد بياضاً بوجود الفرو الأسود. سحب الوسادة من تحت رأسها، وقال لها بأدب: هلا وقفت من فضلك؟ وعندما جثت على ركبتيها، وهي الوضعية التي تمكنت من تدبرها، عندما سحبت نفسها بواسطة السلسلة، مد بيير يده إليها، ممسكاً إياها من مرفقيها، حتى تتمكن من الوقوف منتصبة ووجهها نحو الحائط. أضاء مربع الضوء جسدها، إذ كان مسلطاً على السرير، وبدا خافتاً نظراً لشدة اسوداد الغطاء. ظنت دون أن تتمكن من الرؤية، أنه كان يفك السلسلة ليعيد ربطها بخطاف آخر، كي تبقى مثبتة جيداً، واستطاعت أن تشعر أنها أصبحت أضيق. قدماها اللتان كانتا عاريتين، كانتا مغروستين بثبات على السرير. كما أنها لم تستطع أن ترى أنه لم يكن يضع في حزامه السوط الجلدي، بل ذلك السوط الأسود المزود بأنشوطة والمشابه للسوط الذي ضُربت به، عندما كانت مثبتة بالعمود، لقد استخدموه مرتين فقط، ولم يضربوها بقوة حينها. شعرت بيد بيير اليسرى تلف خصرها، وكان يضع قدمه اليمنى على الفراش الذي منحه قليلاً من الثبات. في الوقت نفسه، الذي اعترى «او» إحساس بضجيج صفير في العتمة الجزئية، شعرت بحرق بالغ يسري على ظهرها. وبدأت بالصراخ. جلدها بيير بكل ما له من قوة، حتى أنه لم ينتظر أن تخمد صرخاتها، لكنه ضربها مجدداً أربع مرات، آخذاً بعين الاعتبار، أن يضربها كل مرة فوق المنطقة السابقة أو تحتها، حتى تتجلى جميع الآثار بوضوح أكبر. استمرت بالصراخ حتى بعد أن توقف، وانهمرت الدموع بغزارة نحو ثغرها المفتوح. ثم قال لها: (أرجوك كوني مطيعة كفاية واستديري)، وبما أنها كانت ذاهلة تماماً، لم تطعه، فأمسكها من وركيها، دون أن يترك

Twitter: @ketab_n

السوط جانباً، ما جعل المقبض يلامس خصرها. عندما كانت تجثو قبالته، تراجع قليلاً إلى الوراء، وأخفض سوطه إلى مقدمة فخذيها بأقصى ما لديه. استغرق الأمر برمته خمس دقائق. عندما غادر الغرفة، بعد أن أطفأ الضوء المشتعل، وأوصد باب الحمام، بقيت «او» تئن في الظلام وهي تتأرجح جيئة وذهاباً على طول الحائط عند نهاية سلسلتها. حاولت أن تتوقف عن الأنين، وأن تثبت نفسها على الحائط، الذي كان ملمسه اللامع لطيفاً على جسدها المعذب، فيما بدأ النهار يطلع ببطء. كانت النافذة الطويلة التي التفت نحوها نتيجة لاستنادها على ورك واحد، تنتصب قبالة جهة الشرق. كانت ممتدة من الأرضية إلى السقف، وتغطيها الستائر التي ماثل لونها الأحمر، لون المادة التي غلفت الجدار، والتي زينتها على الجهتين، وانقسمت إلى ثنيات متيبسة، تحت الحلقات التي كانت تمسك بها. شاهدت «او» بزوغ الفجر الباهت، وهو يجر ظلاله بين عناقيد زهرة النجمية، المتوضعة في الخارج عند نهاية النافذة، حتى ظهرت أخيراً شجرة حور. كانت الأوراق الصفراء تتساقط بين الحين والآخر بشكل دائري، مع أنه لم تكن هناك ريح تعصف في الأجواء. أمام النافذة، وخلف مزهر النجمية الأرجوانية، لاح المرج الأخضر، الذي ظهرت في نهايته طريق مشاة. لقد اكتمل النهار الآن، و«او» متسمرة مكانها منذ وقت طويل. ظهر بستاني يجر عربة يد على الطريق. كان صوت صرير العجلة الحديدية فوق الحصى مسموعاً. لو أنه جاء ليجمع الأوراق التي تساقطت بين زهرات النجمية، وبما أن النافذة كانت طويلة للغاية، والغرفة صغيرة ومشرقة، كان يمكنه رؤية «او» مقيدة بالسلسلة وعارية، وآثار جلدات السوط واضحة على فخذيها. كانت الجروح متورمة، وقد شكلت وذمات ضيقة أشد قتامة من حمرة الجدران. أين كان عشيقها نائماً، كما كان يحب أن ينام في الصباحات

Twitter: @ketab_n

الهادئة؟ في أي غرفة؟ وعلى أي سرير؟ أكان يدرك الألم والعذب اللذين سببهما لها؟ أهو من اتخذ القرار بما ستؤول إليه الأمور؟ لقد تذكرت «او» السجناء الذين رأتهم على النقوشات الفنية، أو في كتب التاريخ، الذين كانوا مقيدين أيضاً، وقد تعرضوا للجلد بالسوط منذ سنوات خلت، وقرون مضت، وماتوا. لم ترغب أن تموت، لكن إن كان العذاب هو الثمن الذي عليها أن تدفعه لتحافظ على حب عشيقها، فقد تمنت أن يكون راضياً، لأنها استطاعت تحمله. بكل هدوء وصمت، انتظرت أن يعيدوها إليه. لم تكن مفاتيح أي من الأقفال بحوزة الشابتين، ولا أقفال الأبواب ولا السلاسل والياقات أو الأساور، لكن كل رجل كان يحمل حلقة من ثلاث مجموعات من المفاتيح، كل حلقة من المجموعات المتعددة، كانت تفتح كل الأبواب أو كل الأقفال أو الياقات. وكانت هذه المفاتيح بحوزة المستخدمين أيضاً. لكن عندما حل الصباح، كان خدم الوردية الليلة نائمين، وكان أحد الأسياد أو خادم آخر، هو الذي فتح الأقفال. الرجل الذي دخل إلى حجرة «او»، كان يرتدي سترة جلدية وسروالاً قصيراً، وينتعل حذاءً عالي الساق. لم تتمكن من التعرف عليه. أولاً، فك السلسلة المثبتة على الحائط، والتي لم تتمكن «او» بسببها من التمدد على السرير. وقبل أن يحرر معصميها، مرر يديه بين فخذيها، كما فعل الرجل الأول الذي كان يرتدي قناعاً وقفازين، والذي رأته في غرفة الرسم الحمراء. ربما كان الرجل نفسه. كان وجهه بارز العظام وهزيلاً، تعتليه نظرة ثاقبة يمكن للمرء أن يماثلها بلوحات «الهوغونوتيون»[1]، وكان شعره رمادياً. حدقت «او» بنظرته وقتاً بدا

١- الهوغونوتيون: هم أعضاء كنيسة فرنسا الإصلاحية البروتستانتية، خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر. وقد تأثروا بكتابات جون كالفن في الربع الثاني من القرن السادس عشر.

Twitter: @ketab_n

دهراً، وفجأة توقفت، إذ تذكرت أنه من غير المسموح أن تنظر إلى الأسياد إلى ما فوق الحزام، لكن الأوان كان قد فات، وسمعته يضحك ويقول، بعد أن حرّر يديها أخيراً:

– ستعاقبين على تصرفك هذا بعد العشاء.

قال شيئاً لـ أندريه وجين اللتين دخلتا معه، وكانتا تنتظران عند طرفي السرير الذي ابتعد عنه بعد ذلك. التقطت أندريه الوسادة التي كانت مرمية على الأرض، والبطانية التي قلبها بيير إلى مؤخرة السرير عندما ضرب «او» بالسوط، بينما جرت جين عربة الطعام إلى مقدمة السرير، والتي كانت قد أحضرت إلى البهو، ووضع عليها القهوة والحليب والسكر والخبز والكعك والزبدة.

– اسرعي وكلي، قالت أندريه، إنها التاسعة صباحاً، ستنامين حتى الظهيرة في ما بعد، وعندما تسمعين الجرس، سيكون الوقت قد حان لتستعدي لتناول الغداء. ستستحمين وتسرحين شعرك. وسآتي لأزينك وأربط صدارك.

– لن تعملي حتى فترة ما بعد الظهيرة. ستقدمين القهوة والعنبري في المكتبة، وتشعلين النار. أضافت جين.

– وماذا عنكما؟ قالت «او».

– يفترض أن نهتم بك خلال الأربع والعشرين ساعة الأولى من إقامتك هنا. بعد ذلك، ستكونين وحدك، وستتعاملين مع الرجال فقط. لن يكون بمقدورنا أن نكلمك، ولن يكون بمقدورك أن تكلمينا أيضاً.

Twitter: @ketab_n

لا تذهبا، قالت «او». ابقيا قليلاً وأخبراني.. لكن لم يتسنَ لها الوقت لتنهي جملتها. فُتح الباب، وكان عشيقها واقفاً، لكنه لم يكن وحده. وكان يرتدي الزي الذي اعتاد أن يرتديه، عندما كان ينهض من سريره، ويشعل أول سيجارة في اليوم، ببجامة مخططة ورداء بلون أزرق، الروب الصوفي الحريري المبطن الذي انتقياه سوياً العام الماضي، وكان ينتعل شبشباً، وهنا فكرت أنه كان عليها أن تشتري له زوجاً آخر. اختفت الشابتان دون أن تصدر ا أي صوت، باستثناء صوت حفحفة الحرير، عندما رفعتا تنورتيهما (كانت كل التنانير طويلة، وتجر على الأرض)، كما أنه لم يُسمع صوت طرق الأحذية على السجادة. كانت «او» تمسك بفنجان القهوة بيدها اليسرى، وقطعة الكعك في اليد الأخرى. كانت تجلس على حافة السرير متصالبة الساقين، أو بشكل نصف متصالب، إحدى ساقيها متدلية والأخرى مطوية تحتها. لم تتحرك من مكانها، لكن فنجانها بدأ يهتز فجأة في يدها، وأوقعت قطعة الكعك. التقطيها، قال رينيه، كانت هذه أولى كلماته. وضعت الفنجان على الطاولة والتقطت قطعة الكعك المأكولة جزئياً، ووضعتها بجانب الفنجان. إلا أن كسرة دسمة من الكعك، كانت ما تزال على السجادة، بجانب قدميها العاريتين. هذه المرة، انحنى رينيه والتقطها، ثم جلس بالقرب من «او»، وسحبها ممدداً إياها على السرير، وقبّلها. سألته إن كان يحبها، فأجابها، (نعم، أحبك)، ثم استوى واقفاً على قدميه، وجعلها تقف أيضاً، ممرراً بنعومة كفيّ يديه الباردين ثم شفتيه على آثار الجلدات. لم تعرف «او» ما إذا كان بوسعها أن تنظر إلى الرجل الذي أتى مع عشيقها، والذي كان في اللحظة الحالية مولياً ظهره لهما، إلا أن ما حدث لاحقاً لم يكن من شأنه أن يطمئنها. تعالي إلى هنا لكي نراكِ، قال حبيبها، ثم قادها إلى مؤخرة السرير، ثم أشار إلى زميله أنه

Twitter: @ketab_n

كان محقاً وشكره، مضيفاً أنه سيكون من الإنصاف له أن يأخذ «او» أولاً إن كان يرغب بذلك. طلب منها الرجل الغريب والذي مازالت لا تجرؤ على النظر إليه، بعد أن مرر يديه فوق ثدييها وإلى الأسفل نحو ردفيها، أن تباعد بين ساقيها.

– افعلي ما يقوله، قال رينيه، الذي كان يمسك بها.

كان رينيه واقفاً أيضاً، وكان ظهرها قبالته. كان يداعب بيده اليمنى أحد ثدييها، وكانت يده الأخرى مسندة على كتفها. جلس الرجل الغريب على حافة السرير، أمسك وباعد ببطء الشعر، والشفتين السفليتين اللتين كانتا تحميان المدخل نفسه. دفعها رينيه إلى الأمام، حالما عرف ما هو مطلوب منها، لتكون سهلة المنال أكثر، وانزلقت يده اليمنى نحو خصرها، ممسكاً إياها بشكل أفضل. هذه المداعبة، التي لم تخضع لها دون أن تقاوم، والتي لطالما أشعرتها بالعار، وحاولت أن تتفاداها بأسرع ما يمكن، لدرجة أنها بالكاد حظيت بفرصة ملامستها، هذه المداعبة التي بدت تدنيساً للمحرمات بالنسبة إليها، لأنه كان من المحرم أن يكون عشيقها جاثياً على ركبتيه، وهي تشعر أنه يجب أن يعتليها، أحست فجأة أنها لن تهرب منها الآن، ورأت نفسها محكومة بذلك. لقد تأوهت عندما كانت الشفتان الغريبتان تضغطان على كومة اللحم، حيث انبثق التويج الداخلي، ما أشعرها بالاهتياج فجأة، تاركاً إياها تسمح لمقدمة اللسان الحارة أن تشعرها بالاهتياج أكثر، وتأوهت أكثر عندما بدأت الشفتان مجدداً، وشعرت أن الجزء المخفي يقسو ويرتفع، ثم أمسك هذا الجزء بعضة ماصة بين الأسنان والشفتين دون أن يتركه، ثم تبعتها عضة طويلة ملطفة، جعلتها تلهث لتلتقط أنفاسها. فقدت توازنها، ووجدت نفسها ممددة على السرير مجدداً، بينما كان

Twitter: @ketab_n

فم رينيه مطبقاً على فمها، وكانت يداه تثبتان كتفيها إلى السرير، أما اليدان الأخريان تحت ركبتيها، فكانتا ترتفعان وتباعدان ساقيها. يداها اللتان كانتا تحت ظهرها (عندما دفعها رينيه نحو الرجل الغريب، قام بربط معصميها معاً، وذلك بتثبيت سواري المعصمين بالمشبك)، كانتا تلامسان عضو الرجل الذكري، الذي كان يتداعب بالثلم بين ردفيها، قبل أن يرتفع ليقذف بقوة في أعماق بطنها. صرخت عند الولوج الأول كأنها تلقت ضربة سوط، ثم كذلك عند كل ولوج جديد، وكان عشيقها يقضم فمها. ابتعد الرجل فجأة عنها ووقع مرمياً على الأرض، وكأنه أصيب بصعقة ضوئية، وأطلق صرخة بكاء أيضاً. حرر رينيه يدي «او» ورفعها ممدداً إياها على السرير تحت البطانية. نهض الرجل ورافقه رينيه إلى الباب. بلمح البصر، رأت «او» نفسها محررة، معدومة من أي شيء، وملعونة. لقد تأوهت بين شفتي الرجل الغريب، كما لم يجعلها عشيقها تتأوه على الإطلاق، لقد صرخت تحت تأثير عضو رجل غريب، كما لم يجعلها عشيقها تصرخ أبداً. أحست بالإهانة والذنب، لم تكن ستلومه لو أنه كان سيتركها. لكن لا، أُغلق الباب مجدداً، وكان برفقتها، لقد عاد وتمدد إلى جانبها تحت الغطاء. كان ينسل نحو بطنها الرطب الحار، وبينما كان لا يزال يعانقها، قال لها: أحبك حتى عندما أقدمك للمستخدمين، سآتي في إحدى الليالي وأجلدك بالسوط حتى تنزفين دماً.

اخترقت أشعة الشمس الضباب، وغمرت الغرفة. وحدة جرس منتصف النهار أيقظهما. كانت «او» محتارة فيما يتوجب عليها فعله. كان عشيقها هناك، بالقرب منها، مسترخ بعذوبة ومستسلم، كما لو أنه كان ممدداً في السرير في تلك الغرفة ذات السقف المنخفض، التي

Twitter: @ketab_n

كان يأتي إليها لينام معها في كل ليلة تقريباً، منذ بدأا العيش معاً. كان سريراً كبيراً مصنوعاً من خشب الماهوغاني على الطراز الإنكليزي، وله أربعة أعمدة من دون الظلة، وكانت أعمدة المقدمة أطول من أعمدة المؤخرة. كان دائماً ينام على جانبها الأيسر، وكلما استيقظ، وإن كان الوقت في منتصف الليل، كانت يداه تصلان حتماً إلى ساقيها، لذلك لم تكن ترتدي سوى الرداء الليلي، وإن كانت ترتدي البيجامة، فيكون ذلك من دون الملابس التحتية. وهذا ما فعله الآن، فأمسكت بتلك اليد وقبلتها، دون أن تجرؤ أن تسأله عن أي شيء. لكنه تكلم. أخبرها ممسكاً إياها من الياقة، وقد انسل إصبعان اثنان بين الرقبة والياقة، بأنه كان في نيته أن يتقاسمها من الآن وصاعداً، مع أولئك الذين يختارهم، ومن قبل أولئك الذين لم يكن يعرف من كان منهم مرتبطاً بمجتمع القصر، أن يتقاسموها كما حصل في الليلة السابقة. بما أنها كانت تابعة له وحده فقط، ومع أنها قد تتلقى الأوامر من أشخاص غيره، لذلك سواء كان حاضراً أم غائباً، وعلى سبيل المبدأ، كان يشارك في أي شيء قد يُطلب منها، أو يُفرض عليها. لذا، كان هو من تملكها واستمتع بها، بواسطة الأيدي التي قُدمت إليها، ومن خلال الحقيقة البسيطة أنه قدمها لهم. يتوجب عليها أن تحييهم وتخضع لهم بنفس الاحترام الذي كانت تحييه، كما لو أنهم كانوا انعكاسات كثيرة عنه. وهكذا، تملكها كما يتملك الملك أتباعه، والذي قد يأتي إليها على هيئة وحش أو عصفور، أو روح غير مرئية، أو حالة من النشوة. لم يرغب أن يتركها، وكلما جعلها تستسلم، تعلق بها أكثر. حقيقة أنه سلمها، كانت بمثابة دليل له، ويجب أن يكون دليلاً لها أيضاً، وهي كانت ملكاً له، إذن، يمكن للمرء أن يقدم ما يملكه فقط. لقد قدمها ليستعيد ملكيتها في الحال، لتكون مكرمة في نظره، حالها كحال بعض الأشياء المعروفة، التي كانت تستخدم لهدف

Twitter: @ketab_n

مقدس، وبالتالي كانت مقدسة. منذ فترة طويلة، كان يرغب أن يجعلها مومساً، وكان مبتهجاً لأنه شعر أن المتعة التي غمرته، كانت أكثر بكثير مما تمناه، وهذا ما زاد ارتباطه بها، وما عزز ارتباطها به أكثر، لأنها هكذا ستكون أكثر عرضة للإذلال والانتهاك. بما أنها كانت تحبه، لم تستطع إلا أن تحب أي شيء يصدر عنه. أصغت «او» وارتجفت من السعادة، لأنه كان يحبها، وكلما أذعنت كانت ترتجف أكثر. كان ظنه في محله، لذلك تابع حديثه قائلاً:

– لأنه من السهل عليك أن توافقي على ما سأطلبه منك، إلا أنه قد يستحيل عليك ذلك مع الوقت، حتى وإن وافقتِ مسبقاً، وإن قبلتِ الآن، وظننتِ أنه يمكنك الخضوع، فلن يكون بمقدورك ألا تتمردي. سيكون خضوعك رغماً عنك، ذلك ليس من أجل المتعة البالغة التي سأحصل عليها أنا والآخرون، لكنك أيضاً ستدركين ما حلّ بك.

كانت «او» على وشك أن تقول إنها أَمَتُه، وإنها خاضعة له بكل سعادة، لكنه أوقفها.

– لقد قيل لك البارحة، طالما أنك في القصر، فمن غير المسموح أن تنظري إلى وجه الرجل، وهذا الأمر ينطبق عليّ أيضاً، معي يجب أن تكوني مطيعة وصامتة. أحبك. انهضي الآن. من الآن وصاعداً، الأوقات التي ستفتحين فيها تغرك أمام رجل، إما للصراخ أو للمداعبة.

وهكذا، نهضت «او». بقي رينيه ممدداً على السرير. استحمت وسرحت شعرها. ملامسة عورتها المتورمة للماء الفاتر جعلها ترتجف، مما اضطرها أن تدلك نفسها بالإسفنجة دون احتكاك، لتمنع تأجج الألم الحارق.

Twitter: @ketab_n

زينت فهما من دون عينيها، ووضعت البودرة على جسدها، عادت إلى الغرفة وهي ما تزال عارية، لكن بعينين منخفضتين. كان رينيه لا يزال ينظر إلى جين التي وصلت إلى الغرفة، وكانت تقف عند مقدمة السرير خافضة الرأس أيضاً، دون أن تنبس بكلمة. طلب منها أن تُلبس «او». أخذت جين صدار الساتان الأخضر، والتنورة التحتية البيضاء والفستان والحذاء الأخضر، وثبتت الصدار في المقدمة، وبدأت تربطه من الخلف بشكل محكم. كان الصدار طويلاً متيبساً وسميكاً، شبيهاً بتصاميم الفترة التي كانت فيها أحزمة الخصر أكثر رواجاً، ومزودة بوصلة لدعم النهدين. كلما كان الصدار ضيقاً، ارتفع الثديان أكثر، بفضل الوصلة التي تدعمهما، وبرزت الحلمتان بشكل واضح أكثر. وفي الوقت نفسه، جعل تغليف خصرها بالحزام، معدتها تبرز، ومؤخرتها تتقوس بشكل حاد. الأمر الغريب أن هذا الدرع كان باعثاً على الارتياح لدرجة معينة. إذ يجعلك تقف بشكل منتصب جداً، لكنه يجعلك تدرك، لَم كان من الصعوبة بمكان، أن يكون ذلك الجزء من الجسد غير مقيد، والذي قد يكون متاحاً أو لا يكون. الزي المؤلف من التنورة الطويلة والتقويرة شبه المنحرفة، من قاعدة الرقبة وحتى حلمة الثديين، وعبر طول الصدر الكامل، بدا للفتاة أقل أماناً، من كونه أداة مصممة للتحريض أو التقديم. عندما عقدت جين الأربطة بشكل عقدة مزدوجة، أخذت «او» الفستان من فوق السرير. كان قطعة واحدة، والتنورة الداخلية مرفقة بالتنورة كالبطانة المنفصلة، والصدار المربوط بشكل متصالب في الأمام والمشدود في الخلف، جُعل كذلك، لملاءمة جسدها الناعم، اعتماداً على كيفية ربط الصدار بشكل محكم. ربطته جين بشكل محكم، واستطاعت «او» أن ترى انعكاس نفسها في المرآة من الباب المفتوح. كانت رشيقة وتائهة في الساتان الأخضر المنتفخ

Twitter: @ketab_n

عند وركيها، كما تفعل التنورة الموسعة. كانت الشابتان تقفان جنباً إلى جنب، مدت جين يدها لتسوي تجعيدة في الفستان الأخضر، وكان ثدياها متدليين من الصدار عند حافة الدانتيل، الثديان اللذان كانت حلماتهما طويلتين، تغلفهما هالة بنية. كان فستانها من قماش الفاي الأصفر. رينيه الذي اقترب من المرأتين، قال لـ «او» انتبهي، ولـ جين، ارفعي فستانك. فرفعت بيديها الاثنتين الحرير المهفهف، والقماشة القطنية التي تبطنه، كاشفة بذلك عن بطنها الذهبي، ووركيها المتوهجين وركبتيها، وعن المثلث الغرامي الأسود الضيق. وضع رينيه يده على المثلث فتوهج ببطء، وأثار بيده الأخرى حلمة أحد الثديين. وقال لـ «او»: لكي تري بكل بساطة. رأت «او». وجهه الساخر والملاطف، كانت عيناه تراقبان بانتباه ثغر جين نصف المفتوح، ورقبتها التي كانت مستوية إلى الخلف، ومحاطة بالياقة الجلدية بشكل محكم. ما هذه المتعة التي كانت تمنحه إياها، والتي لم تشعره بها هذه الفتاة أو سواها؟.

- لم يحدث هذا معك، أضاف قائلاً.

لا، لم يحدث هذا معها. لقد انهارت قبالة الحائط بين البابين، كانت يداها متدليتين بارتخاء. لم يعد هناك أي داع ليخبرها أن تلتزم الهدوء. كيف أمكنها التكلم؟ ربما تأثر من يأسها. ترك جين وحضنها بين ذراعيه، مخاطباً إياها «حبي وحياتي»، مكرراً المرة تلو الأخرى أنه أحبها. كانت اليد التي تداعب رقبتها، منكهة بعطر جين. ثم ماذا؟ اليأس الذي سيطر عليها، انحسر ببطء، لقد أحبها، أجل، لقد أحبها. كان حراً ليستمتع مع جين أو مع الأخريات، لقد أحبها. «أحبك»، همس في أذنها بصوت ناعم بالكاد سمعته. «أحبك». لم يغادر حتى رأى عينيها بدتا واضحتين، وأصبحت هادئة ومطمئنة البال. أمسكت

Twitter: @ketab_n

جين بيد «او» وجعلتها تجتاز البهو. مجدداً، أصدرت أحذيتهما صوت طقطقة على الأرض المكسوة بالقرميد، ومجدداً، وجدتا خادماً يجلس على الكرسي بين الأبواب. كان يلبس مثل زيّ بيير، لكنه ليس هو. هذا المستخدم كان طويلاً وجافاً وشعره غامق. لقد تبعهما وأرشدهما إلى حجرة الانتظار، حيث كان بانتظارهما أمام باب حديدي، انتصب بين ستارتين طويلتين خضراوين، مستخدمان برفقتهما بعض الكلاب البيضاء، المرقطة ببقع خمرية، والممددة عند أقدامهما. هذا هو الملحق، تمتمت جين. لكن المستخدم الذي كان يمشي أمامهما، سمعها واستدار إليهما. دُهشت «او» عندما رأت وجه جين الشاحب، أفلتت يدها، وتركت فستانها الذي كانت تمسكه برفق في يدها الأخرى، وغاصت على ركبتيها على الأرضية السوداء المكسوة بالبلاط، لأن حجرة الانتظار كانت مكسوة بالبلاط الأسود. انفجر المستخدمان اللذان كانا قرب البوابة من الضحك، وتقدم أحدهما بأدب نحو «او» ودعاها لمرافقته، وفتح باباً معاكساً للباب الذي دخلته للتو، وجلس جانباً. لقد سمعت ضحكات وصوت دعسات الأقدام، ثم أُغلق الباب خلفها. لم تعرف على الإطلاق ما الذي حدث حينها، فيما إذا عوقبت جين لأنها تكلمت، وما هو العقاب الذي تلقته، أم أنها استسلمت ببساطة لنزوة المستخدم، أم أنها بانحنائها على ركبتيها كانت تطيع القوانين، أم كانت تحاول أن تثير شفقته، وهل نجحت في ذلك. خلال إقامتها الأولية في القصر والتي استمرت مدة أسبوعين، لاحظت أنه على الرغم من أن قاعدة الصمت مطلقة، كان من النادر ألا يحاولن خرقها، عندما يكنّ لوحدهنّ برفقة المستخدمين، وإما عندما يتم أخذهنّ من وإلى أي مكان ما داخل القصر، أو أثناء الوجبات، خاصة خلال النهار.

Twitter: @ketab_n

على الـرغم أن الملابس منحتهن شعـوراً بـالاطمئنان الذي دمره العري والسلاسل الليلية ووجود السيد، كما أنها لاحظت أن أصغـر الايماءات والتي يمكن أن تفسر خطوة نحو السيد، بـدت أمراً غير قابـل للتصور، بيد أن الأمـر نفسه لم ينطبق على المستخدمين. إنهـم لا يصدرون الأوامر إطلاقاً، مـع أن أسلوب طلبهـم المهذب، كـان يحمل قسوة إصدار الأوامـر. من الواضح أنهم كانـوا ينضمون لتنفيذ عقوبـات خـرق الأوامـر الحرفي الذي كان يحدث أمامهم، على الفور. وهكذا، في ثلاث مناسبات، مرة في البهو المؤدي إلى الجناح الأحمر، ومرتين في الحجرة التي دخلنها للتو، شاهدت «او» فتيات تُرمى على الأرض، ويجلدن بالسوط، لأنهن شوهدن بالجرم المشهود. لذا كان من الممكن أن يجلدن في وضح النهار، خلافاً لما قيل في الليلة الأولى، كأن ما حدث مع المستخدمات لم يُحتسب، وترك الأمر لفطنتهن. جعل ضوء النهار ملابسهن تبدو غريبة وتعرضهن للخطر. كان بعض المستخدمين يرتدون جوارب سوداء، وبدلاً من السترة الحمراء والقميص الأبيض المزركش، كانوا يرتدون قميصاً حريرياً أحمر واسع الكمين، مثنياً عند الرقبة، وعند المعصمين في الكمين أيضاً. في ظهيرة اليوم الثامن، كان أحد هؤلاء المستخدمين وقد أمسك سوطه في يده، أمام فتاة شقراء مكتنزة الجسد اسمها مادلين، والتي لم تكن تجلس بعيداً عن «او»، تنهض من كرسيها. مادلين التي كان صدرها ممتلئاً، ابتسمت له وتكلمت بضع كلمات بسرعة كبيرة، لدرجة أن «او» لم تتمكن من سماعها. وقبل أن يتسنى له الوقت كي يلمسها، جثت على ركبتيها، وقد بدت يدها ناصعة البياض فوق الحرير الأسود، وداعبت بخفة العضو الذكري الخامد الذي أخرجته ووضعته في فمها نصف المفتوح. هذه المرة لم تكن تُجلد بالسوط. وبما أنه كان المراقب الوحيد

Twitter: @ketab_n

في حجرة الطعام، وبما أنه أغمض عينيه عندما قبل بالملاطفة، بدأت الفتيات الأخريات بالتكلم. لذا، كان من الممكن رشوة المستخدمين. لكن ما الفائدة من ذلك؟ إن كانت هناك قاعدة واحدة تؤرق «او» في الخضوع، وبالفعل، لم تولها الخضوع الكامل، إنها القاعدة التي تمنعهن من النظر إلى وجوه الرجال، على اعتبار أن هذه القاعدة تنطبق على المستخدمين أيضاً. لذا، شعرت «او» أنها في خطر دائم، لأن فضولها المتعلق بالوجوه كان أمراً ملحاً، وحقيقة الأمر أنها جُلدت من قبل المستخدَمَين، بيد أنهما لم يفعلا ذلك في كل مرة يلاحظان خروقاتها، (لأنهم أطلقوا بعض الحرية بخصوص التعليمات، وربما كانوا يهتمون أكثر بالافتتان الذي يمارسونه، بأن لا يحرموا أنفسهم جراء صرامة وفعالية تطبيق هذه التعليمات، من النظرات التي قد تغادر أفواههم ووجوههم لتنصب فقط على الأعضاء الذكرية، والسياط، والأيادي، ثم معاودة الأمر من جديد). ولكن هذا فقط عندما كانا يريدان إذلالها على الأرجح. ومهما كانا قساة في معاملتها عندما كانا يصممان على فعل ذلك، فإنها لم تكن تملك الجرأة أو الجُبن إطلاقاً، لترمي نفسها تحت أقدامهما، على الرغم أنها أذعنت لهما في أوقات لم تستدرجهما أو تدفعهما إلى القيام بجلدها. أما بخصوص قاعدة الصمت، فقد عنت لها القليل، باستثناء عندما تكون برفقة عشيقها، فهي لم تتجاوزها مرة، وكانت تجيب بالإشارة، عندما كانت تستغل أية فتاة فرصة تشتت انتباه الحراس المؤقت، للتحدث معها. كان هذا يحدث عادة أثناء الوجبات، التي كانت تؤكل في الغرفة التي أُدخلن إليها، عندما التفت المستخدم الطويل الذي رافقهن، نحو جين. كانت الجدران سوداء، والأرض الحجرية كذلك الأمر، والطاولة الطويلة ذات الكؤوس الثقيلة، كانت سوداء اللون أيضاً. وكان لكل فتاة كرسي مدور، مغطى بجلد أسود،

Twitter: @ketab_n

تجلس عليه. كان عليهن أن يرفعن تنانيرهن كي يجلسن، وهكذا، استعادت «او» في ذاكرتها اللحظة التي شعرت فيها بملمس الجلد البارد والأملس تحت فخذيها، عندما جعلها عشيقها تخلع جوربيها، وسروالها الداخلي، لتجلس بالطريقة ذاتها على المقعد الخلفي للسيارة. وعلى العكس، عندما غادرت القصر أصبحت ترتدي كما يرتدي الجميع. ما خلا أنها كانت عارية تحت زيها أو فستانها البسيط. وكلما كان عليها أن ترفع الزي التحتي أو تنورتها، لتجلس إلى جانب عشيقها، أو إلى جانب أي أحد آخر، سواء على مقعد السيارة أو كرسي في المقهى، كانت تسترجع ذكريات القصر، والأثداء المتدلية من الصدار الحريري، والأيدي والأفواه التي لم يحرم عليها شيء، والصمت المريب. مع ذلك، وباستثناء السلاسل، لم يكن من شيء يشعرها بالارتياح كالصمت. السلاسل والصمت، اللذان كانا يجب أن يعمقا صلتها مع ذاتها بشكل أكبر، وأن يقمعاها ويكبحاها، لكن على العكس، حرراها من ذاتها. ما الذي كان سيحل بها لو أنها مُنحت حق الكلام، لو أنها امتلكت حرية الاختبار، عندما جعلها عشيقها تمارس الدعارة أمام عينيه؟صحيح أنها لم تتكلم لأنها كانت تتعرض للتعذيب، لكن هل يمكن تصديق الآهات والبكاء على أنها كلمات؟ إضافة إلى أنهم غالباً ما كانوا يسكتونها بالتكميم. لقد أضاعت نفسها في غياب هذياني أعادها إلى الحب، أو ربما إلى حافة الموت، جراء تلك النظرات، وتحت الأيدي والأعضاء الذكرية التي دنستها، وجلدات السوط التي مزقتها. كانت أي أحد، أي أحد على الإطلاق، أية واحدة من الفتيات الأخريات، اللواتي كنّ يمارسن الجنس ويجبرن على ذلك، فتيات رأتهن يباعدن أرجلهن ويغتصبن، لقد رأت ذلك، حتى عندما لم تكن مجبرة أن يكون لها يد في ذلك. وهكذا، خلال أقل من أربع وعشرين ساعة على

Twitter: @ketab_n

وصولها، وفي يومها الثاني هناك، أُخذت إلى المكتبة بعد أن أنهت وجبتها، لتقدم القهوة وتُشعل النار. أُعيدت الوصيفة جين ذات الشعر الأسود، وذهبت برفقتها، وكذلك فعلت فتاة أخرى اسمها مونيك. كان برفقتهن إلى هناك المستخدم نفسه، وقد بقي في الغرفة، متسمراً عند العمود الذي تسمرت عنده «او». كانت المكتبة لا تزال فارغة، الأبواب الفرنسية مبللة بالرطوبة، وفي السماء الفسيحة الخالية من الغيوم تقريباً، شقت شمس الخريف طريقها ببطء، وكانت أشعتها تضيء خزانة ذات جوارير، وباقة كبيرة من زهرة الأقحوان الكبريتية اللون، التي انبعثت منها رائحة الأرض والأوراق الميتة. هل سبب لك بيير علامات الجَلد الليلة الماضية؟ سأل المستخدم «او». هزت رأسها بالإيجاب. إذاً، عليك أن ترينا ذلك. ارفعي فستانك لو سمحتِ. انتظر حتى رفعت ثوبها إلى الخلف، كما فعلت جين في الليلة الماضية، انتظر إلى أن ساعدتها جين على ثنيه، ثم طلب منها أن تشعل النار. كانت مؤخرة «او» وصولاً إلى خصرها، وفخذيها، وساقيها الناعمتين، مؤطرة داخل ثنيات الحرير الأخضر المنسدل والكتان الأبيض. لقد تحول لون الجلدات الخمس إلى الأسود. كانت النار جاهزة للاشتعال في المدفأة، وما كان على «او» إلا أن تشعل القش تحت المادة المضرمة، والتي تحولت إلى شرارة. سرعان ما اشتعلت أغصان شجر التفاح ثم ألواح البلوط، مصدرة طقطقة وألسنة لهب طويلة لا لون لها، والتي كانت بالكاد مرئية في وضح النهار، وقد انبعثت منها رائحة طيبة. دخل مستخدم آخر ووضع صينية مليئة بفناجين القهوة على الطاولة المسندة إلى الحائط، والتي أزيح عنها المصباح، ثم غادر الغرفة. اقتربت «او» من الطاولة بينما بقيت مونيك وجين واقفتين عند طرفي المدفأة، ثم دخل الرجلان وغادر الخادمان بدورهما الغرفة. ظنت «او» أنها

Twitter: @ketab_n

ميزت أحد الرجلين من صوته، واحد من أولئك الذين أجبروها الليلة الماضية، والذي طلب منها أن تكون مؤخرتها سهلة المنال أكثر. استرقت نظرة إليهما، عندما سكبت القهوة في الفناجين الصغيرة السوداء والذهبية، التي ناولتها إياها مونيك مع السكر.

إذاً، لقد كان هذا الشاب النحيل الأشقر اليافع المراهق، والذي أحاطت به نفحة إنكليزية. بدأ يتحدث مجدداً، لقد تأكدت الآن. أما الرجل الآخر، فكانت بشرته فاتحة أيضاً، قوي البنية، ممتلئ الوجه. جلس كلاهما على الأرائك الجلدية الكبيرة، وكانت أقدامهما بالقرب من النار.، يدخنان بهدوء ويقرءان جرائدهما. لا يعيران النساء أي انتباه، كأنه لا وجود لهن. سُمع الآن صوت خشخشة الورق، أو صوت الفحم المتساقط في الموقد.

من حين إلى آخر، كانت «او» تضع ألواح الخشب في النار. على كانت تجلس على وسادة على الأرض، إلى جانب سلة الخشب. كانت جين ومونيك تجلسان على الأرض أيضاً، بعيداً عنها. كانت تنوراتهما المنسدلتان متداخلتين الواحدة فوق الأخرى. تنورة جين كانت بلون أحمر قان. فجأة، وبعد أن مضت ساعة من الوقت، استدعى الشاب الأشقر جين ثم مونيك، أخبرهما أن تحضرا الأريكة (كانت الأريكة نفسها التي باعدت «او» ساقيها عليها الليلة الفائتة). لم تنتظر مونيك المزيد من المعلومات، جثت على ركبتيها وانحنت، وارتطم ثدياها بالشاب الأول، وكانت يداها تمسكان بزاويتي الأريكة. عندما أمر الشاب جين أن ترفع التنورة الحمراء، لم تتحمس للأمر. كانت جين حينها مجبرة أن تفك ملابسه، وقد أمرها بفعل ذلك بأكثر أسلوب فظ، وأمسكت بين يديها بعضوه الذكري، الذي اخترق «او» بقسوة مرة

Twitter: @ketab_n

واحدة على الأقل. لقد تورم وتيبس داخل راحة اليد المطبقة، ورأت «او» هاتين اليدين، يديّ جين الصغيرتين تباعدان فخذي مونيك، حيث ولج الشاب إلى التجويف المتوضع بينهما ببطء وبتقلصات قصيرة، ما جعلها تتأوه.

الرجل الآخر الذي كان يراقب بصمت، أشار لـ «او» أن تقترب، دون أن يبعد نظره عن المشهد، جعلها تجلس على أحد ذراعي كرسيه، حيث أتاحت له تنورتها المرفوعة مشهداً خلفياً لمؤخرتها، وأمسك رحمها بيديه. بهذه الوضعية رآها رينيه، عندما فتح الباب بعد لحظات من ذلك - لا تدعوني أزعجكم أرجوكم- وجلس على الأرض، على الوسادة التي كانت تجلس عليها «او»، إلى جانب الموقد، قبل أن تُستدعى. راقبها عن كثب، وابتسم في كل مرة مسدتها اليد التي كانت تمسك بها، وتعتصر الفتحتين الأمامية والخلفية، وتتغلغل أعمق فأعمق عندما تتباعدان أكثر، باعثة منها تنهيدة ملتوية، لم تعد تستطيع كبحها.

كانت قد مضت فترة طويلة منذ أن عادت مونيك إلى توازنها، كانت جين تقلب النار وهي تجلس مكان «او»، أحضرت لـ رينيه كأساً من الويسكي، وقبّل يدها عندما قدمتها له، ورشفها رشفة واحدة دون أن يزيح نظره عن «او».

- قال الرجل الذي كان ما يزال ممسكاً بها: أهي ملك لك؟

- أجل، أجاب رينيه.

- فتابع الآخر، جيمس محق، الفتحة ضيقة جداً، ويجب توسيعها.

Twitter: @ketab_n

– فرد جيمس، ليس كثيراً، من بعد إذنك.

– كما تريد، أجابه رينيه، واستوى واقفاً على قدميه قائلاً، أنت تجيد الحكم أفضل مني، ثم قرع الجرس.

خلال الأيام الثمانية القادمة، في فترة الغسق، عندما أصبحت مهمتها في المكتبة على وشك أن تنتهي، وفي تلك الساعة من الليل، التي كانت عموماً بين الثامنة والعاشرة، وعندما كانت عائدة إلى حجرتها، مكبلة بالسلاسل وعارية تحت الرداء الأحمر، كانت «او» تضع قضيباً مطاطياً يمثل العضو الذكري المنتصب، وقد أُقحم من الخلف، مُثَبتاً مكانه بثلاث سلاسل صغيرة، موصولة بحزام جلدي حول وركيها، بطريقة لا تمكّن حركة عضلاتها الداخلية من إخراجه. كانت سلسلة صغيرة تتبع الثلم بين ردفيها، والسلسلتان الأخريان كانتا مثبتتين على طرفي مثلث البطن، ما يسمح بالولوج لأي كان إلى داخل هذا الجانب، إن دعت الحاجة إلى ذلك. عندما رن رينيه الجرس كان ذلك من أجل الصندوق الحديدي، الذي كان يحتوي، أو كانت تحتوي إحدى مقصوراته على تشكيلة متنوعة من السلاسل الصغيرة والأحزمة، والذي كانت تحوي مقصوراته الأخرى على هذه الأقضبة، التي تتنوع من الرفيع جداً إلى الثخين جداً. كان ثمة ميزة واحدة تميزها جميعاً، أنها تتوسع عند القاعدة، ما يجعل انزلاقها إلى دخل الجسم أمراً مستحيلاً، إذ قد يخلف ذلك نتيجة عكسية عما هو مرغوب به، جاعلاً حلقة الجلد تضيق مجدداً، بينما الهدف المرجو أن يتم بسطها. وهكذا، تتمدد وتتمدد كل يوم بمقدار ضئيل، كرمى لجميس الذي جعلها تنحني على ركبتيها، أو أن تتمدد بوضع الرقود، كي يراقبها، بينما تقوم جين أو مونيك، أو أي فتاة أخرى صدف أن كانت هناك، بتثبيت القضيب الذي اختاره، كان

Twitter: @ketab_n

يختار قضيباً أثخن كل يوم. كانت «او» ما تزال تضعه أثناء وجبة العشاء التي كانت تتناولها الفتيات سوياً، في حجرة الطعام ذاتها، بعد الحمام، وهنّ ما يزلن عاريات ومعطرات بالبودرة، وكان باستطاعة الجميع رؤيتها وهي تضعه، بسبب السلاسل الصغيرة والحزام. كان يُنتزع من قبل الخادم فقط، عندما كان يأتي ليقيدها بالسلسلة التي يثبتها بالحائط، في الأمسيات التي لا يرسل أحد في طلبها، أو عندما كان يأتي أحدهم ليثبت يديها خلف ظهرها ليصطحبها إلى المكتبة. نادرة هي الليالي التي لم يأتِ فيها أحد ليستغل هذا الممر، الذي تم تعديله بسهولة، ومع ذلك كان أضيق من غيره. بعد ثمانية أيام، لم يكن هناك داعٍ للأداة، أخبرها عشيقها أنه كان سعيداً أن الممر أصبح أوسع مرتين، وأنه على ثقة أنه سيظل كذلك. في الوقت ذاته، حذرها أنه سيغادر، وأنها لن تراه في الأيام السبعة الأخيرة التي ستقضيها في القصر، قبل أن يعود ليصطحبها ويعيدها إلى باريس. لكنني أحبك، ثم أضاف، إنني أحبك بالفعل، لا تنسي. وكيف لها أن تنساه! لقد كان اليد التي عصبت عينيها، والسوط الذي استخدمه بيير ببراعة. كان السلسلة المتدلية فوق رأسها، والرجل الغريب الذي اعتلاها، وكل الأصوات التي أعطتها الأوامر كان صوته هو. أكانت تشعر بالتعب؟ لا، يبدو أنها بدأت تعتاد على الفظاعة لشدة تدنيسها وانتهاكها، وعلى المداعبة لكثرة الأيادي التي داعبتها، هذا إن لم تعتد على الجلد بالسوط لكثرة ما تعرضت له من جلد. كان لهذا المقدار المفرط من الألم والمتعة أن ينقلها من حالة الخَدَر إلى حالة تتوسط النوم أو السير أثناء النوم، وإن بدرجات ضئيلة. لكن على العكس، فالصدار الذي جعلها منتصبة، والسلاسل التي جعلتها خاضعة، وملاذ الصمت خاصتها، يتحملون المسؤولية بشكل جزئي، كما هو حال المشاهدة الدائمة للفتيات اللواتي كان يتم تبادلهن واستخدامهن مثلها،

Twitter: @ketab_n

حتى عندما لم يكنّ في هذه الحالة، ورؤية الأجساد المتاحة دائماً، وأيضاً رؤية وإدراك جسدها. يومياً، وفي كل المناسبات على حد التعبير، عندما كانت تدنس باللعاب والسائل المنوي، شعرت أنها مستودع النجاسة، وبؤرة الفساد التي جاء ذكرها في الكتاب المقدس. مع أن أجزاء جسدها تلك كانت دنس باستمرار، لكن الإدراك الشعوري لديها قد تضاءل، وفي الوقت نفسه، بدت بالنسبة إليها أجمل، كما لو أنها من النبلاء. كان فمها يطبق على أعضاء مجهولة، وكانت الأيادي تداعب حلمتي ثدييها باستمرار، وكان الثلم المجاور بين فخذيها في حالة اهتياج دائم ليتم الولوج إلى داخله. وفكرة أنه كان يجب أن تكون من النبلاء، وأن تكرم جزاء ممارستها للدعارة، كانت مصدراً للمفاجأة، مع أن الكرامة كانت تنبع من الداخل بالفعل، وكان سلوكها الهادئ حسب الطلب. بينما يمكن لوجهها أن يعكس ابتسامة هادئة طفيفة، يمكن للمرء أن يدركها، مفضلاً إياها على الابتسامة المرسومة في أعين النساك.

عندما أبلغها رينيه أنه سيغادر، كان الليل قد حل، وكانت «او» عارية في حجرتها، في انتظار أن يأتوا ليأخذوها إلى حجرة الطعام. أما عشيقها فكان يرتدي زيه الاعتيادي، بذلة كان يرتديها كل يوم في البلدة. إنها البذلة التي كان يرتديها كل يوم في البلدة عندما يأتي لاصطحابها. عندما كان يعانقها بين ذراعيه، كانت أنسجة الملابس الخشنة تزعج حلمتي ثدييها. قبّلها ومددها على السرير، وتمدد إلى جانبها، ثم بدأ يلجها بنعومة ولطف وبطء، متعاقباً بين المنفذين المفتوحين أمامه، قبل أن يقذف بنفسه داخل فمها الذي قبله ثانية. قال لها، قبل أن أغادر، أود أن أجلدك بالسوط، لكني سأطلب الإذن منك هذه المرة، هل توافقين؟ لقد وافقت. أحبك، قالها مراراً، رني الجرس لـ

Twitter: @ketab_n

بيير. قرعتِ الجرس. قيد بيير يديها بالسلاسل فوق رأسها، مثبتاً إياها بسلسلة السرير. عندما كانت مثبتة هكذا، قبّلها عشيقها مجدداً، ووقف إلى جانبها عند السرير. ثم أخبرها مجدداً أنه يحبها، ونهض من السرير وأومأ برأسه لـ بيير. شاهدها تقاوم، لكن دون فائدة تُرجى، وأنصت إلى آهاتها المتورمة التي تحولت إلى بكاء منهمر. عندما تساقطت دموعها، أبعد بيير عنها. واستطاعت حينها أن تجد القوة لتخبره مجدداً أنها أحبته. ثم قبّل وجهها المبلل وثغرها اللاهث، وفك وثاقها، ومددها على السرير وغادر الغرفة. القول إن «او» بدأت تنتظر عودة عشيقها في اللحظة التي يغادرها، يعتبر تصريحاً مكبوتاً لدرجة كبيرة، فمن الآن وصاعداً، تقضي أوقاتها بين صحوة التأمل والليل. ففي النهار، كانت سيماء وجهها كلوحة مرسومة، بشرتها ناعمة وفمها خانع، وكانت هذه الفترة الوحيدة التي تنصاع فيها للقوانين، إذ كانت عيناها منخفضتين دوماً. كانت تعد النار وتشعلها، وتسكب القهوة وتقدمها، وتشعل السجائر. كانت ترتب الأزهار وتطوي الجرائد، كفتاة شابة في غرفة معيشة والديها، شفافة بعنقها البارز والياقة الجلدية والصدار المحكم وأساور السجناء. هذا كل ما كان يحتاج إليه الرجال الذين كانت تقوم على خدمتهم، ألا وهو إمرتها أن تبقى إلى جانبهم، بينما ينتهكون فتاة أخرى، حتى تثار الرغبة في داخلهم ويدنسونها أيضاً، وهذا ما يفسر دون أدنى شك سبب معاملتهم لها بطريقة أسوأ من ذي قبل. هل ارتكبت إثماً؟ أم أن عشيقها هجرها حتى يشعر الرجال الذين أقرضهم إياها بحرية أكبر في التحكم بها؟ على أية حال، تبقى الحقيقة الماثلة أنه في اليوم الذي تلا مغادرته عند هبوط الليل، دخل بيير إلى الغرفة، عندما كانت قد خلعت ملابسها، وبدأت تنظر في مرآة الحمام إلى الجلدات المتلاشية تقريباً، بفعل سوطه ذي الأنشوطة على مقدمة

Twitter: @ketab_n

فخذيها. كان أمامها ساعتان حتى يحين موعد العشاء. أخبرها أنها لن تتعشى في الغرفة المعتادة، وأن عليها أن تعد نفسها، مشيراً إلى الحمام التركي عند الزاوية، الذي كان عليها أن تحشم فوقه، كما نبهتها جين أن تفعل بحضور بيير. ظل واقفاً يتأملها طيلة فترة تواجدها هناك، استطاعت أن تراه وترى نفسها في المرأة، و لم يمكن بمقدورها أن تمنع الماء المتساقط الذي كان يفر من جسدها. انتظرها حتى استحمت وتعطرت بالبودرة. كانت ذاهبة لتحضر حذاءها ورداءها الأحمر، عندما أوقفها مثبتاً يديها خلف ظهرها وأضاف قائلاً، أنه لا داعي لذلك، وأن عليها أن تنتظره قليلاً. جلست عند زاوية السرير. كان الجو عاصفاً في الخارج، باعثاً حبات المطر الباردة والريح، وكانت شجرة الحور قرب النافذة تتأرجح جيئة وذهاباً بفعل الريح القوية. ومن حين إلى آخر، كانت ترتطم ورقة شاحبة مبللة بزجاج النافذة. كان الجو معتماً كما لو أنه في منتصف الليل، مع أن عقارب السابعة لم تكن قد دقت بعد، فالخريف قد حلّ موعده، وساعات النهار بدأت تقصر. عندما عاد بيير كان يحمل العُصابة التي استخدمها لعصب عينيها في الليلة الأولى. كما أنه كان يحمل سلسلة طويلة، كانت تصدر صوت قرقعة، وتشبه تلك المثبتة على الحائط. انتاب «او» انطباع بأنه لم يستطع أن يحزم أمره، فيما يتوجب عليه أن يعصبها أو يقيدها بالسلسلة أولاً. كانت تحدق خارجاً إلى المطر، غير آبهة بما يريدونه منها، وهي تفكر أن رينيه قال لها إنه سيعود، وما يزال أمامها خمسة أيام بلياليها، وأن ليس لديها أدنى فكرة عن مكانه، وفيما إذا كان وحده أم لا، ومن كان برفقته. لكنه سيعود. وضع بيير السلسلة على السرير، وغطى عينيها بالعُصابة المخملية السوداء. كانت مدورة قليلاً تحت تجويف عينيها، وقد ناسبت تماماً عظام وجنتيها، ما جعل من المستحيل أن تسترق أقل

Twitter: @ketab_n

نظرة ممكنة، أو تتمكن من رفع جفنيها حتى. بورك الظلام كما هو ليلها، الذي لم يسبق وأن استقبلته «او» بمثل هذه السعادة، بوركت السلاسل التي أبعدتها عن نفسها. ثبت بيير السلسلة بحلقة ياقتها ودعاها لأن تتبعه. نهضت وشعرت أنها تُجر إلى الأمام ومشت. كانت قدماها العاريتان متجمدتين على الرخام، خمنت أنها كانت تمشي في ممر الجناح الأحمر، ثم أصبحت الأرضية التي كانت ما تزال باردة، قاسية الملمس تحت قدميها: كانت تمشي على أرضية حجرية مصنوعة من حجر رملي أو غرانيت. أوقفها المستخدم مرتين، سمعت صوت المفتاح في القفل، الذي استدار وفُتح، ثم قُفل مجدداً. انتبهي من السلالم، قال لها بيير. ثم نزلت الدرج، وعندما تعثرت مرة، أمسكها من خصرها. لم يمسها قط إلا ليقيدها أو يضربها، لكنه الآن يجبرها أن تنزل على السلالم الباردة، التي حاولت أن تتمسك بها بيديها العاريتين كيلا تنزلق. كان يداعب ثدييها. كان فمه ينتقل من ثدي إلى آخر، وفيما كان يدفعها بقوة، شعرت وهو يرتفع ببطء. لم يساعدها حتى حقق متعته منها. وأخيراً، نزلت السلالم الأخيرة، وهي مبللة وترتجف من البرد، حينها سمعت باباً آخر يفتح، فعبرت منه، وشعرت في الحال بملمس سجادة سميكة تحد قدميها. كان هناك حبل صغير آخر مثبت على السلسلة، ثم بدأ بيير يحرر يديها ويفك العصابة. كانت واقفة في غرفة مقنطرة صغيرة وخفيضة. كانت الجدران والأقواس مصممة من الحجارة غير المكسوة بالجص، وتصدعات البناء واضحة. كانت السلسلة الملحقة بياقتها مثبتة إلى الحائط بمسمار مزود بعروة ومعاكس للحائط، الذي كان مرتفعاً بطول ثلاثة أقدام فوق الأرضية، ما لم يسمح لها أن تتحرك أكثر من خطوتين إلى الأمام. لم يكن هنالك سرير أو أي شيء يمكن أن يقوم مقامه، و لم يكن هناك غطاء، بل ثلاث أو أربع وسائد

Twitter: @ketab_n

من الطراز المغربي، بيد أنها كانت بعيدة عن متناولها، ما بدا واضحاً أنها لم تكن من أجلها. لكن ما كان في متناولها، عند الركن الذي انبثق منه الضوء الخافت الذي أضاء الغرفة، صينية خشبية وُضع عليها القليل من الماء والفاكهة والخبز. أما الحرارة المنبعثة من المشعات التي كانت منتصبة ومثبتة فوق الجدران نفسها، مشكلة حول الغرفة ما يشبه الوطيدة المتوهجة، كانت أقل تأثيراً حتى تطغى على رائحة الأرض والتراب، والتي تمثل رائحة زنزانات غير مأهولة في القصر القديم. في تلك العتمة الجزئية والتي لم يخترقها أي صوت يذكر، سرعان ما أضاعت «او» مسار الوقت. لم يعد هنالك ليل أو نهار، فالضوء لم يُطفأ أبداً. وبالكاد أصبح مهماً أهو بيير أو أي مستخدم آخر، من كان يبدل الماء والخبز والفاكهة، عندما تنفد على الصينية، ومن كان يأخذها لتستحم في زنزانة مجاورة. لم ترَ إطلاقاً الرجال الذين كانوا يدخلون، لأنه في كل مرة كان يتقدمهم خادم ليعصب عينيها، ولا تُفك إلا بعد أن يغادروا، كما أنها أضاعت أثرهم، من هم وكم كان عددهم. حتى أنه لم يعد بمقدور يديها الناعمتين وشفتيها اللتين كانتا تُداعبان وهي معصوبة العينين، أن تميز الأجساد التي كانت تلامسها. أحياناً، كانوا عدة أشخاص، وفي أغلب الأحيان، شخص واحد. لكن في كل مرة قبل أن يقتربوا منها، كانوا يجعلونها تجثو على ركبتيها قبالة الحائط، وتجلد بالسوط. كانت تضع كفيها على الحائط، وتضغط بوجهها على الجزء الخلفي من يديها، لمنعها من أن تحفر بأظافرها على الحجارة، لكنها كانت تخدش ركبتيها وثدييها بفعل الاحتكاك. وهكذا، أضاعت مسار التعذيب والصرخات التي كانت تكبتها داخل أسوار القبو المقنطر. لقد انتظرت. وفجأة، لم يعد الوقت متسمراً كما كان. في ليلتها المخملية، لم تكن تفك سلسلتها. كانت تنتظر مدة ثلاثة أشهر،

Twitter: @ketab_n

ثلاثة أيام، عشرة أيام، أو عشر سنوات. شعرت أنها كانت تجلد بقماشة سميكة، وأن أحدهم كان يمسكها من كتفيها وركبتيها، ويرفعها حاملاً إياها. وجدت نفسها في حجرتها، ممددة تحت الفرو الأسود، كان الوقت عصراً، وعيناها مفتوحتين، ويداها حرتين، وكان رينيه يجلس إلى جانبها يداعب خصلات شعرها. يجب أن ترتدي ملابسك، سنغادر، هذا ما قاله لها. استحمت على عجل، ومشط شعرها، وأعطاها البودرة وأحمر الشفاه. عندما عادت إلى حجرتها، كان زيها وبلوزتها ولباسها الداخلي وجورباها والحذاء عند مؤخرة السرير، وكذلك القفازان والحقيبة. كان هناك معطفها أيضاً الذي ارتدته فوق ملابسها عندما أصبح الجو قارساً، وارتدت وشاحاً حريرياً مربعاً ليغطي رقبتها، لكن من دون رباطي الجوربين والسروال الداخلي. لبست ببطء، وثنت جورباها إلى فوق ركبتيها، لكنها لم تلبس المعطف، لأن الجو كان دافئاً جداً في حجرتها. في تلك الأثناء، دخل الرجل الذي شرح لها في الليلة الأولى ما هو مطلوب منها. فك الياقة والسوارين اللذين بسببهما كانت أسيرة مدة أسبوعين. هل تحررت منهما؟ انتابها شعور أن شيئاً ما كان مفقوداً؟ لم تقل شيئاً، بالكاد تجرأت أن تضع يديها فوق معصميها، دون أن تجرؤ أن تلامسا حنجرتها. ثم طلب منها أن تختار من بين الخواتم المتماثلة تماماً، التي عرضها في صندوق خشبي صغير، الخاتم الذي يناسب البنصر الأيسر. كانت خواتم حديدية غريبة مزينة بالذهب في داخلها، وكان الختم عريضاً وكبيراً بحجم ختم التوقيع، لكنه كان محدباً. الخاتم الثاني الذي لبسته، مع أنه كان ضيقاً بعض الشيء، إلا أنه ناسبها بشكل جيد. كان ثقيلاً بالنسبة ليدها، وقد توهج الذهب خفية في اللون الرمادي للحديد المصقول. لم تفهم لماذا الذهب، ولماذا الحديد، و لم هذه العلامة المميزة؟ كان من المستحيل أن

Twitter: @ketab_n

تتكلم في هذه الغرفة المكسوة باللون الأحمر، حيث السلسلة التي ما تزال مثبتة على الحائط فوق السرير، وحيث ما يزال الغطاء الأسود ممدداً على الأرضية، في هذه الغرفة التي قد يدخلها المستخدم بيير، إذ كان من المؤكد أن سيأتي بشكله الغريب، وهو يرتدي زي الأوبرا، في الليلة الكئيبة من شهر تشرين الثاني. كانت مخطئة، لم يأتِ بيير. ألبسها رينيه معطفها وقفازيها الطويلين، اللذين غطيا نهاية الكمين. أخذت الوشاح والحقيبة. أصدر كعبا الحذاء صوتاً أخفض من صوت القبقاب، وكانت الأبواب مغلقة وحجرة الانتظار فارغة. كانت «او» تمسك بيد عشيقها. فتح الشخص الغريب الذي كان يرافقهما البوابات الحديدية التي قالت جين إنها القسم الملحق، والتي لم يعد يحرسها الخدم والكلاب الآن. رفع إحدى الستائر المخملية الخضراء وأرشدهما إلى الطريق. عادت الستائر إلى مكانها. سمعا صوت إغلاق البوابة، وكانا لوحدهما في غرفة انتظار أخرى، كانت تطل على المرج. لم يبق سوى أن ينزلا السلالم المنحدرة من الرواق قبل أن ترى «او» السيارة. جلست إلى جانب عشيقها الذي تولى عجلة القيادة وانطلق. بعد أن غادرا من المدخل الرئيسي الذي كان مفتوحاً على مصراعيه، توقف بعد بضع مئات من الأمتار وقبّلها. ثم تابعا المضي واجتازا ضواحي بلدة هادئة ومسالمة. تمكنت «او» أن تقرأ الاسم المكتوب على لائحة الطريق رواسي.

Twitter: @ketab_n

- ٢ -

السيد ستيضن

تقع الشقة التي كانت تسكنها «او» في إيل سانت لويس، شقةٌ ذات سقفٍ قديم لمنزلٍ يواجه الجنوب ويطل على نهر السين. تمتاز جميع غرفَ ذلك المنزل بسعتها وانخفاض سقفها المائل، والغرفتان الأماميتان تطل كل منهما على شرفة تتناسب وذلك السقف المائل. إحداهما كانت غرفة «او»، أما الغرفة الثانية التي تملؤها رفوف الكتاب الممتدة من السقف حتى الأرض، على جانبي المدفأة، فتلك كانت تُستخدم كغرفة جلوس، مكتب، بل وغرفة نوم إن دعت الحاجة. وقبالة الشباكين الكبيرين توجد أريكةٌ، وطاولة قديمة تواجه المدفأة. وكانوا يتناولون الطعام هنا حين لا تتسع غرفة الطعام التي تواجه الساحة الداخلية والتي يزينها الصوف الأخضر، لجميع الضيوف. بالنسبة لتلك الغرفة الأخرى التي تواجه الساحة فهي غرفة رينيه، كان يقوم بتبديل ملابسه والاحتفاظ بها هنا. كانت «او» تشاركه الحمام المزين باللون الأصفر،وأما المطبخ فكان أصفر اللون أيضاً وصغير الحجم. وكانت عاملة النظافة تزور المنزل يومياً. بلاط الغرف المطلة على الساحة ذو لونٍ أحمر وهو يماثل ذلك البلاط الذي يستخدم في فنادق باريس القديمة لتغطية الدرج. أصاب رؤية ذلك البلاط «او» بصدمةٍ كبيرة وبدأ

Twitter: @ketab_n

قلبها ينبض بسرعة: إنه البلاط ذاته المستخدم في ممرات رواسي. كانت غرفتها صغيرة الحجم، وكانت ستائرها المصنوعة من القماش القطني الزهري والأسود مغلقة، وكذلك كانت النار تتأجج خلف الشاشة المعدنية، كانت الأسرة مرّتبةً، والأغطية مقلوبة.

– اشتريت لك ثوب نومٍ من النايلون، قال رينيه، كنت تملكين واحداً فيما مضى.

أجل، ثوبٌ من النايلونِ الأبيض ذو كسرات، مزخرفٌ ومثني وهو أشبه برداء التماثيل المصرية، وقد وُضع على السرير على الجانب الذي تنام عليه «او» ذلك الثوب الأبيض الأقرب لأن يكون شفافاً. وضعت «او» على خصرها حزاماً رفيعاً، وذلك فوق الحزام المطاطي للثوب ذاته. كان الثوب مصنوعاً من قماشٍ رقيق جداً. كل شيءٍ في الغرفة أبيض، عدا الستائر واللوحة التي تم تعليقها عند رأس السرير باستخدام المادة ذاتها، والكراسي المغطاة بأقمشةٍ من نفس ألوان الستائر، كل شيءٍ كان أبيض اللون، الجدران، والأهداب المحيطة بالسرير الماهوغاني ذي الأعمدة الأربعة، والسجادة المصنوعة من جلد الدب. وبعد أن ارتدت ثوبها الأبيض، جلست «او» بمواجهة النار وبدأت تستمع إلى حبيبها.

وبدأ حديثه بإخبارها ألا يخطر ببالها أنها قد أصبحت الآن حرة، باستثناء أمرٍ واحد، فلها الحرية بأن تتوقف عن حبه وأن تغادره على الفور. ولكن إن كانت لا تحبه، فهذا لا يعني على الإطلاق بأنها حرة. استمعت إليه دون أن تنبس ببنت شفة، كانت سعيدةً لأنه يحاول أن يثبت له – أياً كانت الطريقة – وأنها ملكه الخاص، ولأن س بسذاجته التي منعته من أن يدرك بأن هذه الملكية أقوى من أن تُبرهن. كان يدرك

Twitter: @ketab_n

تلك الحقيقة، إلا أنه أراد أن يؤكد عليها لأنه يجد متعةً في ذلك. كانت تحدّق في النار أثناء استماعها إليه، أما هو فلا، إذ لم يكن يجرؤ على أن تتقابل نظراتهما. كان واقفاً، يتحرّك جيئةً وذهاباً. وفجأةً أخبرها بأنه يريد منها، بداية، أن تستمع إليه بركبتين متباعدتين وذراعين غير مثنيتين، إذ أنها كانت تجلس وهي تحتضن بذراعيها ركبتيها المتقاربتين. فما كان منها إلا أن رفعت ثوبها، وانحنت على ركبتيها، بالأحرى على كعبيها، تماماً كما تفعل نساء الكرملين أو النساء اليابانيات، وانتظرت. وحين باعدت ركبتيها بدأت تشعر بالوخز الخفيف والحاد لفراء الثوب بين فخذيها المتباعدين بعض الشيء، عاد إلى نفس الفكرة مجدداً: لم تكن تباعد ساقيها بشكلٍ كافٍ. كانت تلك الكلمات «افتحي» و«باعدي بين ساقيكِ»، التي نطقها حبيبها مشحونةً بالتوتر والقوة، لذا لم يكن باستطاعتها سماع تلك الكلمات دون أن يسيطر عليها شعورٌ بالذل المؤبد، بالخضوع المهيب، شعرت وكأن عملاقاً، لا حبيباً، يتحدث إليها. جلست دونما حراك، وراحتا يديها موجهتان إلى الأعلى بجانب ركبتيها، وانتشر الثوب الأبيض وبدت كسراته واضحة. لم يكن حبيبها يريد منها سوى أمرٍ بسيط: أن تكون دائماً وفوراً متاحة. لم يكن كافياً بالنسبة له أن يعلم: بأنها سوف تكون كذلك دون أن يمنعها أي عائقٍ مهما صغر حجمه، بل أراد أن يرى بعينيه الخبيرتين بأن ملابسها وحضورها يعبّران عن ذلك التوافر. وتابع أنه يقصد هنا أمرين. كانت على معرفة بأولهما إذ أنه أخبرها به حال وصولها إلى القصر: يجب ألا تتقاطع ركبتاها ويجب أن تطبق شفتيها أبداً. في البداية، كانت تعتقد أن ذلك أمرٌ غايةٌ في البساطة، ذلك حقاً ما كانت تعتقده، ولكنها سوف تعلم لاحقاً أن تنفيذ هذا الأمر يتطلب منها الكثير من المجهود، وذلك المجهود سوف يذّكرها على الدوام بذلك السر الذي لا يعلمه

Twitter: @ketab_n

سواهما، أو ربما بضعة أناس آخرين فقط، السر الذي يخبر حقيقة حالها، حين كانت مع أولئك الذين لا يعلمون ذلك السر، وحين شغلت نفسها بالأمور العادية. أما بالنسبة لملابسها فلها حرية اختيارها، لا بل ولها حرية ابتداع تصاميمها، مما يعني أن إخضاعها لتلك العملية، التي كانت أشبه بجعلها تخلع ملابسها في الطريق إلى رواسي، لم تعد ضرورية. يتوجب عليها غداً أن تقوم بتصنيف أثوابها الموجودة في الخزانة، وكذلك ملابسها الداخلية الموجودة في الجوارير، وتسلمه كل ما يمنعه من الوصول إلى الأحزمة والسراويل بسهولة، وجميع الصداري التي تشبه تلك التي اضطرته أن يقطع أحزمتها لكي يزيلها، جميع القمصان الداخلية التي تغطي صدرها بالكامل، جميع الأثواب والقمصان التي لا يمكن خلعها بسهولة ويسر، بل كذلك جميع التنانير الضيقة التي يصعب إزالتها بحركة واحدة. سوف تُصنع لها بالمقابل صدرياتٌ جديدة، قمصان جديدةً، وأثواب جديدة. وماذا حتى ذلك الحين؟ هل يتوجب عليها الذهاب إلى الخياطة دون أن ترتدي أي شيء تحت سترتها أو قميصها؟ أجل ذلك ما يتوجب عليها فعله. إن سألها أحدٌ عن سبب خروجها على تلك الحال، فيمكنها أن تختار العذر التي تجده مناسباً، أو ألا تجيب على سؤاله حول الأمر على الإطلاق، لها حرية الاختيار، ولكنّ تلك مشكلتها، بل مشكلتها وحدها. أما بالنسبة للأشياء الأخرى التي ينوي أن يعلّمها إياها، فهو يفضّل أن ينتظر مضي بضعة أيام، وقد طلب منها أن ترتدي ملابس حسنةً حين يلقي على مسامعها ما ينوي إلقاءه. يمكنها أن تجد كل ما تحتاجه من أموال في جارور مكتبها الصغير. بعد أن أنهى كلامه، همست بصوت منخفض «أحبك»، ولم تبدِ أي حركة. قام هو بوضع مزيدٍ من الخشب ليزيد التهاب النار في المدفأة، أضاء المصباح الزهري بجانب السرير، وطلب

Twitter: @ketab_n

من «او» أن تذهب إلى السرير وتنتظره لينام معها. وحين عاد إليها، مدت يدها لتطفئ المصباح: كانت تلك يدها اليسرى، وكان آخر ما رأته قبل أن تغرق الغرفة في الظلام، لمعان خاتمها الحديدي. كانت تستلقي على الجانب، وهمس عشيقها باسمها، واحتضنها، مغطياً بيده كلها الجانب السفلي من بطنها، ثم جذبها إليه.

في اليوم التالي، كانت «او» تتناول الغداء وحدها في غرفة المعيشة ذات اللون الأخضر، إذ كان رينيه قد غادر في الصباح الباكر، و لم يكن ليعود قبل المساء، حيث كان ينوي اصطحابها ليتناولا العشاء معاً في الخارج، وفي تلك الأثناء رنّ جرس الهاتف. كان الهاتف في غرفة النوم، أسفل المصباح الموضوع عند طرف السرير العلوي. جلست «او» على الأرض لتجيب على الهاتف. كان رينيه هو المتصل، وأراد أن يعرف إن كانت عاملة النظافة قد غادرت المنزل. أجل، لقد غادرت، غادرت بعد أن وضعت طعام الغداء، وهي لن تعود إلى المنزل حتى صباح اليوم التالي.

– هل بدأتِ بتصنيف ملابسك؟ سأل رينيه.

– أنا على وشك البدء «أجابته»، «استيقظتُ متأخرةً، أخذت حماماً، أصبح الوقت ظهراً، قبل أن أبدأ».

– «هل ترتدين ملابسك؟»

– «لا، أنا أرتدي عباءةً وثوب النوم ذاته».

– «ضعي سماعة الهاتف جانباً، واخلعي عباءتك وثوب نومك».

Twitter: @ketab_n

أطاعت «او» الأوامر، وأصابها الرعب حين وقع الهاتف عن السرير، حيث تركته واستقرَ على السجادة البيضاء، اعتقدت بأنها فقدت الاتصال، ولكنها كانت مخطئة.

- «أنت عاريةٌ الآن؟» أكمل رينيه.

- أجل، قالت، «من أين تتحدث إلي؟».

أهمل سؤالها ذاك، وتابع أسئلته ببساطة.

- «هل لا زال خاتمك في يدك؟»

كانت لا تزال ترتديه.

طلب منها أن تبقى عاريةً هكذا إلى حين عودته إلى المنزل - وهي تقوم بتحضير حقيبة الملابس التي يتوجب أن تتخلص منها - ومن ثمّ أغلق السماعة.

كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة، وكان الطقس جميلاً. انعكست بعضٌ من أشعة الشمس على السجادة، فالتمع كل من الثوب الأبيض، والروب الأخضر تماماً كقشر اللوز الطري، الذي كانت «او» قد رمته على الأرض بعد أن خلعته أثناء حديثها على الهاتف. رفعت تلك الأشياء عن الأرض واتجهت إلى الحمام، لتضعها في الخزانة. وفي طريقها إلى هناك، لمحت انعكاسها في أحد المرايا المعلّقة على أحد البواب، والتي شكّلت مع مرآتين أخريين - أحدهما كانت تغطي جزءاً من الحائط، والثانية معلقة على بابٍ آخر - مرآةً ثلاثية كبيرةً. لم تكن ترتدي سوى خف جلدي أخضر اللون، يماثل لون ثوب النوم، كان

Twitter: @ketab_n

أكثر قتامةً بقليلٍ من ذلك الخف الذي كانت ترتديه في رواسي، ومن خاتمها. لم تعد ترتدي الطوق أو الأساور. كانت وحدها، لم يكن يرها أي شخص آخر. لم يسبق لها أن خضعت لإرادة أخرى، غير إرادتها إلى هذا الحد، لم يسبق لها أن شعرت بالاستعباد هكذا، ولم يسبق لها كذلك أن تكون راضيةً وسعيدةً لمثل هذا الحال.

حين انحنت لتفتح الجارور، لاحظت بأن ثدييها يتحركان برقة. استغرق تصنيف الملابس التي كان يتوجب عليها الاستغناء عنها حوالي الساعتين. جمعت كل السراويل القصيرة وكومتها فوق السرير، وفعلت الأمر ذاته مع ما تمتلكه من صدار. لن تبقي على أي واحدة منها، فجميعها ذات قفلٍ خلفي، ولذا يصعب إزالتها. ولكنها لاحظت بأنه في مقدورها صناعة نموذج مماثل، ولكن بعد أن تضع القفل من الأمام عند منتصف الصدر تماماً. لم تشكل الأحزمة بالنسبة لها أية مشكلة، لكنها ترددت ولم تدرِ إن كان يتوجب عليها الاستغناء عن المشد المزركش ذي اللون القرنفلي المصنوع من الساتان، والذي يمكن شدّه من الخلف بواسطة رباط، كان هذا المشد يشبه إلى حد كبير ذلك الذي كانت ترتديه في رواسي. سوف تضعه جانباً فوق الجارور، وستترك القرار لرينيه، كما أنها سوف تترك له القرار بشأن جميع السترات، فجميعها تغطي الرقبة ولا يمكن فكُ أزارها وإزالتها من الأمام، ولكن يمكن أن تُسحب للأسفل من عند الخصر بسهولة، وبذلك يصبح الصدر عارياً. أما القمصان الداخلية فقد وضعتها جميعاً فوق السرير. ولم يبق في الجارور سوى بطانة مزركشة، كانت عادةً ما ترتديها تحت تنورة صوفية شفافة ذات كسرات. تحتاج إذاً إلى سراويل قصيرة جديدة وذات ألوان زاهية. اكتشفت بأنها أمام خيارين، فهي إما أن تستغني عن جميع

Twitter: @ketab_n

أثوابها الضيقة، أو أن تحتفظ بتلك التي تحتوي أزراراً أمامية، وفي هذه الحال سيتوجب عليها صنع سراويل يمكن أن تُزال مع الثوب بالطريقة ذاتها. أن تطلب من الخياطة صناعة تلك الفساتين والأثواب، وهو أمرٌ سهل، ولكن ماذا عن الملابس الداخلية؟ سوف تخبرها بأنها ترغب بصناعة بطانة منفصلة لأنها من ذوات الدم البارد. في الحقيقة، لم يكن في استطاعتها تحمّل البرد، وذلك دفعها لأن تتساءل كيف سيكون بمقدورها مواجهة برد الشتاء القارس بمثل هذه الملابس الرقيقة.

وحين انتهت لاحظت أنها لم تترك في الجارور سوى عددٍ قليلٍ من الستر والقمصان، التي يمكن فتح أزارها الأمامية وإزالتها بسهولةٍ، والتنورة ذات الكسرات، ومعطفها طبعاً، والبدلة التي كانت ترتديها في رواسي. بدأت تعد الشاي. أشعلت السخّان في المطبخ. لم تكن عاملة النظافة قد قامت بملء السلة بالخشب لإشعال موقد غرفة النوم، وكانت «او» تعلم بأن عشيقها يحبّ أن يراها في غرفة الجلوس واقفةً بجانب الموقد، عندما يصل مساءً. قامت بملء السلة بالأخشاب التي أحضرتها من الخزانة الموجودة في الممر، ثم أخذتها إلى غرفة الجلوس، وأشعلت النار في الموقد. وانتظرته جالسةً فوق كرسي ضخم، ووضعت الشاي بجانبها، إلى حين عودته إلى المنزل، ولكنها هذه المرة انتظرته عارية تماماً كما أمرها.

واجهت «او» أول صعوبات الحياة من خلال عملها. قد تنطوي كلمة «صعوبة» على بعض المبالغة، فهي كانت أقرب لكونها «مفاجأة». كانت «او» تعمل في قسم الأزياء في أحد وكالات التصوير. كانت هي من يقوم بتصوير الفتيات الجميلات، اللواتي قام مصممو الأزياء باختيارهنّ لعرض أزيائهم، كانت تقضي في ذلك الأستوديو ساعاتٍ عدّة دون أن تأخذ استراحة.

Twitter: @ketab_n

أصيب الجميع بالدهشة حين قررت «او» أن تؤجل عطلتها حتى موسم الخريف، فذلك أكثر مواسم عالم الأزياء انشغالاً. خلال هذا الموسم يبدأ عرض المجموعات الجديدة من الأزياء، ولكن ذلك لم يثر الكثير من الأسئلة، خاصةً وأنهم لاحظوا أمراً أكثر أهمية، ذلك أن «او» قد تغيرت كثيراً. حين التقوها لأول مرة بعد غيابها، لاحظوا بأنها قد تغيرت، لكنهم لم يتمكّنوا من تحديد وجه ذلك التغيير، رغم أن يقينهم بأن «او» قد أصبحت شخصاً مختلفاً، كان يتزايد يوماً بعد يوم. كانت تمشي وتجلس وقامتها أكثر انتصاباً، وعيناها قد باتتا أكثر لمعاناً. ولكن ما لفت انتباههم حقاً، هو نضجها أثناء فترة الاستراحة وأنها كانت تقيس جميع إيماءاتها.

كانت دوماً ترتدي ملابس محافظة، تماماً كما تفعل جميع الفتيات اللواتي يعملن في مجالات الرجال، ولكنها نجحت في قلب المعادلة بأسلوبٍ ماهر، وبما أن الفتيات اللواتي كانت تعمل على تصويرهنّ، كنّ مهتماتٍ بالأزياء والزينة إلى حد كبير، فقد تمكنّ من ملاحظة ذلك التغيير المفاجئ الذي لا يمكن لغيرهن أن يلاحظه. بدأت «او» ترتدي السترات دون أي ترتدي أي شيءٍ تحتها، وكان ذلك يساعد في إبراز مفاتن صدرها، وافق رينيه على ارتدائها السترات، وكذلك التنانير ذات الكسرات التي كانت تستدير معها كيفما استدارت. كانت «او» ترتدي ذلك النوع من التنانير بكثرة حتى أن البعض اعتبرها زيّها الرسمي.

«تبدين أشبه بالفتاة الصغيرة» ذلك ما قالته لها إحدى العارضات ذات يوم، عارضةٌ ذات عينين خضراوين، ولمحةٍ سلافية تتناسب وبشرتها الحنطية. «لكنْ يجب ألا تستمري في ارتداء رباط الجوارب»، تابعت قولها «فستؤذين ساقيكِ».

Twitter: @ketab_n

كانت «او» هي من دفعتها لإبداء مثل تلك الملاحظة، إذ أنها جلست ودون أن تفكر لحظة، أمام تلك المرآة على حافة كرسي جلدي، فأدى ذلك لأن ترتفع تنورتها، وحينها لمحت الفتاة طويلة القامة جزءاً من فخذ «او» العاري فوق الجوارب الملتفة، التي كانت تغطي ساقيها حتى الركبة فقط.

رأتها «او» تبتسم بشكلٍ غريب، مما جعلها تتساءل عما يمكن أن يكون قد دار في خلدها. عملت على تعديل جوربيها، كل واحد على حدة، محاولةً أن ترفع كل منهما وتشدّه إلى الأعلى، إذ لم يكن من السهل الحفاظ على الجوارب ثابتةً، كما كان الحال حين كانت ترتدي تلك التي تصل حتى منتصف الساق، وتشدّ بواسطة رباط وحزام، ومن ثم أجابت جاكلين قائلةً وكأنها تحاول أن تبرر فعلتها:

– إنه عمليّ.

– عمليٌ لأي غرض؟ أرادت جاكلين أن تعرف المزيد..

– لا أحب ارتداء الأربطة والأحزمة. أجابت «او».

لكن جاكلين لم تصغِ إليها، إذ كانت تنظر إلى الخاتم الحديدي.

خلال الأيام القليلة التالية، قامت «او» بالتقاط ما يقارب الخمسين صورة لجاكلين، وتلك الصور لم تكن تشبه أياً من الصور التي التقطها في الماضي. ربما لم تحظَ «او» سابقاً بعارضة تنافس جاكلين في جمالها. ولكنها بالتأكيد لم تكن قادرةً فيما مضى على إضفاء هذا الكمّ من المعنى والمشاعر على الوجه أو الجسد، رغم أن كل ما كانت تهدف

Twitter: @ketab_n

لفعله هو أن تجعل الحرير والفراء والشرائط تبدو أكثر جمالاً، وذلك بعد أن ارتدتها تلك العفريتة الجميلة، والتي بهرتها رؤية انعكاس وجهها في المرأة. هذه العفريتة بالطبع لم تكن سوى جاكلين، التي تظهر ساحرةً في أرخص وأبسط الأثواب وأغلى أنواع الفراء. كان شعر جاكلين قصيراً، أشقر، سميكاً ومجعّداً بعض الشيء، وكانت كثيراً ما تدير رأسها باتجاه كتفها الأيسر، وتمسح خدها بقبة معطفها المصنوع من الفرو، في حال كانت ترتدي الفرو. التقطت «او» ذات مرة صورةً لها وهي في ذلك الوضع. كانت مبتسمةَ بعض الشيء، أما شعرها فبدا وكأن ريحاً خفيفة قد عبثت به، وكان خدها متكئاً على فرو المنك الرمادي الناعم، الذي ظهر وكأنه رمادٌ قد نزل لتوه من موقد النار. كانت شفتاها متباعدتين بعض الشيء، وعيناها مغمضتين قليلاً، وقد جعلها ضوء التصوير اللامع تبدو شاحبةً، شاحبةً جداً وكأنها نجت لتوها من الغرق. قامت «او» بتخفيف الفوارق بين ألوان الصور قدر الإمكان. ثم التقطت صورةً أخرى لجاكلين، وكانت تجد الثانية أكثر جمالاً: إضاءةٌ خلفية، تلف كتفيها العاريين، ورأسها الصغير، ووجها كذلك، ووشاحٌ أسود. بدت ثنياته أشبه بحبالٍ من الدخان تتصاعد حولها. كانت ترتدي ثوباً رائعاً مصنوعاً من الحرير الثقيل المزركش، أحمر اللون شبيهاً بثوب العروس خلال العصور الوسطى، يصل حتى كاحليها، وهو ضيقٌ عند الخصر ويتسع عند الوركين. وهيكل الفستان يظهر تفاصيل صدرها. ذلك ما كان يدعوه مصمو الأزياء بثوب الاحتفال، والذي لم يلبسه أحدٌ سابقاً. وكان الصندل العالي ذو النتوءات مصنوعاً من الحرير الأحمر كذلك. وفي كل مرة كانت جاكلين ترتدي ذلك الفستان، ثم الصندل والوشاح الذي يبدو أقرب لكونه قناعاً أمام «او»، كانت الأخيرة تجري في بالها بعض التعديلات على تلك الصورة الماثلة أمامها، تعديلٌ هنا،

Twitter: @ketab_n

وتعديلٌ هناك.، أضيق عند الخصر وأخفض قليلاً، النهدان مرفوعان أكثر، وبذلك يتحول إلى الفستان نفسه الذي كانت جين ترتديه في رواسي، الحرير الثقيل والناعم المتدّرج ذاته، الذي يمكن للشخص أن يلمسه ويرفعه قليلاً حين يُطلب منه ذلك.. كانت جاكلين ترفع الفستان بتلك الطريقة حين نزلت عن المنصة التي مكثت فوقها أكثر من خمس عشرة دقيقة. إنه يصدر الصوت ذاته الذي يصدره ذاك الفستان والذي هو أشبه بصوت حفيف الأوراق الجافة. ألم يعد أحدٌ يرتدي فساتين الاحتفال هذه؟ بلى يفعلون. كانت جاكلين تضع قلادةً ذهبية حول عنقها وأسوارتين ذهبيتين في معصمها. لقد خطر في بال «او» أن جاكلين كانت سوف تبدو أكثر جمالاً، لو أنها كانت ترتدي طوقاً وأسوار ة جلدية. ثم فعلت ما لم يخطر ببالها أن تفعله من قبل: لحقت بجاكلين إلى غرفة تبديل الملابس المجاورة للاستديو، حيث بدلّت العارضات ملابسهنَ وتزينّ وتركن أدوات التجميل ملقاةَ هناك بعد ساعات من التبرج. وقفت هناك مستندةً على دعامة الباب، وتسمرت عيناها بمرآة منضدة الزينة التي كانت جاكلين تجلس أمامها دون أن تخلع فستانها. كانت المرآة كبيرةً جداً- حتى أنّها كانت تغطي الحائط الخلفي تماماً، أما طاولة الزينة فكانت عبارة عن لوح بسيط من الزجاج المعتم، استطاعت من خلاله رؤية انعكاس صورتها. خلعت جاكلين الطوق بنفسها،حيث بدا ذراعاها العاريان كمقبضين، وحينها لاحظت «او» أن بضع قطرات من العرق تلتمع تحت إبطيها الناعمين، اللذين كانا حليقين، (لماذا؟ تساءلت «او»، يا للأسف إنها ناصعة البياض). وبعدها شمّت «او» رائحة العطر الناعم والحاد الأشبه بالنباتات، وتساءلت ما العطر الذي يتوجب على جاكلين أن تضعه، أي عطرٍ سوف يختارون لها. بعد ذلك خلعت جاكلين الأسوارتين ووضعتهما

Twitter: @ketab_n

على اللوح الزجاجي، فصدر صوت طقطقة أشبه بصوت السلاسل. كان شعرها فاتحاً جداً، أما بشرتها فهي أغمقُ لوناً من شعرها، خليطٌ من البيج والرمادي، أشبه بلون الرمال التي غادرتها الأمواج للتو. في الصورة، سوف يظهر الحرير الأحمر أسود. وبعد ذلك، رفعت جاكلين أهدابها الكثيفة التي كانت تتردد دوماً في تزينها، وفي تلك اللحظة التقت نظرات «او» مع نظراتها، كانت نظرات مباشرة وثابتة، لدرجة أنها ومن دون أن تستطيع إبعاد عينيها عنها، شعرت باحمرار وجنتيها تدريجياً. كان ذلك كل ما في الأمر.

– أعتذر منك، قالت جاكلين، يجب أن أخلع ملابسي.

– عذراً، قالت «او» وأغلقت الباب خلفها.

وفي اليوم التالي، أحضرت «او» إلى المنزل بعض الصور التي التقطتها في اليوم السابق، و لم تكن تدري في الواقع إن كانت ترغب بأن تطلع عشقيها، الذي كانت تنوي تناول العشاء بصحبته على تلك الصور أم لا. نظرت إلى تلك الصور بينما كانت تضع بعض مساحيق الزينة مستندةً إلى الطاولة في غرفتها، وراحت تتلّمس خطوط الحاجبين بإصبعها، وإيحاء الابتسامة. لكن حين سمعت صوت صلصلة المفتاح في الباب الأمامي، قامت بوضع الصور في الجارور.

ولمدة أسبوعين، حققت «او» طلب حبيبها بأن تكون متوافرةً وجاهزةً دوماً، ولكنها لم تتمكن من الاعتياد على الأمر، وذلك عندما عادت ذات ليلة إلى المنزل من الاستديو، لتكتشف أن عشيقها قد ترك لها ملاحظةً مكتوبةً، يطلب فيها أن تكون جاهزةً عند الساعة الثامنة لتشاركه وصديقه العشاء. سوف تأتي سيارةٌ لتوصلها إلى المكان

Twitter: @ketab_n

المنشود، وسوف يصعد السائق ويرنّ جرس الباب في الموعد المحدد. وقد ذكر عشيقها في حاشية الورقة بأنه يتوجب عليها أن تأخذ معطف الفرو، وأن يجللها اللون الأسود كلياً (وقد وضع خطين تحت عبارة اللون الأسود)، وذكر كذلك بأنه يتوجب عليها أن تتزين وتتعطر تماماً كما كانت تفعل في رواسي.

كانت عقارب الساعة تشير إلى السادسة. كانت «او» مجللة بالأسود كلياً من أجل العشاء. إنه منتصف كانون الأول، الطقس بارد، ما يعني أنها اختارت جوربين حريريين سوداوين، قفازين سوداوين، وتنورتها السوداء ذات الكسرات، وسترتها الصوفية السميكة، ومعطفها القصير اللامع المزود بالطيات. كان معطفاً مبطناً بغرزات كبيرة، ضيقاً ينحني من الرقبة باتجاه الخصر، ويبدو أقرب إلى المعاطف التي كان يرتديها الرجال خلال القرن السادس عشر، وإن كان يظهر شكل الصدر بطريقة جميلة، ذلك لأنه مرفق بصدرية مصنوعة من الحرير ذاته، ويغطي ذيلها الوركين. لم يكن هناك من شيءٍ مختلف اللون سوى الأقفال الخلفية الذهبية، التي تشبه الأقفال التي توضع على أحذية الصغار، وتصدر صوت طقطقة حين تفصل عن حلقاتها العريضة والمسطحة.

بعد أن وضعت «او» ملابسها على السرير، ووضعت حذاءها الجلدي بكعبه العالي ونتوءاته البارزة عند أسفل السرير، لاحظت أنها لم تشعر بشيءٍ أكثر غرابة من أن تجد نفسها وحيدةً وحرة في الحمام، حيث كانت تحاول أن تتعطّر وتتزين بطريقةٍ متقنة بعد أن أخذت حماماً، تماماً كما كانت تفعل في رواسي. لم تكن مساحيق التجميل التي استخدمتها تشبه تلك التي كانت تستخدمها في رواسي. وجدت في جارور طاولة الزينة، بعضاً من حمرة الخدود – التي لم تضع منها على وجهها أبداً –

Twitter: @ketab_n

لكنها استخدمتها لكي تبرز تفاصيل حلمتي نهديها. كان من الصعب رؤية هذه المادة عندما توضع على الجسم في الدقائق الأولى، بل عندما تصبح أكثر قتامة مع مرور الوقت. في البداية شعرت بأنها قد وضعت الكثير، لذا حاولت أن تزيل بعضاً منها بقليل من الكحول، وكانت تلك عمليةً صعبةً جداً، ثم بدأت من جديد: قليلٌ من اللون القرنفلي الغامق فوق حلمتي نهديها. ثم عبثاً، حاولت أن تحدّد شفتي عورتها، اللتين يغطيهما وبرٌ ناعم، إلا أن أحمر الشفاه لم يترك عليهما أي أثر. وأخيراً، وجدت في الجارور ذاته وبين أقلام الحمرة، بعضاً من أحمر الشفاه المضاد للماء، والذي لم تكن تحبّ أن تستخدمه لأنه جافٌ جداً وإزالته ليست بالأمر السهل، ولكنه كان جيداً لتلك المنطقة. بعد ذلك قامت بترتيب شعرها وإنعاش وجهها، وأخيراً، وضعت بعض العطر. كان رينيه قد أهداها زجاجةً خاصةً تطلق زخات كبيرة، إنه عطر لم تكن تعرف اسمه، وكانت رائحته أقرب إلى رائحة الخشب الجاف، والنباتات الرطبة. كان عطراً قوياً وبريّاً بعض الشيء. بدأ السائل يذوب على جسدها، وتحول إلى قطرات صغيرة تغطي الإبطين، والبطن.

في رواسي، تعلمت «او» أن تأخذ كل ما تحتاجه من وقت. قامت بوضع العطر ثلاث مرات، وفي كل مرةٍ كانت تنتظر حتى يجف العطر. قامت بدايةً بارتداء الجوربين والحذاء ذي الكعب العالي، ثم البطانة والتنورة، وبعدها ارتدت المعطف. ارتدت قفازيها وحملت حقيبتها. وفي تلك الحقيبة وضعت محفظةً صغيرة، أحمر الشفاه، مشطاً، مفتاحاً، وعشر ة فرنكات. وحين انتهت من ارتداء القفازين، تناولت معطف الفرو من الخزانة، ونظرت إلى الساعة المثبتة عند رأس السرير: إنها الثامنة إلا الربع. جلست بشكل مائل على حافة السرير، وبقيت عيناها

Twitter: @ketab_n

متسمرتين على الساعة، وانتظرت دونما حراك أن يرنّ جرس الباب. وحين سمعته أخيراً ونهضت لتغادر، لمحت في المرآة المثبّتة بطاولة الزينة وقبل أن تطفئ الضوء، ملامح وجهها التي بدت ناعمةً وجريئةً ورقيقة.

وحين دفعت باب المطعم الإيطالي الذي كانت تقف السيارة قبالته، كان رينيه أول شخص تصادفه عند المشرب. ابتسم بود وأمسكها من يدها، ثم استدار إلى الناحية الأخرى، وقدّمها مستخدماً اللغة الانجليزية إلى شابٍ رياضي المظهر يُدعى السيد ستيفن إتش. عُرض عليها أن تجلس على كرسيٍ بين هذين الرجلين، وما إن همّت بالجلوس، حتى همس رينيه إليها أن تحذر من أن تفسد هيئة فستانها. ساعدها على رفع التنورة من تحتها لتنزلق على أطراف الكرسي، الذي أحست بجلده البارد يلامس جسدها، وكانت أطرافه الحديدية تضغط مباشرةً على الثلم بين فخذيها، ففي البداية، تجرأت أن تجلس بشكل غير مريح، إذ كانت تخشى إن جلست بشكل كلي،أن تمتثل لرغبتها في أن تضع ساقاً فوق ساق. انفردت تنورتها حولها. وكان كعب حذائها الأيمن عالقاً بأحد حلقات الكرسي، أما قمة قدمها اليسرى فكانت تلامس الأرض مباشرةً. الرجل الانجليزي الذي انحنى دون أن ينبس ببنت شفة، لم يشح بنظره عنها أبداً. لاحظت بأنه كان ينظر إلى ركبتيها، يديها، من ثم شفتيها، لكن بهدوء وتمعنٍ وثقة عالية بالنفس. شعرت «او» بأنه يقيسها ويزينها وكأنها آلةٌ، وهي تعي تماماً بأن تلك هي حالها، وتحت أثر نظراته، وعلى الرغم من أنها خلعت قفازيها، كانت واثقة بأنه سوف يقول شيئاً حين يرى يديها العاريتين، فيداها غريبتا الشكل، إذ أنهما تبدوان أشبه بيدي صبي، أكثر من كونهما يديّ امرأةً ناضجة، ولأنها كانت ترتدي في الإصبع الثالث من يدها اليسرى الخاتم الحديدي ذا

Twitter: @ketab_n

اللولب الثلاثي المطلي بالذهب. لكن، لا، لم يقل شيئاً، بل ابتسم: فقد رأى الخاتم.

كان رينيه يشرب المارتيني، أما السيد ستيفن فكان يحتسي الويسكي. احتسى كأسه، ثم انتظر أن ينهي رينيه كأسه الثاني من المارتيني، وأن تنهي «او» كأس عصير الكريفون الذي أحضره لها رينيه، وأخذ يتحدث حينها إن كانت «او» ستوافقهما الرأي، وتنضم إليهما لتناول العشاء في الغرفة المتوضعة في الطابق السفلي، والتي كانت أصغر حجماً وأقل ضجيجاً من الغرفة في الطابق العلوي، والتي كانت امتداداً للبار.

بالطبع، قالت «او»، وتناولت القفازين وحقيبتها من طرف البار.

ولمساعدة «او» على النزول عن الكرسي، مدّ السيد ستيفن يده اليمنى، فوضعت يدها في يده، وحينها أخبرها صراحة أن يديها خلقتا لتلبسا الحديد. إلا أنه قال تلك الكلمات بالانجليزية، وقد بدت غامضةً بعض الشيء، تاركاً الشك يغلف مقصده، فيما إذا كان يقصد الحديد المعدن فقط، أو يقصد وعلى وجهٍ أدق وأخص أغلال الحديد.

أما تلك الغرفة في الطابق السفلي فقد بدت أقرب إلى سردابٍ أبيض اللون، ولكنها كانت جميلة ومفرحة. لم يكن هناك سوى أربع طاولات، يجلس على أحدها بعض الضيوف الذين كانوا ينهون عشاءهم. وقد رُسم على الجدران شيءٌ أشبه باللوحة المائية وهي عبارةٌ عن خريطة سياحية لإيطاليا، وذلك باستخدام بعض ألوان المثلجات الجميلة والهادئة: لون الفانيلا، والتوت، ولون الفستق. ذكرت تلك اللوحة «او» بأنها ترغب في تناول المثلجات كوجبة تحلية، مع الكثير من اللوز والكريمة المخفوقة. إذ أنها كانت تشعر بمزيجٍ من السعادة

Twitter: @ketab_n

والخفة. كانت ركبة رينيه تلامس ركبتها من تحت الطاولة، وكانت تعرف بأن كل كلماته كانت موجهةً إلى مسامعها وحدها، كما أنه كان يراقب شفتيها. سُمح لها أن تتناول المثلجات، أما القهوة فلا. فقد عرض عليهما السيد ستيفن أن يتناولا القهوة معه في منزله. تناول الجميع عشاء خفيفاً، ولاحظت «او» أن الرجلين حرصا على ألا يكثرا من الكحول، في حين منعاها هي من تناول أي كحولٍ على الإطلاق: نصف لتر من نبيذ كيانتي لثلاثتهما، انتهى عشاؤهم بسرعة، إذ كانت الساعة لم تتجاوز التاسعة بعد.

– أرسلت السائق إلى المنزل، قال السيد ستيفن. أتتولى القيادة أنت يا رينيه؟. أبسط أمر هو التوجه مباشرةً إلى منزلي.

أمسك رينيه بالمقود. جلست «او» إلى جانبه، وبجوارها السيد ستيفن. كانت السيارة كبيرة الحجم ويمكن وبسهولة أن تتسع لثلاثة أشخاصٍ في المقعد الأمامي.

بعد أن عبروا تقاطع ألما، أصبح بإمكانهم رؤية كورس لارنييه، وذلك لأن الأشجار كانت عاريةً تماماً، وكذلك قصر كونكورد الذي راح يلتمع تحت السماء التي بدت واعدةً بهطول بعض الثلوج، التي لم تكن قد هطلت بعد. سمعت «او» صوت طقطقةٍ منخفضة، وشعرت بالهواء الحار يلفح ساقيها. لقد أشعل السيد ستيفن سخان الهواء. كان رينيه ما يزال يقود السيارة محاذياً الضفة اليمنى لنهر السين، ولكنه استدار عند بونت رويال واتجه إلى الضفة اليسرى،حيث بدت المياه المتدفقة بين حجارتها جامدةً وسوداء تماماً كما الحجارة. ذكّر ذلك المشهد «او» بحجر الدم ذي اللون الأسود. فعندما كانت في الخامسة

Twitter: @ketab_n

عشرة من العمر، كان صديقها المقرب الذي كان يبلغ من العمر ثلاثين عاماً، والذي وقعت في حبّه لاحقاً، يرتدي خاتم حجر الدم، الذي يتوسط عنقوداً من قطع الألماس الصغيرة. كم ترغب «او» بأن تحصل على عقد مصنوع من تلك الأحجار السوداء، دون أن يغلفه الألماس، عقد ضيق يحيط بالرقبة. أو ربما يخنقا. ولكن، ماذا عن الأطواق التي مُنحت لها - لا، لم تُمنح لها - هل هي مستعدةٌ لأن تستبدلها بقلائد حجر الدم، تلك القلائد التي تحلم بها؟ رأت مجدداً تلك الغرفة البائسة الواقعة خلف تقاطع توربيغو، التي اصطحبها إليها ماريون، وتذكرت كذلك كيف عقدت ضفائرها- هي وليس ماريون - وذلك بعد أن قام ماريون بخلع ملابسها عنها ورماها على السرير الحديدي. كم كان ماريون لطيفاً في مداعباته، صحيحٌ بأن العيون تبدو أشبه بالنجوم أحياناً، فقد بدت عيناها وكأنهما نجمتان زرقاوان مرتعشتان.

أوقف رينيه السيارة. لم تتعرف «او» على ذلك الشارع الصغير، أحد الشوارع الفرعية التي تصل بين طريق الجامعة وطريق دي ليل.

تقع شقة السيد ستيفن في طرف ساحة واسعة، في أحد أجنحة بيت قديم وكبير، وغرف تلك المنزل موزعةٌ بشكل متتالٍ ومستقيم، أي أن كل غرفة منها تودي إلى الأخرى. وكانت الغرفة الأخيرة هي الأكثر هدوءاً والأكبر حجماً، والأكثر مهابةً، إذ أنها مجهزةٌ بأثاث مصنوع من خشب الماهوغوني الداكن، وبعض الستائر الحريرية ذات اللون الأصفر والرمادي.

- لن أطلب منك أن تشرفي على الموقد، قال السيد ستيفن، ولكن هذه الكنبة مخصصة لك، اجلسي ريثما يعد رينيه القهوة، وسوف أكون شاكراً لك إن استمعت إلى ما أنوي قوله.

Twitter: @ketab_n

كانت الكنبة الكبيرة المصنوعة من الحرير الدمشقي ذي اللون الفاتح، مجاورة لموقد النار ومواجهة للنوافذ التي تطل على الحديقة، ويوجد خلفها بعض النوافذ التي تظهر الساحة الخارجية. خلعت «او» معطفها المصنوع من الفرو وألقت به على الكنبة. عندما استدارت لاحظت بأن عشيقها ومضيفها كانا ينتظران منها أن تقبل دعوة السيد ستيفن. وضعت بعد ذلك حقيبتها بجانب معطف الفرو وبدأت تخلع قفازيها. متى ستتعلم، وهل سيكون في مقدورها أن تتعلم كيف ترفع تنورتها بطريقة خاطفة، كيلا يلاحظ أحدٌ ذلك، ولكي تنسى هي نفسها أمر عريها وخضوعها؟ لا يمكن لذلك أن يحدث، طالما أن رينيه وذلك الغريب ينظران إليها ويراقبانها بصمتٍ كما يفعلان الآن. وفي النهاية، استسلمت للأمر الواقع. أشعل السيدُ ستيفن النار في الموقد. وفجأةً، وقف رينيه خلف الكنبة، وأمسك برقبة «او» وشعرها، وجرّ رأسها ليضعه على الوسادة، وطبع على فمها قبلةً طويلةً وقوية جداً، لدرجة أنها لهثت لتلتقط أنفاسها، ما جعلها تشعر أن المنطقة السفلية من جسدها قد أخذت تلتهب وتبتل. سمح لها عشيقها أن تتنفس للحظة ليخبرها أنه يحبّها، ثم أمسك بها ثانيةً. ألقت «او» بكلتا يديها وراحتيها على فستانها الأسود الذي تطاير حولها. كانت راحتاها منبسطتين نحو الأعلى، ويحملان في طياتهما دليلاً على هزيمتها وخضوعها. اقترب منها السيد ستيفن أكثر فأكثر، وعندما فتحت «او» عينيها، تقابلت نظراتها من نظرات الرجل الانجليزي القوية والثابتة.

كانت لا تزال مذهولةً تماماً ومرتبكة، وتلهث فرحةً، ومع ذلك عرفت بسهولة أن الرجل كان يبادلها نظرات الإعجاب، وأنه راغبٌ بها. من ذا الذي يمكنه مقاومة ثغرها الرطب غير المطبق، وشفتيها

Twitter: @ketab_n

الممتلئتين، ورقبتها البيضاء المستندة على قبة معطفها، وعينيها الكبيرتين اللتين ترفضان التهرّب من نظرات الآخرين؟ ولكن الإيماءة الوحيدة الذي سمح السيد ستيفن لنفسه بالإتيان بها، هي أن يمرر أصابعه فوق حاجبيها وشفتيها. ثم جلس قبالتها على الجانب المواجه للموقد، وبدأ بالتكلم، عندما جلس رينيه على الأريكة أيضاً.

– لا أعتقد أن رينيه قد أخبرك الكثير عن أسرته، ولكني أعتقد بأنك تعلمين أن أمّه قبل أن تتزوج والده، كانت متزوجةً من رجل انجليزي، وكان لذلك الرجل ابن من زواج سابق، أنا هو ذلك الابن، وقد أشرفت والدته على تربيتي إلى أن هجرَتْ والدي. ما يعني أنني ورينيه لسنا قريبين، لكننا أخوة بطريقة ما. ليس لدي أدنى شك أن رينيه يحبّك. كنت سأعلم بذلك حتى لو لم يخبرني هو بالأمر، حتى لو لم يأت بأيّة حركة: إن نظراته إليك تفضحه. أنا على علم أيضاً بأنك إحدى أولئك الفتيات اللواتي كنَّ في رواسي، وأعتقد أنكِ ستعودين إلى هناك مرة ثانية. من ناحية المبدأ، إن الخاتم الذي تلبسين يعطيني الحق في أن أفعل بك ما أرغب، تماماً كأي رجل يعرف ما يعنيه ذلك الخاتم، ولكن ذلك يعتبر محض رذيلة عابرة، وما نريده منك هو شيء أكثر ديمومة وجديةً. وأقول «نريد» لأن رينيه، وكما ترين، لا يقول شيئاً: إنه يفضل أن أتكلم نيابة عن كلينا.

– إن كنا أخوة، فأنا أكبره بعشر سنوات. كما أن بيننا عهداً أبدياً بأن لكل منا حرية التصرف بما يملكه الآخر، طالما يستحوذ على ما يخصني، وطالما أستحوذ على ما يخصه. هل توافقين على الانضمام إلينا؟ أرجو منك ذلك حقاً، وسأطلب منك أن تقسمي على موافقتك بذلك، لأن الأمر يتجاوز خضوعك، الذي أثق به تمام الثقة. لكن قبل أن تجيبي،

Twitter: @ketab_n

أريد منك أن تعلمي أني سأكون، ولا أستطيع أن أكون سوى شكل آخر لمحبوبك: سيبقى لديك سيدٌ واحد. سيد أكثر تبجيلاً من كل الرجال الذين أسلمتِ لهم نفسك في رواسي، أنا واثق من ذلك، لأني سأكون هناك كل يوم، كما أني مولع بالعادات والطقوس...(كانت هذه آخر عبارة ينطقها باللغة الانكليزية).

فرض صوت السيد ستيفن الهادئ والواثق جواً من الصمت المطبق. حتى النار في المدفأة الحجرية كانت تشتعل بصمت. تجمدت «او» فوق الأريكة كفراشة مثبتة بدبوس، دبوس طويل مصنوع من كلمات ونظرات اخترقت جسدها، وألصقت أعضاءها الملتهبة والعارية بحرير الأريكة الدافئ. لم تعد سيدة نهديها، ويديها، ومؤخرة عنقها. كانت واثقة بأن ما قصده بالعادات والطقوس يتضمن ولا شك الملكية التامة (إلى جانب أجزاء أخرى من جسدها)، لفخذيها الطويلين المختبئين تحت تنورتها السوداء، فخذيها المتباعدين مسبقاً.

جلس الرجلان قبالتها. رينيه كان يدخن، ولكن قبل أن يشعل سيجارته، قام بإشعال لمبة من تلك التي تستخدم لتنقية الهواء من الدخان، وأصبح الجو المعطر أصلاً برائحة احتراق الخشب في المدفأة، معطراً بروائح الليل الهادئة.

– هل ستعطينني جواباً الآن، أم أنك ترغبين بمعرفة المزيد؟ سألها السيد ستيفن.

– إن أعلنتِ موافقتكِ، «قال رينيه»، سأشرح لكِ شخصياً رغبات السيد ستيفن.

Twitter: @ketab_n

- أوامر، ليست رغبات، صحح السيد ستيفن.

كانت «او» تفكر بأن صعوبة الأمر لا تكمن في إعلانها موافقتها، حتى أنها أدركت أن كلا الرجلين لم يفكرا للحظة أنها قد ترفض، و لم تفكر هي بذلك. كان الجزء الأصعب هو أن تنطق بالكلمات. كانت شفتاها تحترقان وفمها كان جافاً، اختفى لعابها كله، وأطبق خليط من الخوف والرغبة على حنجرتها، كما أنها أحست ببرودة ورطوبة في يديها اللتين شعرت بوجودهما للتو. تمنت لو كان بإمكانها إغلاق عينيها، إلا أنها لم تستطع. نظرتان اثنتان حاورتا عينيها، نظرتان لم تنجح - و لم ترغب- في الإفلات منهما. كانتا تجرانها نحو شيء ظنت بأنها تركته وراءها منذ زمن بعيد، ربما إلى لأبد، هناك في رواسي. فمنذ عودتها، اكتفى رينيه بملاطفتها، و لم يعد لحقيقة أن ملكيتها تعود لمن يعرف سر خاتمها أي معنى: ربما لأنها لم تلتقِ بأحد يعرف ذلك السر، أو لأن أولئك الذين يعرفون حافظوا على سرية الأمر - كانت جاكلين الشخص الوحيد الذي شكّت به (ولكن.. لو عاشت جاكلين يوماً في رواسي، فلماذا لا ترتدي هي أيضاً خاتماً مثل خاتمها؟ حتى لو كانت على علم بسر الخاتم، فأي أفضلية تعطيها تلك المعرفة لها، وأي أحقية ستكون لها على «او»؟)

أينبغي عليها أن تتحرك أولاً حتى تتكلم؟ لم تكن قادرة على الحراك من تلقاء ذاتها- أي أمرٍ منهما كان كفيلاً بجعلها تقف، ولكن هذه المرة، لم ينحصر مطلبهما منها بالطاعة العمياء والانصياع للأوامر، بل أرادا أن تنفذ الأوامر قبل أن تطلب منها؛ أن تحكم على نفسها بالعبودية وتتصرف كالعبيد. في هذا كانا يرغبان أن ترضى. تذكرت أن جلّ ما كانت تقوله لرينيه ينحصر في «أنا أحبك» و«أنا لك». واليوم بدا لها

Twitter: @ketab_n

أن ما يريدانه منها هو أن تقول وتوافق على ما كانت قبلاً راضية به في سريرتها، وبكل تفاصيله الدقيقة.

وأخيراً استجمعت قواها، وكأنَّ ما كانت على وشك أن تقوله قد كان يخنقها، حلّت عرى فستانها الطويل، حتى بدا الشق بين نهديها واضحاً، ثم وقفت. كانت يداها وركبتاها ترتجفان.

– أنا ملكك، قالتها أخيراً لرينيه. سأكون ما تشتهيني أن أكون.

– لا، قاطعها قائلاً، ملكنا، رددي ما سأمليه عليكِ: سأكون ملكاً لكما. سأكون ما تريدان مني أن أكون.

كانت عينا السيد ستيفن الرماديتين القاطعتين مثبتتين بحزم عليها، تماماً كما كانت عينا رينيه، وفيهما أحست بالضياع، ورددت ببطء خلفه العبارات التي ألقاها عليها، ولكن كما لو أنها في درس للقواعد، حولتها جميعاً بما يوافق ضمير المتكلم.

ستعطين الحق لي وللسيد ستيفن... ستعطيهما الحق في استخدام جسدها كما أرادا، في أي مكان أو بأية طريقة يختارانها، الحق في تقييدها بالسلاسل، الحق في ضربها بالسوط كأمَة أو سجينة، مقابل أي خطأ صغير قد ترتكبه، أو لمجرد التسلية، الحق في استحقار استجدائها وبكائها إن هما أبكياها.

– أعتقد، أن السيد ستيفن يريدني الآن أن أتولى الحديث، وكلانا يرغب بذلك، لذا، دعيني ألخص لك جميع مطالبه، قال لها رينيه.

استمعت «او» لعشيقها، وقفزت إلى ذاكرتها الكلمات التي قالها

Twitter: @ketab_n

يوماً لها في رواسي: كانت ذات الكلمات تقريباً. لكن يومها كانت تستمع إليه وهي ملتصقة بأنفاسه، يحميها إحساس أن الأمر لا يعدو كونه مجرد كلمات، محض حلم، أو حقيقة في حياة غير هذه الحياة، أو أن ذلك كله كان خيالاً لا حقيقة له. أهو حلم أم كابوس، شكل السجن، العباءات الاحتفالية غالية الثمن، رجال يرتدون الأقنعة: كل ذلك أبعدها عن حياتها، لدرجة أنها لم تعد تعرف إلى متى سيستمر الأمر. هناك في رواسي، شعرت بما قد يشعر به أي إنسان في ليلة ما؛ ضائع في حلم قد رآه سابقاً، وهاهو يراه مرة أخرى: واثق من حقيقته ومن أنه سينتهي، ويريد أن يصل إلى نهايته لأنه يشك في قدرته على احتمال قساوته حتى النهاية، وفي نفس الوقت، يتمنى أن يستمر في الحلم ليرى ما سيؤول إليه في النهاية. لقد كانت النهاية بالنسبة لها هنا، حيث لم تتوقع أن تكون، وبالشكل الذي لم تتوقع حدوثه (مفترضة، بينما كانت تحدث نفسها، أن هذه حقاً هي النهاية، وأن لا شيء غيرها بانتظارها، أو ربما تنتظرها نهاية أخرى مختبئة). النهاية الحالية كانت ترميها من الذاكرة إلى الواقع، بالإضافة إلى أن هذا الواقع الذي كان معروفاً في دائرة ضيقة، أو كونٍ سري، قد أوشك فجأة أن يحتل كل تفاصيل وجزئيات حياتها اليومية، و لم تعد الإشارات والرموز تكفي – المؤخرة العارية، الصدار المفتوح، الخاتم الحديدي– بل بات الأمر الآن يتطلب الخضوع الكامل.

صحيح أن رينيه لم يمسها بالسوط إطلاقاً، فالتغيير الوحيد الذي طرأ بين فترة علاقتهما التي سبقت اصطحابه لها إلى رواسي، وحتى عودتها من هناك، كان تسخير فمها ومؤخرتها، والآن للغرض ذاته الذي كان يسخّر فيه رحمها من قبل (والذي استمر بتسخيره بالطبع).

Twitter: @ketab_n

لم يكن باستطاعتها أن تجزم فيما إذا كان الجَلد الذي تعرضت له في رواسي كان بإشرافه أم لا (فعندما كان يُطبق عليها التعذيب الجسدي، كانت إما معصوبة العينين، أو غير قادرة على تمييز وجوه أولئك الذين يضطهدونها بسبب الأقنعة التي كانوا يرتدونها). لكنها كانت تميل إلى الشك بذلك. كانت المتعة التي يستمدها من مشاهدة جسدها مكبلاً، مستسلماً، معذباً في يأس تام، عظيمة لدرجة أنه لم يكن يحرضها على نفسه بمشاركة الجلادين في تعذيبهم لها، وبالتالي سيتشتت تركيزه عن المشهد المثير. كان كما لو أنه يعترف بالأمر صراحةً، حيث يحدثها الآن بكل لطف وهدوء، ودون أن يتحرك من كرسيه العريض حيث كان يسترخي بساقين متصالبتين، ويعبر لها عن فرحه بالطريقة التي تقدم بها نفسها تلبية لرغبات ومتطلبات السيد ستيفن. متى أراد السيد ستيفن أن يقضي معها ليلةً، أو حتى ساعةً، أو إن أراد أن ترافقه داخل باريس أو خارجها،أو أن يصطحبها إلى مطعم، أو لحضور عرض ما، ما كان عليه إلا أن يهاتفها ويرسل إليها سيارته – إلا في الأوقات التي كان رينيه بنفسه يقودها إليه. اليوم، في تلك الساعة بالتحديد، كان دورها في الكلام. هل هي موافقة؟ لكن الكلمات لم تسعفها... كانا يطلبان منها أن تعبر عن رضاها التام في إشارة إلى موافقتها النهائية على تسليم نفسها بالكامل، كانا يريدان منها أن ترد بالإيجاب سلفاً إزاء ما وافقت عليه بشكل مؤكد، وما رفضه جسدها بشكل قاطع، على الأقل فيما يخص الجلْد الذي سيتعرض له. فيما عدا ذلك، كان لا بد لها من أن تعترف بما تشعر به من خليط من التلهف والاهتياج، نتيجة لما رأته في عيني السيد ستيفن، كان شعوراً جامحاً لا يمكن نكرانه، وبينما كانت ترتجف كورقة خريف، وربما لنفس السبب الذي كانت ترتجف من أجله، كانت تدرك أنها تنتظر بشغفٍ يفوق شغفه، تلك اللحظة التي

Twitter: @ketab_n

سيضع فيها يده، أو ربما شفتيه، على جسدها. ربما كان الأمر عائداً لها في استعجال تلك اللحظة، إلا أن شجاعتها خذلتها، وجل الرغبة العارمة التي ملأتها تبخرت، فشعرت بضعفها يتزايد، وفي اللحظة التي همت بالنطق فيها انهارت مرتمية على الأرض، وتكوّم فستانها فوقها، وفي لحظة الصمت تلك، خرج صوت عميق من حنجرة السيد ستيفن يعلن بأن الخوف قد اجتاحها هي أيضاً. لم تكن كلماته موجهة لها، بل لرينيه، أحست «او» أن السيد ستيفن كان يمنع نفسه عنها، وأنه نادم على فعلته هذه. ومع ذلك، تجنبت نظراته مثبتةً عينيها على رينيه، مملوءةَ بالرعب من أن يقرأ في عينيها ما قد يعتبره ضرباً من ضروب الخيانة. في الحقيقة، لم يكن هناك أي نوع من أنواع الخيانة في فعلتها، فلو أرادت أن تفاضل بين الخضوع للسيد ستيفن والخضوع لرينيه، لما ترددت لحظة واحدة في اختيار الأخير: السبب الوحيد الذي حرّك فيها تلك الرغبة تجاه السيد ستيفن هو أن رينيه سمح لها بذلك، بل وإلى درجة معينة، هو من أعطاها ذلك الانطباع بأنه يأمرها بذلك. ومع ذلك، جال في خاطرها شيء من التساؤل فيما إذا كان هناك احتمال ضئيل، يوحي بانزعاج رينيه لرؤيتها تنقاد بشكل تام وبسرعة عجيبة إلى السيد ستيفن. إن أي إشارة منه، مهما كانت صغيرة، كانت كفيلة بمحو ذلك الشك من ذهنها. لكنه لم يومئ بأيّ إشارة، واكتفى بالتأكيد عليها وللمرة الثالثة أن تعطيه جواباً لسؤاله.

تمتمت «او»، إنني أذعن إلى ما ترغبانه أنتما، وخفضت بصرها محدقة بيديها المفتوحتين في الفراغ بين ركبتيها، ثم أضافت هامسة: أتمنى لو أعرف إن كنتُ سأتعرض للجلد.

ساد الصمت لفترة من الزمن، ندمت خلالها عشرين مرة على

Twitter: @ketab_n

اقترافها مثل ذلك السؤال. وأخيراً جاءها صوت السيد ستيفن الهادئ مجيباً:

– من وقت إلى آخر.

بعد ذلك سمعت «او» قرقعة كؤوس: وافترضت أن الرجلين على وشك البدء باحتساء الويسكي من جديد. ترك رينيه «او» تتخبط في حيرتها. و لم يتفوه بكلمة معها.

– وإن وافقتُ على ذلك الآن، قالت أو، وإن أبرمتُ بوعدي لكما الآن، فلا أعتقد بأني أستطيع أن أتحمل الأمر.

لكن جواب السيد ستيفن سرعان ما وصلها: جل ما نطلبه منك هو أن تعلني خضوعك للأمر، وأن تعلمي أن الصراخ وتؤهات الألم لن يجدياكِ نفعاً.

أرجوكما، ألتمس شفقتكما، ليس بهذه السرعة! صرخت «او» عندما وقف السيد ستيفن، واقترب منها رينيه، مال إليها وأمسكها من كتيفيها.

– نريد منك جواباً نهائياً، قال لها هل تعلني خضوعك لنا؟

أعلنت أخيراً موافقتها. ساعدها بلطف على النهوض، وجعلها تركع أمام الأريكة الكبيرة التي جلس عليها، واضعة نهديها ويديها ورأسها على تلك الأريكة. أغلقت عينيها، وقفزت إلى مخيلتها صورة كانت قد رأتها ذات مرة منذ عدة سنوات مضت: لوحة لامرأة راكعة، كحالتها تماماً، أمام كرسي. كانت الأرضية في اللوحة مصنوعة من

Twitter: @ketab_n

القرميد، وفي إحدى الزوايا، رسم لكلب وطفل يلعبان. كانت تنورة المرأة مرفوعة، وكان يقف بجانبها رجل وبيده سوط، وفي أتم الاستعداد لجلدها. كانت الملابس توحي بأن المشهد يعود إلى القرن السادس عشر، وحملت اللوحة اسماً أشعرها بالقرف: «عقابٌ منزلي».

أحكم رينيه قبضته على رسغها، وباليد الأخرى، رفع تنورتها عالياً حتى لامس طرفها المصنوع من الموسلين وجنتيها. داعب خاصرتيها لافتاً انتباه السيد ستيفن إلى الغمازتين اللتين تزينانهما، ومادحاً نعومة الأخدود المحفور بين فخذيها. ثم ضغط باليد نفسها على خصرها كي يدفع مؤخرتها إلى الوراء أكثر، وأمرها أن تباعد بين ركبتيها قليلاً. امتثلت لأوامره دون أن تنبس ببنت شفة. المديح الذي كان يكيله رينيه لجسدها، وتعقيبات السيد ستيفن، إضافة إلى خشونة الأسلوب الذي اتبعه الرجلان في الحديث عنها، كل ذلك أغرقها في خزي قارب في شدته دهشتها لاختفاء رغبتها بأن تكون ملكاً للسيد ستيفن، وحلت مكان تلك الرغبة شهوة بأن تجلد كنوع من الخلاص، شهوة في الألم والصراخ كمبرر مناسب لها. امتدت يدا السيد ستيفن نحوها، ومجدداً استمرتا في مداعبتها حتى تأوهت. وبتأوهها هذا، كانت قد هُزمت، حُطمت، وأُذلت.

– أتركك للسيد ستيفن، قال لها رينيه. ابقِ كما أنتِ، سيأمر السيد بانصرافك عندما ينتهي منك.

كم من المرات تُركت هكذا في رواسي، على ركبتيها، مستسلمة لكل من أرادها؟ آنذاك كانتْ يداها على الدوام مكبلتين بقيد إلى معصميها، سجينة سعيدة يُمارس عليها كل شيء، ولا يطلب منها أي شيء. وهنا،

Twitter: @ketab_n

تُركت نصف عارية بملء إرادتها، وحيث كانت أبسط إشارة تكفي لتركع على ركبتيها، كانت الإيماءة ذاتها تكفي لتغطي عريها. كان وعدها الذي أخذته على نفسها يكبلها تماماً كالقيود والسلاسل. أكان وحده الوعد؟ مهما كانت طبيعة الإذلال الممارس عليها، أو مجرد كونها خاضعة لذلك الإذلال، ألم يكن مصدر سعادة لها أن تشعر بأن قيمتها تنبع من إذلالها، من الضعف الصادر عن استسلامها، من الخضوع الذي تسلّم نفسها له؟

مع رحيل رينيه، وذهاب السيد ستيفن ليرافقه إلى الباب، انتظرت هكذا في الوضعية ذاتها، دون حراك، وهي تشعر أنها مفضوحةٌ أكثر في عزلتها، وأنها أكثر عهراً في انتظارها، شعورٌ فاق ما أحست به عندما كان الرجلان برفقتها. أحست بنعومة الحرير الرمادي والأصفر للأريكة يلامس وجنتها؛ وعبر جوربيها المصنوعين من النايلون، وتحت ركبتيها، لمست خشونة السجادة الصوفية السميكة، وشعرت على طول فخذها الأيسر بحرارة المدفأة، التي رمى فيها السيد ستيفن ثلاث قطع خشبية أخذت بالاشتعال بصوت مسموع. أنصتت «او» إلى صوت الساعة القديمة المعلقة فوق مجموعة من الجوارير المتلاصقة، كانت الساعة تدق بصوت خافت لا يمكن سماعه إلا في لحظات هدوء مطلق؛ وأخذت «او» تفكر بعبثية موقفها الآن في ظل ما توحي به كل ما تحتويه هذه الغرفة من ذوق رفيع. فعبر الستائر الفينسية، وفي منتصف الليل، وصل إلى مسامعها دمدمة باريسية خافتة. غداً وفي وضح النهار، هل من الممكن لها أن تتعرف على البقعة التي أسندت رأسها عليها؟ هل ستعود، في ضوء النهار، إلى هذه الغرفة بالذات، وهل ستعامل غداً بالطريقة ذاتها التي عوملت بها اليوم؟

Twitter: @ketab_n

بدا أن السيد ستيفن ليس في عجلة من أمره ليعود، أما «او»، والتي اعتادت الانتظار بخضوع ليأتي إليها غرباء رواسي ويستمتعوا بها، فبدأت تشعر بجفاف في حلقها من فكرة أنه وبعد دقيقة، أو عشر دقائق ربما سيعود ليضع يديه عليها مجدداً. لكن فعله لم يطابق تخيلاتها أبداً.

سمعته وهو يفتح الباب ويعبر الغرفة. أخذ يتفحص «او» لبعض الوقت وقد أدار ظهره لنار المدفأة، وفي صوت أقرب إلى الهمس، طلب منها أن تقف وتجلس على الأريكة. أطاعته باستغراب وخجل شديدين. قدّم إليها بكياسة كأساً من الويسكي وسيجارة، إلا أنها رفضتهما، وعند ذلك لاحظت بأنه يرتدي روباً صوفياً محتشماً، ماثل بلونه الرمادي لون شعره. كانت يداه طويلتين وجافتين، وكانت أظافره المسطحة والمشذبة ناصعة البياض. ضبطها وهي تحدق فيه، فاحمرت وجنتاها خجلاً: هاتان اليدان هما اليدان اللتان أمسكتا بجسدها منذ قليل، اليدان اللتان تشعلان فيها الرغبة والرعب. لكنه لم يقترب منها.

– قال لها: أريدك أن تخلعي ملابسك بالكامل، ثم أضاف: ولكن أولاً عليكِ بخلع معطفك، ودون أن تنهضي.

حلّت او الأزرار الضخمة الذهبية وأنزلت معطفها الضيق عن كتيفيها؛ ثم خلعته ووضعته على الجانب البعيد من الأريكة، حيث وضعت قفازيها، وفروها، وحقيبتها.

– مسدي حلمتي نهديك ببطء شديد، هكذا طلب إليها السيد ستيفن قبل أن يضيف: عليكِ أن تضعي أحمر شفاه أكثر قتامة، فاللون الذي تضعينه باهت للغاية.

Twitter: @ketab_n

بدهشة شرعت «او» تداعب حلمتي نهديها برؤوس أصابعها، وعندما شعرت بأنهما أخذتا بالتيبس والانتصاب غطتهما براحتي يديها.

– أوه، لا! اعترض السيد ستيفن.

سحبت يديها وأرخت ظهرها على الأريكة: كان نهداها كبيرين بالنسبة لجسدها النحيل، ومرتفعين بأناقة نحو إبطيها. كانت مؤخرة عنقها تستند على ظهر الأريكة، ويداها تتدليان على جانبي وركيها. لماذا لم ينحنِ السيد ستيفن ويلصق فمه بفمها، لماذا لم تتحرك يداه نحو حلمتيها اللتين راقبهما وهما تتيبسان وترتجفان مع كل نفس تطلقه في سكونها. لكنه اكتفى بالجلوس قريباً على ذراع الأريكة ودون أن يحاول لمسها. كان يدخن، وكانت حركة يده تتسبب في سقوط رماد السيجارة بين نهديها – لم تكن «او» لتعلم ما إذا كان يفعل ذلك عن قصد أم لا. شعرت بأنه يريد أن يهينها بصمته وتكبره عليها، بموقفه اللامبالي. ومع ذلك، فقد كان يرغب بها منذ قليل، وما يزال كذلك الآن، كان ذلك واضحاً بالنسبة لها من خلال التوتر الذي لاحظته تحت عباءته الصوفية الناعمة. فليأخذها إذاً، أم يريد أن يجرحها فقط! كرهت «او» رغبتها الشهوانية، وكرهت السيد ستيفن لما يظهره من ضبط النفس. أرادته أن يحبها، نعم، هذه هي الحقيقة: أرادته أن يهتاج للمس شفتيها واختراق جسدها، ليحطمها إن اقتضى الأمر، لا أن يبقى هادئاً متماسكاً كما هو عليه الآن. في رواسي، لم تكن لتهتم بمشاعر أولئك الذين كانوا يستخدمون جسدها مهما بلغت: فهم مجرد أدوات تفيد في إثارة المتعة لدى حبيبها، أدوات تجعلها ما يريد حبيبها لها أن تكون: مصقولة، ناعمة وهادئة كالحجر. كانت أيديهم تتحرك بيديه

Twitter: @ketab_n

وأوامرهم منحولة من أوامره. ولكن الأمر هنا كان مختلفاً: صحيح أن رينيه قد سلّمها للسيد ستيفن، مدفوعاً برغبته في مشاركتها معه، لا برغبة تخصه وحده: لا من أجل المتعة التي طالما طلبها في رؤيتها خانعة مستسلمة، بل كي يشارك السيد ستيفن أكثر شيء يحبه اليوم، تماماً كما كانا يتشاركان، دون أدنى شك، ما أحباه في أيام خلت؛ رحلة، أو قارب، أو حصان.

و اليوم، تستمد هذه المشاركة أهميتها بالنسبة لرينيه من علاقته بالسيد ستيفن لا من علاقته بها. بات يبحث كل منهما فيها عما يتركه الآخر في جسدها، وعن آثار مرورهما عليها. منذ قليل فقط، ركعت نصف عارية أمام رينيه، وفتح السيد ستيفن فخذيها بيديه، وعندها أخذ رينيه يشرح للسيد ستيفن كيف أن الوصول لمؤخرة «او» أمر في غاية السهولة، وعن سبب سعادته بجعلها كذلك: فقد خطر بباله أن السيد ستيفن سيعجبه أن يكون الجزء المفضل بالنسبة إليه حاضراً جاهزاً له متى أراد. وأضاف بأنه، وفي حال رغب السيد ستيفن بذلك، سيمنحه حق استخدام مؤخرتها لوحده دون أن يشاركه بها أحد.

لماذا؟ قال السيد ستيفن، ولكنه ألمح، وبغض النظر عن كل شيء، بأنه قد يقوم بتمزيق «او».

– إن «او» ملك لك، أجابه رينيه، وستكون ممتنة إن أنت مزقتها.

قال ذلك ثم مال فوقها وقبّل يديها.

صعقت «او» لمجرد التفكير بأن رينيه قادر على التخلي عن أي قطعة من جسدها لغيره. اعتبرت ذلك بمثابة إشارة إلى أن عشيقها يهتم بالسيد

Twitter: @ketab_n

ستيفن أكثر من اهتمامها بها. فحتى لحظتها، لم تكن «او» مصدقةً تماماً لما كان رينيه يردده في العادة، من أنّ أكثر ما يحبه فيها هو ما حولها إليه كسلعة يملكها؛ جاهزيتها التامة له، حريته في التعامل معها كما يعامل أيّ قطعة من أثاث منزله، قطعة يستمتع بوهبها لغيره، تماماً، أو ربما أكثر مما يستمتع بالاحتفاظ بها لنفسه.

رأت «او» إشارة أخرى تدل على ما يكنه رينيه من احترام وتبجيل تجاه السيد ستيفن، وذلك في ما تمثله حقيقة أن رينيه، الذي أحب بشغف أن يراها تحت أجساد أو ضربات الآخرين، والذي كان ينظر بعطف ممزوج بالامتنان كلما رآها تفتح فمها في أنين أو صراخ، أو كلما رأى عينيها تغلقان على دموعها، كان قد تركها بعد أن توضّح له إعجاب السيد ستيفن بجمالها، أو بكلام أدق، بعد أن توضّح له ملاءمتها للسيد ستيفن، وسماحة الأخير في قبولها كهبة. كل ذلك بعد أن تفحَّصَها بتلك الطريقة أمام السيد ستيفن، تماماً كما يتم تفحُّصُ المهرِ بفتح فمه واستعراض أسنانه للتأكد من صغر سنه. ولكن، على الرغم من أن تصرف رينيه تجاهها كان ممعناً بالإهانة والإذلال، فلم يغير الأمر في مقدار الحب الذي تكنه له مطلقاً. بل اعتبرت نفسها محظوظة بأن لها اعتبارها عند محبوبها، حتى ولو اقتصرت قيمتها لديه على كونها شيئاً يستخلص المتعة منه بتحقيره، كان شعورها تجاهه مشابهاً لمشاعر المؤمنين الذين يشكرون الله على ضعفهم.

أما بالنسبة للسيد ستيفن، فقد استشفت فيه إرادة صلبة كالحديد، إرادة لا يمكن أن تفلح فيها الرغبة، ورأت أنها لا تساوي مع إرادته تلك شيئاً مهما بذلت من جهد ومن خضوع، حتى الوقت الراهن على الأقل. ولو أنها كانت مخطئة فمن أين أتى كل هذا الرعب الذي

Twitter: @ketab_n

يتملكها؟ هناك في رواسي، كان السوط حاضراً دائماً على خصر أولئك الرجال، وكانت السلاسل تكبلها دائماً أمامهم، ومع ذلك، فلا شيء يمكن مقارنته بنظرة السيد ستيفن المثبتة على صدرها، والذي يمنع نفسه عنه، وما تبعثه تلك النظرة برصانتها من رعب في نفسها. شعرت بالهشاشة في نهديها الممتلئَين والناعمَين الممتدين على كتفيها النحيلين وجسدها الممشوق. لم تستطع منعهما من الارتجاف، كان عليها أن تتوقف عن التنفس لتنجح في ذلك. في الحقيقة، كانت مقتنعة تماماً بأن تلك الهشاشة لم تكن لتفيدها في استمالة عطف السيد ستيفن، بل على العكس تماماً، كان ضعفها البين يستدر الجروح لجسدها كما المداعبة، ويستنهض الأظافر لتفعل فعل الشفاه فيه. خطر خيال حالم في بالها للحظة: يد السيد ستيفن اليمنى، اليد التي يحمل فيها سيجارته، تمتد إلى حلمتيها، ويخدشهما طرف إصبعه الأوسط، فيخضعان بمزيد من التيبس. كانت شبه متأكدة من أن الأمر لا يعدو بالنسبة للسيد ستيفن كونه مجرد تسلية، أو ما يشبه التسلية، لا شيء أكثر، أو ربما كان في نيته أن يتفحصها كما يتفحص عادة سيارته ليتأكد من أنها تعمل بشكل جيد؛ لم تكن «او» لتشك بغير ذلك.

بقي السيد ستيفن متسمراً في كرسيه عندما طلب منها أن تخلع تنورتها. زَلقَت يدا «او» الرطبتين على خطافات تنورتها الداخلية، وتطلب الأمر منها محاولتين قبل أن تنجح في فك لباسها الداخلي تحت تنورتها.

عندما تعرت بالكامل، خلعت حذاءها الجلدي اللماع بكعبه العالي، وتدلى جوربا النايلون الأسودان إلى أن وصلا إلى قمة ركبتيها، برزت خطوط ساقيها، وظهر بياض فخذيها. وقف السيد ستيفن وأمسك

Twitter: @ketab_n

بيده ما بين ساقيها دافعاً إياها إلى الوراء، فركعت وظهرها إلى الأريكة، ثم طلب منها أن تباعد بين فخذيها ببطء كي تنزلق لتلامس الأريكة بكتيفيها بدلاً من خصرها. أما يداها فجعلهما تلامسان كاحليها كي يبرز بطنها مفتوحاً أمامه، وبقي الصدر بارزاً كما كان، وتقوست حنجرتها كقنطرة في رقبتها.

لم تجرؤ على النظر في وجه السيد ستيفن، إلا أنها رأت يديه تهمان بفك حزامه. عندما امتطى «او»، والتي كانت ما تزال راكعة أمامه، أمسك بها من مؤخرة عنقها، وشق طريقه إلى فمها. لم يكن هدفه مداعبة شفتيها بل الوصول إلى مؤخرة حنجرتها. استمر في ذلك لوقت طويل، وشعرت «او» أن اللحم الذي يخنقها يتضخم حجماً ويغدو أكثر صلابةً، وقد أدى طرقه المتكرر البطيء إلى ملء عينيها بالدموع. ركع السيد ستيفن على الأريكة كي يجتاحها أكثر، فثبت ركبتيه على جانبي رأسها، وأراح في مرات عديدة مؤخرته على صدرها. شعرت او في داخلها بأن رحمها، الذي غدا مهجوراً لا قيمة له، قد بات يحرقها. لم يصل السيد ستيفن إلى الذروة على الرغم من استمتاعه وعربدته فوقها لوقت طويل، انسحب منها بصمت ووقف مجدداً على قدميه، لكن دون أن يعقد أزرار معطفه الطويل.

– أنت سهلة المنال يا «او»، قال لها السيد ستيفن. لا شك أنك تحبين رينيه، ولكنك سهلة المنال. هل يدرك رينيه حقيقة أنك تطلبين وترغبين بكل الرجال الذين يرغبونك، وأنه بإرسالك إلى رواسي أو بمنحك للآخرين فإنه يقدم لك ذريعة لإشباع رغباتك تلك؟

– أنا أحب رينيه، أجابته «او».

Twitter: @ketab_n

– أنت تحبين رينيه، ولكنك ترغبين بي، كما ترغبين بالآخرين، أكد السيد ستيفن.

نعم، كانت ترغبه، ولكن ماذا لو علم رينيه بالأمر؟ ألن يتغير تجاهها؟ لم يكن أمامها إلا أن تصمت وتخفض بصرها: فأي اتصال بصري بالسيد ستيفن كان بمثابة اعتراف بجريمتها.

انحنى السيد ستيفن فوقها وأمسك بكتفيها ليسحبها كي تنزلق فوق السجادة. عادت مرة أخرى مقلوبة على ظهرها، ساقاها مرفوعتان ومطويتان أمامها. جلس السيد ستيفن على الأريكة حيث كانت تسند ظهرها منذ قليل، أمسك بركبتها اليمنى وجرها إليه. كانت في مواجهة نار المدفأة، فسقط ضوء قوي أضاء الشق المخبأ بين بطنها ومؤخرتها. وعلى الفور، أمرها السيد ستيفن، ودون أن يفلت ركبتها من قبضته، بأن تداعب نفسها؛ وبذهول، امتدت يدها اليمنى في انقياد تام نحو عورتها، فتلاقت أصابعها بالشق اللحمي المنبلج من الشعر الواقي، والذي كان يحترق عند التقاء شفريه الهشتن.

لكن يدها ارتدت وتلعثمت قائلة: لا أستطيع.

و فعلاً كانت عاجزةً عن ذلك. فالمرات القليلة التي داعبت فيها نفسها خفيةً، انحصرت حيث كانت تنام وحيدةً متكورةً في دفء فراشها، و لم تكن لتكمل مداعبتها حتى وصولها الذروة. بل عادةً ما كانت تنام وهي تفعل ذلك، وتستفيق بعدها نادمةً على ما حملته تلك اللحظات من شهوةٍ وتخلٍ في آن. لم تتمكن من احتمال نظرة السيد ستيفن الآمرة، وكررت قولها لا أستطيع، لا أستطيع، وهي تغلق عينيها.

Twitter: @ketab_n

قفزت إلى ذاكرتها تلك الصورة التي لم تقدر يوماً أن تنساها، الصورة التي طالما ملأتها بالاشمئزاز والقرف، منذ أن رأتها أول مرة في الخامسة عشرة من عمرها، صورة ماريون وهي غارقة في كرسيها الجلدي في غرفة في فندق، باسطة إحدى ساقيها على أحد ذراعي الكرسي وملقية رأسها على الآخر، مداعبة نفسها، متأوهة في حضرة «او». روت لها ماريون كيف فعلت ذلك مرةً في مكتبها، ظناً منها أنها في مخبأ عن عيون الآخرين، وكيف دخل عليها رئيسها في العمل وضبطها بالجرم المشهود.

تذكرت «او» مكتب ماريون، غرفة خاوية لها جدران خضراء جرداء، وضوء خفيف يدخل خلسةً عبر النوافذ المغبرة. كان هناك كرسي مريح وحيد، مخصص للزوار ومواجه لطاولة المكتب.

– هل لذتِ بالفرار؟ سألتها «او».

– لا، أجابتها ماريون، لقد طلب مني أن أكرر العملية أمامه من بدايتها، حيث قام بإقفال الباب، وجعلني أخلع بنطالي، ثم دفع الكرسي ليواجه النافذة.

ملأ «او» مزيجٌ من التقدير والخوف لما اعتبرته شجاعة من ماريون، ورفضت بعناد أن تداعب نفسها في حضرتها، وأقسمت بألا تفعل ذلك في حضرة أي كان. ضحكت ماريون وقالت:

– ستفعلين، انتظري حتى يطلب حبيبك منك ذلك.

لم يطلب رينيه ذلك منها يوماً. هل كانت لترضخ لطلبه لو فعل؟

Twitter: @ketab_n

نعم، بكل تأكيد، كانت ستقوم بذلك، ولكن ليس دون أن يتملكها الخوف من فكرة أن ينظر إليها رينيه، بنفس نظرة القرف التي رمقت ماريون بها. كان الأمر برمته عبثياً، والآن إنه السيد ستيفن، مما يزيد الأمر عبثيةً؛ لماذا يعنيها أمر قرف السيد ستيفن من عدمه؟ لكن لا، لم تستطع. وللمرة الثالثة تمتمت:

لا أستطيع.

مع أنها لفظت تلك الكلمات بصوت أقرب إلى الهمس، إلا أنه سمعها؛ وقف على قدميه، أغلق أزرار معطفه وأمر ها بالنهوض.

– هل هذا هو الخضوع الذي تكلمتِ عنه؟

قال ذلك ثم قبض على معصميها بيده اليسرى، وصفعها باليمنى على خديها. ترنحت، ولولا أنه أمسك بها، لسقطت على الأرض.

– اركعي أمامي واسمعيني جيداً، قال لها. أخشى أنّ تدريب رينيه لكِ لم يكن كافياً.

– لطالما أطيع رينيه، غمغمت قائلة.

– أنت تخلطين الطاعة بالحب. ستطيعين أوامري دون أن تحبيني، ودون أن أحبك بدوري.

أثارت تلك الكلمات داخلها عاصفةً من العصيان، وأنكرت في سريرتها تصديق ما سمعت، أنكرت عهود الخضوع والعبودية التي كانت قد قطعتها على نفسها، أنكرت موافقتها عليها، رغبتها،

Twitter: @ketab_n

عريها، عرقها، أطرافها المرتجفة، والانتفاخات السوداء تحت عينيها. لقد قاومت وأطبقت أسنانها في غضب حين جعلها تنحني، واضعةً مرفقيها على الأرض ورأسها بين يديها، رافعةً مؤخرتها، مخترقاً إياها من الخلف.. حين «مزقها» كما قال رينيه بأنه سيفعل.

في المرة الأولى لم تبكِ. فأعاد الكرّة بطريقة أقسى، وصرخت. صرخت كنوع من التعبير عن الرفض أكثر مما كان صراخها ألماً، وكان يعلم ذلك. هي أيضاً كانت تعلم - مما يعني أنها المهزومة دوماً في أي شيء- بأنه يستثار من بكائها. عندما انتهى منها، وبعد أن ساعدها للوقوف على قدميها، قال لها قبل أن يصرفها نهائياً، بأن ما سكبه فيها سيتسرب منها ببطء، ممزوجاً بالدم النازف من الجرح الذي سببه لها، وبأن ذلك الجرح سيؤلمها لأن مؤخرتها لم تكن مهيئةً له، فكان مضطراً لفتح طريقه بعنف. كان رينيه قد احتفظ بالحق باستخدام «او» بتلك الطريقة لنفسه، وكان ينوي أن يستمر في استخدامها هكذا حتى أقصى حد، ولذلك كان عليها أن تتقبل الأمر دون تفكير. ذكّرها بأنها وافقت على أن تكون أَمَة رينيه وأَمته هو أيضاً، لكنها لم تكن على ما يبدو واعيةً تماماً لما قد وافقت على القيام به. وفي الوقت الذي أدركت فيه حقيقة الأمر، كان قد فات أوان الهرب. لقد وعدت «او» نفسها بأن الوقت سيكون أيضاً متأخراً بالنسبة لهروبه من فخ تعلقه بها، فلم يكن في نيتها أن تخضع له فوراً، بل أن تعطي لنفسها بعض الوقت، علّه يقع في غرامها ولو قليلاً. تلخصت مقاومتها الداخلية كلها، وما تجرأت بإظهاره من رفض خجول، بهدف واحد وحيد: أرادت أن تظهر للسيد ستيفن بمظهر البساطة التي أظهرتها قبلاً لرينيه، وأرادت له أن يشعر تجاهها بأكثر مما تختصره رغبته الجنسية فيها. لم يكن ذلك ليعني

Twitter: @ketab_n

بأنها أحبته، بل كان نابعاً من يقينها بأن رينيه يحب السيد ستيفن بتلك الطريقة الشغوفة التي يحب فيها الأولاد من يكبرهم، فقد شعرت بأنه، حتى إن اضطر إلى ذلك، كان مستعداً للتضحية بها لإرضاء إحدى أو كل نزوات السيد ستيفن، في سبيل الحصول على رضاه. كانت على يقين من أن رينيه سيتبع السيد ستيفن ويقلده في كل ما يصدر عنه، فلو أن السيد ستيفن أظهر شيئاً من الاحتقار تجاهها لكان رينيه سيتأثر بذلك حكماً، حتى لو كان يحبها أيما حب، سيتأثر بطريقة لم يتأثر بها من قبل، و لم يكن ليخطر بباله حتى، أن يتأثر بها من قبل مدفوعاً بآراء الرجال في رواسي. فهناك كان هو السيد، وآراء كل أولئك الرجال الذين سلمها لهم كانت تنبع من آرائه هو. أما هنا، فلم يعد السيد المطلق. بل على العكس تماماً، السيد ستيفن هو سيد رينيه الآن، حتى لو لم يكن مدركاً لذلك، فرينيه كان معجباً به وأراد أن يقلده إلى حد المنافسة، ولهذا سلم «او» له: سلمها له تسليماً غير مشروط، ودون أن يبقي أيّاً من خيوطها في يده. ربما كان من الممكن لرينيه أن يستمر في حبها شرط أن يطلق السيد ستيفن عليها حكماً بأنها تستحق عناء محبته لها، وأن يحبها هو أيضاً. وحتى يتحقق ذلك، سيبقى السيد ستيفن سيدها، ورغماً عن كل ما قد يفكر به رينيه، سيبقى سيدها الأوحد، وستدين له كما تدين الأَمَة لسيدها. لم تكن لتتوقع أية شفقة منه؛ ولكن ألم يكن لها أن تحلم باستدرار بعض الحب منه؟

بقي غارقاً في الكرسي المجاور للمدفأة، حيث جلس أول مرة بعد أن غادرهما رينيه، وتركها تقف عارية تماماً بانتظار ما قد يصدره من أوامر. انتظرت هكذا دون أن تنبس ببنت شفة؛ وفجأة نهض من مكانه وأمرها بأن تلحق به. كانت ما تزال عارية، باستثناء حذائها الجلدي

Twitter: @ketab_n

اللامع وجوربيها الأسودين، صعدت وراءه الدرج من الطابق الأرضي، ودلفا غرفة نوم صغيرة بالكاد اتسعت لسرير في زاوية الغرفة، ومنضدة تزيين وكرسي في الفراغ بين السرير والنافذة. اتصلت تلك الغرفة بغرفة أكبر كان السيد ستيفن قد خصصها لنفسه، واشتركت الغرفتان بحمام واحد.

تغسلت «او» وجففت نفسها - بمنشفة كانت ملطخة قليلاً بلون زهري- ثم خلعت صندلها والجوربين، وحشرت نفسها بين الأغطية الباردة. كانت ستائر النافذة مفتوحة، إلا أن الظلام كان دامساً ليلتها.

قبل أن يغلق الباب الذي يفصل بين الغرفتين، اقترب السيد ستيفن من سرير «او» وقبّل أطراف أصابعها، تماماً كما فعل آنذاك حين انزلقت عن كرسيها في البار، وحين أثنى يومها على خاتمها الحديدي. وهكذا، بعد أن فعل فعلته، واخترقها وضعضع مؤخرتها وفمها، تنازل قليلاً ووضع شفتيه على أناملها. بكت «او»، و لم تذق طعم النوم ليلتها حتى الفجر.

في اليوم التالي، وقبل الظهيرة بقليل، أوصل سائق السيد ستيفن «او» إلى منزلها. كانت قد استيقظت في الساعة العاشرة، وأتت إليها خادمة خلاسية بفنجان قهوتها، ثم جهزت لها الحمام وأعطتها ملابسها، باستثناء إزارها المصنوع من الفرو وقفازيها وحقيبتها؛ فقد وجدت كل تلك الأشياء على الأريكة في غرفة المعيشة وهي في طريقها إلى الخارج. كانت غرفة المعيشة فارغة، فقد أزيل الديكور الفينيسي عن النوافذ وفتحت الستائر. وعبر النافذة المقابلة للأريكة، استطاعت أن ترى حديقة خضراء ضيقة كحوض سمك، مزروعة باللبلاب والبهشية (نبات الإيلَكس) والشجيرات الشائكة.

Twitter: @ketab_n

عندما همّت بارتداء معطفها، اقتربت منها الخادمة الخلاسية وأخبرتها بأن السيد ستيفن قد غادر المنزل، ثم أعطتها ظرفاً مختوماً لم يكتب عليه شيء سوى اسمها الأول؛ كان في الظرف ورقة بيضاء عليها سطران اثنان: اتصل رينيه وقال إنه سيمر إلى الاستديو ليصحبكِ في تمام السادسة، كانت الرسالة ممهورة بالحرف (S) ومذيلة بملحوظة تقول: سيكون السوط جاهزاً لزيارتك الثانية.

لاحظت «او» حولها، على الطاولة، وبين الكرسيين حيث كان رينيه والسيد ستيفن يجلسان في الليلة الماضية، سوطاً جلدياً طويلاً ورفيعاً قد وُضع إلى جانب مزهرية مليئة بالأزهار الصفراء. كانت الخادمة قد فتحت لها الباب، فوضعت «او» الرسالة في حقيبتها وخرجت.

إذن، اتصل رينيه بالسيد ستيفن بدلاً من أن يتصل بها. في منزلها، خلعت ملابسها وارتدت عباءة طويلة، ثم جلست لتناول طعام الغداء، كان عليها أن تكون في الاستديو عند الثالثة، ما يعني أنه كان لديها الوقت الكافي لتعيد ترتيب زينتها، وتصفف شعرها وتستعد للذهاب إلى هناك. لماذا لم يرن الهاتف؟ لماذا لم يهاتفها رينيه؟ ما الذي قاله له السيد ستيفن؟ ما الذي قالاه عنها؟ تذكرت كلماتهما عنها في حضورها، ملاحظاتهما حول ما يميز جسدها، وكيف يمكن له أن يلبي رغباتهما.

ربما لم تكن معتادةً على سماع تلك الكلمات باللغة الانجليزية، ولكنّ كل المرادفات الانجليزية التي خطرت في بالها، كانت كذلك مفردات وضيعة وحقيرة بالنسبة لها. كانت تُسلّم من شخصٍ إلى آخر، تماماً كحال العاهرات في بيوت الدعارة، إذن، لَم يتوجب عليهما أن

Twitter: @ketab_n

يعاملاها بطريقة مختلفة؟ أحبك، أحبك يا رينيه، أعادت قولها، كانت تهمس له في ظلام ووحشة الغرفة، أحبك، افعل بي ما شئت ولكن لا تتركني، كرمى للسماء، لا تهجرني!

من يشفق على من ينتظر؟ يمكن تمييز المنتظرين بسهولة: من كياستهم ونظراتهم التي تنم عن تيقظ مزيف- تيقظ، أجل، لكن بخصوص أمور أخرى غير التي ينظرون إليها بأذهانهم الذاهلة. كانت «او» لمدة ثلاث ساعات، وأمام إحدى عارضات الأزياء ذوات الشعر الأحمر، التي لم تكن تعرفها مسبقاً، والتي كانت تقدّم عرضاً للقبعات-شخصاً شارد الذهن- منطوية على ذاتها، جراء رغبتها لأن تجعل الدقائق تمر بسرعةٍ أكبر، وما تعانيه من قلق وتوتر.

ارتدت تنورةً ذات مربعات وسترة جلدية قصيرة، فوق بلوزة وتنورة داخلية من الحرير الأحمر، وقد زاد اللون الأحمر الفاتح الظاهر من تحت معطفها مفتوح الأزرار من شحوب وجهها، ولذلك، قالت لها عارضة الأزياء ذات الشعر الأحمر إنها تبدو أنثى قاتلة. قاتلة من؟ ذلك ما قالته «او» لنفسها.

لو خطر في بالها ذلك السؤال قبل عامين وقبل أن تقع في حب رينيه، لأجابت دونما تردد: قاتلة السيد ستيفن، بل كانت ستؤكّد بأنه سوف يعرف ذلك قريباً، إلا أن حبها لرينيه وحبه لها قد جرّداها من كل ما كانت تمتلك من أسلحة، وبدل من أن يزوّدها ذلك الحب بأدواتٍ بديلة فقد جرّدها من قوتها تماماً. كانت في السابق متقلبة لا مبالية، كانت تستمتع باستمالة الشبان الذين يقعون في شباكها بكلمة أو إشارة، إلا أنها لم تكن تبادلهم ذلك الحب. كانت في البداية تمنع

Twitter: @ketab_n

نفسها ومن ثمّ تقدمها كمكافأة، وذلك لغرض واحد فقط، وهو جعل نار الحب غير المتبادل تتأجج في صدورهم أكثر فأكثر. كانت واثقةً من حبهم لها. وذات مرة كاد أحدهم أن يقتل نفسه، وبعد أن أُخرج من المستشفى وعاد إلى منزله، حضرت إليه وخلعت ملابسها واستلقت على أريكته ومنعته من أن يلمسها. حدّق بها لمدة تزيد عن ساعتين بعد أن اعترى وجهه شحوبٌ جديد، وذلك نتيجة ما كان يعتمل في صدره من ألم وحب، وشعر بالذعر حين تذكّر ما وعدها به، إذ أنها أخبرته أنها لمْ تكن ترغب برؤيته ثانيةً. لم تكن تجهل قوة الرغبة التي تثيرها، بل كانت تشعر أنها تفهما (أو هكذا ظنت) فهي ذاتها كانت تشعر برغبة مماثلة تجاه صديقاتها من الإناث، وكذلك تجاه الفتيات اللواتي كانت تصادفهن في أماكن مختلفة. كان بعضهن يمتثلن لرغبتها، فتقضي معهن بعض الوقت في الفنادق ذات الدهاليز الضيقة والجدران الرقيقة، أما بعضهن الآخر فكنّ يشعرن بالذعر، ولذا كنّ يرفضنها. ولكن ما كانت تعتبره رغبةً، لم يكن في الواقع سوى تعطش للغزو والإخضاع، ولكن لم يساعدها مظهرها الخارجي الأقرب إلى مظهر الصبي القوي، أو حقيقة أن لديها عدة عشاق – إن كان بالإمكان تسميتهم عشاقاً– في مقاومة رينيه، كل ما تتحلى به من شجاعة وقوة لم يساعداها على مقاومته. فخلال أسبوع، اختبرت مشاعر جديدة تتأرجح بين خوف وثقة وألم وسعادة. رمى رينيه بنفسه إليها وكأنه قرصانٌ يرمي بنفسه إلى سجينه، وكم كانت سعيدة بسجنها. بدأت تشعر وهي داخل هذا الأسر، أن هناك قيوداً على معصميها، كاحليها، وكل أعضاء جسدها، بل وعلى قلبها أيضاً، قيوداً أرفع من خصل الشعر، ولكنها أقوى كذلك من الأسلاك التي كان قوم الليليبوتيا (الأقزام) يستخدمونها في ربط غيلفر، قيوداً كان عشيقها يشدّها أو يرخيها بنظرة. لم تعد حرةً بعد

Twitter: @ketab_n

الآن؟ لا، حمداً لله، لم تعد حرة. ولكنها كانت تشعر بالخفة، كانت تشعر كأنها حورية سابحة بين الغيوم، سمكةٌ عادت إلى الماء، تائهة في ذلك المزيج من السعادة، ذلك لأن تلك القيود، تلك الأسلاك التي أمسكها رينيه بيده، كانت الشيء الوحيد الذي تشعر من خلاله بتدفق الحياة في جسدها.

كان ذلك صحيحاً لدرجة أنها كانت تشعر وكأنها تختنق، وأن كل شيءٍ في داخلها يتداعى، حين يقوم رينيه بالتخفيف بعض الشيء من إحكام سيطرته عليها، أو حين يخيل لها أنه يفعل ذلك، أو حين يبدو منشغلاً عنها، فيبتعد لتظن بأنه لم يعد يبالي بها، أو حين تمر بضعة أيام دون أن يحاول رؤيتها أو يجيب على رسائلها، كانت تعتقد بأن ذلك يعني بأنه على شفا أن يتوقف عن حبها، وحينها كان شيء يتعطل ويخمد في داخلها. كان لون العشب يستحيل أسود، ويتوقف النهار والليل عن تعاقبهما، بل يتحول كلٌ من النهار والليل إلى آلاتٍ جهنمية تعمل – كأحد طرق تعذيبها – على بث أوقاتٍ متناوبة من الظلام والنور. المياه المتدفقة تشعرها بالاشمئزاز. في تلك الفترات كانت تشعر وكأنها تمثالٌ من الرماد، ملعون، مر، عديم الفائدة، تماماً كحال تمثال جومارا الملحي، ذلك لأنها كانت مذنبة. أولئك الذين يحبّون الله، الذي قد يهجرهم في أحلك الليالي، هم مذنبون لأنهم منبوذون. إنهم يسافرون عبر الزمن والذكريات محاولين استكشاف ما ارتكبوه من خطايا، وهي كذلك كانت تستذكر ماضيها، باحثةً عن خطاياها. كل ما تمكنت أن تعثر عليه، لم يكن سوى بعض التصرفات اللطيفة المرضية لغرور الذات، وهي لم تكن تصرفاتٍ عابرة بقدر ما كانت جزءاً لا يتجزأ من شخصيتها، مثل إثارة الرغبة لدى رجالٍ آخرين سوى رينيه، رجال لم تكن تلحظهم إلا بقدر ما كان يمنحها

Twitter: @ketab_n

الحب الذي قدمه لها رينيه، وما منحها من شعورٍ أكيد بالانتماء له وحده، من سعادة، وبقدر ما كان خضوعها لرينيه يحوّلها إلى امرأة عابثة غير مسؤولة. وكل تلك المحاولات العابثة – ولكن أي محاولات تلك؟ كل ما كانت تلوم نفسها عليه لم تكن سوى محاولات إغواءٍ عابرة. ومع ذلك، كان واثقاً بأنها مذنبة، ورغم أنه لم يكن يرغب بذلك، كان يعاقبها على خطيئتها التي لا يعرف عنها شيئاً (وذلك لأنها لم تظهرها مطلقاً)، إلا أن السيد ستيفن قد اكتشف ذنبها الأساسي فوراً: الفجور.

كانت «او» تشعر بالسعادة لأن رينيه كان يطلب من الآخرين جلدها ولأنه حوّلها إلى عاهرة، وذلك لأن خضوعها المشبوب بالعاطفة يثبت لحبيبها بأنها ملكٌ له وحده، ولأن ما كانت تختبره من ألمٍ وعارٍ تحت ضربات السوط، وما كان يظهره من غضب أولئك الذين يجبرونها على منح المتعة لهم، غير آبهين بمتعتها وسعادتها، بدا لها الطريقة المثلى لتكفّر عن ذنوبها. كم ضم جسدها من أذرع لم تكن تستسيغها، وكم داعب صدرها من أيادٍ مهينة، وكم التصق بشفتيها ولسانها شفاهٌ وألسنةٌ كانت تجدها أقرب إلى مجموعة من اللعَلَقَات الناعمة والمقرفة، ألسنةٌ وأعضاء جنسية، وحوشٌ شريرة، أولئك كانوا يحاولون أن يداعبوا أنفسهم عند ذلك الشق المزدوج الموجود في الأمام والخلف، والذي كانت تحاول أن تبقيه مغلقاً بكل ما أوتيت من قوة، وحوشٌ كانت تجعلها تتجمد قرفاً، لتبقى على تلك الحال فترة طويلة، فليجرّون حينها إلى السوط، فتستسلم تحت أثر الضربات، وتمنحهم الطريق بقرفٍ وخنوعٍ بغيضين. ماذا لو أن السيد ستيفن كان على حق؟ ماذا لو أنها كانت حقاً تستمتع بذلها؟ في تلك الحالة، كلما كانت أكثر وضاعةً، كان رينيه أكثر رحمةً، ووافق على جعلها أداةً لتلبية متعته ورغباته.

Twitter: @ketab_n

حين كانت طفلة، قرأت ذات مرة نصاً إنجيلياً مكتوباً على أحد الجدران البيضاء في أحد الغرف في ويلز،حيث مكثت مدة شهرين، نصّ أشبه بذلك الذي ينقشه البروتستانت عادةً على جدران منازلهم:

إن السقوط بين يدي الإله الحي أمرٌ مثيرٌ للذعر.

لا، حدثت «او» نفسها، هذا ليس صحيحاً. ما يثير الذعر حقاً هو أن ينبذك الإله الحي. في كل مرةٍ يؤجّل رينيه موعدها معه أو يتأخر عنها – كما هي الحال اليوم، فها هي الساعة قد تجاوزت السادسة، بل تجاوزت السادسة والنصف – كانت «او» تقع ضحية شعورٍ يتـأرجح بين اليأس والجنون، ولكن من أجل لا شيء. الجنون كان مقابلٍ لاشيء، واليأس من أجل لا شيء، لم يكن ما يدور في خلدها صحيحاً. رينيه سوف يصل، سوف يحضر، لم يتغير شيءٌ بعد، رينيه لا يزال يحبها ولكن اجتماعاً مهماً أعاقه عن القدوم في موعده، أو بعض العمل الإضافي، و لم تتسن له الفرصة ليخبرها بذلك. بسرعة، كانت «او» تخرج من غرفتها الخانقة تلك، إلا أن كل واحدة من نوبات الرعب كانت تترك في نفسها إحساساً داخلياً مخيفاً،إنذاراً بحلول الويلات: لعدة مرات، أهمل رينيه إخبارها أن سبب تأخره كان مجرد لعبة غولف أو ورق، أو ربّما كان الأمر مختلفاً. ربّما كان يحبّ «او» لكنه كان واثقاً من مشاعرها، ولذا كان متقلّباً جداً، ولا يأبه لألمها، لا يأبه البتة. ألن يأتي يوم يسوده الموت والرماد؟ ألن يأتي يومٌ يُطلق فيه للجنون العنان؟ يومٌ يعاد فيه فتح تلك الغرفة الخانقة؟ أوه، لتستمر المعجزة، أريد أن أعيش هذه النعمة وقتاً أطول، لا تتركني يا رينيه! كانت «او» تستمتع كل يوم بيومه، كانت لا تفكر، ولا تهتم كذلك بما سيحدث لاحقاً، تنتظر أن يمّر يومٌ ليأتي آخر، أن يمر أسبوعٌ ليحل آخر. كل ليلةٍ كانت تقضيها مع رينيه كانت بالنسبة لها ليلةً ستستمر إلى الأبد.

Twitter: @ketab_n

وصل رينيه أخيراً عند الساعة السابعة، وقد بدا سعيداً جداً لرؤيتها ثانيةً، لذا، قبّلها أمام الكهربائي الذي كان يصلح الضوء الكاشف، وأمام عارضة الأزياء قصيرة القامة ذات الشعر الأحمر، التي خرجت لتوها من غرفة الملابس، وأمام جاكلين، التي لم يتوقع أحدٌ تواجدها، فقد حضرت فجأةً لاحقةً بالعارضة الأخرى.

– يا له من مشهدٍ جميل، قالت جاكلين. كنت مارة من هنا، فتذكرت أنني أنوي سؤالك عن آخر اللقطات الخاصة بي، ولكن يبدو أنها ليست اللحظة المناسبة. سوف أكمل طريقي.

– لا تذهبي يا آنستي، قال رينيه، دون أن يبعد يديه عن خاصرة «او»، لا تذهبي، أرجوكِ.

قامت «او» بتقديهما إلى بعضهما. جاكلين، رينيه، رينيه، جاكلين.

شعرت العارضة ذات الشعر الأحمر بالانزعاج فعادت إلى غرفة تبديل الملابس، أما الكهربائي فقد تظاهر بأنه مشغول. كانت «او» تنظر إلى جاكلين وتشعر بنظرات رينيه تلاحق نظراتها. كانت جاكلين ترتدي ملابس تزلج، مثل تلك التي يرتديها نجوم الأفلام الذين لا يمارسون رياضة التزلج مطلقاً. كانت بلوزتها السوداء تبرز ثدييها الصغيرين المتباعدين، وكذلك كان بنطال التزلج الضيق يبرز جمال ساقيها الطويلتين الرياضيتين. كان كل شيءٍ حولها يبدو أشبه بالثلج: التماع معطفها الرمادي المصنوع من جلد الفقمة، بدا أشبه بلون الثلوج تحت الظلال، وانعكاس الصقيع المتجمد على شعرها ورموشها، بدا أشبه بلون الثلج تحت أشعة الشمس. كانت تضع أحمر شفاه داكناً حتى أنه بدا أقرب إلى الأرجواني، وحين رفعت عينيها ونظرت إلى «او»، قالت

Twitter: @ketab_n

«او» لنفسها أنه لا يمكن لأحد أن يقاوم تلك الرغبة بشرب الماء الأخضر المتحرك الذي كان يلتمع تحت أهدابها الفضية، من سيقاوم رغبته بتمزيق سترتها إرباً ليضع يديه على صدرها العاري الصغير الجميل. إذاً، ما إن عاد رينيه ومنحها بعودته الأمان والاطمئنان، حتى استعادت هي حماسها للحياة، وراحت تلحظ جمالها وجمال الآخرين من حولها.

غادرا سوياً. وعبرا طريق رويال. كان الثلج يتساقط على شكل دوامات من ندف كبيرة منذ أكثر من ساعتين، إلا أنه تحوّل الآن إلى دوامات من ندف صغيرة تلسع الوجه، وقد بدأت الصخور الملحية المتناثرة على جوانب الطريق تتكسر تحت أقدامهما وتذيب الثلوج. شعرت «او» بأن النسمات الباردة الناتجة عن تلك الصخور تتسلق ساقيها وتستقر على فخذيها العاريين.

كانت «او» تعرف تماماً عما تبحث في النساء اللواتي كانت تلاحقهن. إنها لم تكن تحاول أن تنافس الرجال، ولا أن تعوّض من خلال إظهار ما تتمتع به من رجولة واضحة عن بعض النقص الأنثوي، فهي لا تعاني من مثيل ذلك إطلاقاً. صحيحٌ أنها تذكر كيف حاولت استمالة واحدة من أجمل صديقاتها، عندما كانت في العشرينيات من عمرها. كانت ترفع قبعتها لتحييها، وكانت تمدّ لها يدها لتساعدها على الخروج من سيارة الأجرة، وتقف جانباً لتسمح لها بالمرور قبلها، ولكنها في الوقت ذاته لم تكن ترضى إلا أن يتقاسما الحساب، حين تخرجان لتناول الشاي سوياً أو ما شابه، وكانت كثيراً ما تقبّل يد صديقتها، وفمها إن سنحت لها الفرصة خاصة في الطريق، لكن تلك لم تكن سوى بعض الادعاءات التي استعرضتها لتكسب الفضيحة، و لم تكن ادعاءات ناتجة عن قناعة بل عن طفولة. مع ولعها بالشفاه الجميلة

Twitter: @ketab_n

التي تستلم لقبلاتها، للعيون نصف المغمضة المتلألئة عند الساعة الخامسة مساءً، عندما تغلق الستائر ويدار المصباح الموضوع إلى جانب الموقد، والأصوات التي كانت تسمعها تقول «مجدداً، أرجوك، مجدداً»، مع هبة الرائحة البحرية التي كانت تلتصق بأصابعها: ذلك كان شغفاً حقيقياً. كانت تستمتع بالمطاردة والملاحقة، ربما لم تكن تستمتع بالمطاردة بحد ذاتها، بل بما كانت تمنحها من شعورٍ بالتحرر والانطلاق، فقد كانت هي وحدها من يضع القواعد، ومن يقرر كيفية سير مجرى الأمور (وذلك أمرٌ لم تفعله سابقاً في علاقتها مع الرجال، أو ربما كانت تفعله ولكن بطريقةٍ غير مباشرة). كانت هي من تبدأ النقاشات والمحادثات وتحدّد المواعيد، وكانت هي من تقبّل صديقتها أولاً، ذلك لأنها لا تحبّ أن يبادر أحدٌ إلى تقبيلها، وكانت لا تسمح للنساء اللواتي تداعبهنّ أن يقمن بمداعبتها بدورهنّ، ورغم أنها كانت تتوق لرؤية صديقتها عارية، فقد كانت تجدد الأعذار لكي لا تخلع ملابسها أمامها، كأن تقول إنها تشعر بالبرد، أو أن هذا ليس الوقت المناسب من الشهر بالنسبة لها. نادراً ما كانت تفشل في أن تجد عنصراً جمالياً ساحراً في كل امرأة. إنها تذكر تماماً كيف حاولت استمالة فتاة قبيحة، وذات طباع صعبة، ذلك فقط لأن شعرها الأشقر الغجري المجعّد المتناثر بشكلٍ عشوائي، بدا أشبه بغابة من الضوء المتناثر فوق جلدها القاتم الناعم. لكن تلك الفتاة لم تسمح لـ «او» بالاقتراب منها أبداً، وإن حدث وأضاءت السعادة وجه تلك الصغيرة الجاحدة ذات يوم، فذلك لم يكن بفضل «او» أبداً. كانت «او» تحب أن تشاهد الوجوه غارقةً في ضباب السعادة، الذي قد لا يساعد حقاً على جعل المرء يبدو وكأنه استعاد بعضاً من طفولته، ولكنه حتماً يجعله يبدو أصغر سناً. ضباب يجعل الشفتين تبدوان أكبر حجماً، والعينين أكثر اتساعاً، تماماً كما تفعل أدوات التجميل، ويجعل

Twitter: @ketab_n

قزحية العين أكثر التماعاً ووضوحاً. لم يكن لها أن تتفاخر في جعل ملامح الفتاة تتغير هكذا، بل كل ما كان في يدها فعله هو المشاهدة والإعجاب: كانت قد اختبرت مشاعر مماثلة في رواسي وذلك في حضرة فتاة ذات وجه مشوّه كان يمتلكها غريب. وكانت «او» تشعر بالامتنان يغمرها حين توافق صديقاتها على أن يتعرينّ أمامها في غرفة مغلقة، كان تشعر بأنها تتلقى منهنّ هديةً لا تستطيع ردّها، أما ما كانت تراه من عري على شواطئ البحر فلم يكن يعنيها في شيء، ليس لكونه مشتركاً ومتاحاً فقط،.بل لأنها كانت تشعر أنها محميةٌ منه إلى درجة ما وذلك لكونه عاماً، وما هو عام فهو غير مطلق. وكان ما تتمتع به النساء الأخريات من جمال، واللواتي كانت تعتقد أنهن يفقنها جمالاً، قد عزز ثقتها بجمالها، وذلك لأنها كانت تجد في كل مرة تلمح فيها نفسها في المرأة انعكاساً لبعض ما يتمتعنّ به. إنّ قدرة النساء على السيطرة عليها بتلك الطريقة، تؤكّد لها قدرتها على السيطرة على الرجال بالطريقة ذاتها، وكانت تجد أنه يتوجب على الرجال أن يطلبوا منها ما تطلبه هي عادةً من النساء (رغم أنها نادراً ما كانت تمنحهنّ مقابلاً). إذن، لقد كانت دوماً شريكة الرجال والنساء على حد سواء، كما لو أنها كانت تحضّر كعكتها لتأكلها بنفسها. مرت أوقات لم تكن فيها تلك اللعبة سهلةً على الإطلاق. وفي الحقيقة كانت «او» واقعةً في حب جاكلين، تماماً كما وقعت سابقاً في حب سواها من الفتيات، كان تعتقد أن مصطلح « فن الحب» (والذي كان يحمل الكثير بين طياته) هو ما يصف ما كان يعتريها من شعور، فلماذا كانت إذاً تخفي ذلك؟

حين بدأت الأزهار تتفتح على أشجار الحور المنتشرة على رصيف الميناء، وحين غدت ساعات النهار أطول، وبدأ العشاق يجدون

Twitter: @ketab_n

الوقت الكافي ليجلسوا في الحدائق بعد أن تنتهي ساعات عملهم، شعرت «او» أنها قد أصبحت تمتلك ما يكفي من الشجاعة لتفصح عن مشاعرها لجاكلين. في الشتاء، كانت جاكلين تبدو بعيدة المنال، إذ كانت ترتدي الكثير من الفرو بألوان مختلفة، وكانت جاكلين تدرك ذلك في قرارة نفسها. ما إن حلّ الربيع حتى عادت جاكلين إلى ارتداء البدلات، الأحذية ذات الكعب المنخفض، والسترات العادية، وقد جعلتها قصة شعرها القصيرة تبدو كأنها إحدى طالبات المدرسة، اللواتي كانت «او» تمسكهنّ من معاصمهنّ، وتقودهنّ إلى غرفة ملابس فارغة، وتدفعهنّ باتجاه المعاطف المعلّقة، فتقع المعاطف على الأرض وتنفجر «او» ضاحكة. كنّ يرتدين سترات قطنية موحدّة. كن يطرّزن الأحرف الأولى من أسمائهن على الجيوب المتوضعة فوق الصدر باستخدام الصوف الأحمر. بعد مرور ثلاث سنوات على تلك الحوادث، وفي مكان يبعد حوالي ثلاثة كيلو مترات عن تلك المدرسة، كانت جاكلين ترتدي اللباس ذاته لكن في مدرسة مختلفة. سمعت «او» جاكلين مصادفةً وهي تقول متنهدةً أثناء قيامها بعرض بعض الفساتين الجميلة، أنه لو كان سُمح لهن بارتداء فساتين جميلة كهذه في المدرسة، لكنّ أكثر سعادةً. لو أنه سُمح لهنّ بارتداء المعاطف التي أعطيت لهنّ دون أن يلبسن شيئاً تحتها. ماذا تقصدين بقولك دون أن نرتدي شيئاً؟، سألتها «او». أقصد دون أن نرتدي الفستان، وحينها احمرت وجنتا «او» التي لم تكن قد اعتادت عدم ارتداء شيءٍ تحت ملابسها، ولذا كانت تعتبر أي ملاحظة ملتبسة بمثابة إشارة ضمنية إلى حالها. لم يجد نفعاً أن تكرر في خلدها أن الجميع في النهاية لا يرتدون شيئاً تحت ملابسهم. لا، كانت تشعر بأنها عاريةٌ تماماً مثل تلك المرأة من فيرونا، التي قدمت نفسها لقائد الجيش الذي كان يحاصر مدينتها، آملةً بذلك

Twitter: @ketab_n

أن تخلصها من الحصار: لم تكن ترتدي سوى معطف، وكل ما كان يتوجب على ذلك القائد فعله ليحصل على جسدها، أن يزيح ذلك المعطف ليس إلّا. كانت تشعر، كما كان حال تلك المرأة الإيطالية، إنها تكّفر من خلال عريها عن شيءٍ ما، ولكن تكّفر عن ماذا؟ كانت جاكلين واثقة من نفسها، ولذا لم تكن بحاجة للتكفير عن أي شيء، لم تكن بحاجة إلى من يزرع في نفسها الاطمئنان، لم تكن تحتاج سوى لأن تنظر إلى وجهها في المرآة. نظرت إليها «او» وخطر في بالها أن المانوليا هي الزهرة الوحيدة التي يجب أن تُهدى لهذه الفتاة، ذلك لأن لونها الأبيض يمتزج أحياناً مع اللون القرنفلي. حين رحل الشتاء وذابت الثلوج، زال عن جاكلين ذاك الشحوب الذي كان يغطي بشرتها، ورات «او» أن أزهار الكاميليا باتت تناسبها أكثر، ولكنها كانت تخشى أن تبدو حمقاء في حال أهدتها تلك الأزهار المثيرة. وفي النهاية، أحضرت «او» ذات يوم باقةً من أزهار الخزامى الزرقاء، التي تمتاز برائحتها الجميلة العابقة، التي تشبه رائحة أزهار مسك الروم: رائحة غنية ثابتة وقوية. إنها الرائحة التي كانت ستناسب تماماً أزهار الكاميليا رغم أنها لم تكن كذلك. دفنت جاكلين أنفها الصغير وشفتيها الزهريتين في باقة الأزهار الدافئة ذات الرائحة العذبة، فمنذ أسبوعين كانت قد بدأت تضع أحمر شفاه زهري بدلاً من الأحمر.

– أهذه لي؟ سألت، تماماً كما تسأل جميع النسوة المعتادات على تلقي الهدايا.

ومن ثمّ شكرت «او» وسألتها إن كان رينيه سوف يأتي لرؤيتها. أجل، إنه آت، قالت «او». إنه آتٍ، أعادت ذلك بينها وبين نفسها، ومن أجله فقط سترفع جاكلين عينيها الباردتين، العينتين اللتين لم تنظرا

Twitter: @ketab_n

سابقاً إلى أي شخص بشكلٍ مباشر، إذ كانت تقف هناك بثبات وصمت مزيَفَين. لم تكن بحاجة لأن يعلّمها أحدٌ أي شيء: لم تكن بحاجة لأن يعلّمها أحدٌ كيف تبقى صامتة، أو كيف تُبقي راحتيها مبسوطتين حين تمد ذارعيها على جانبي جسدها، أو كيف تميل رأسها إلى الخلف بعض الشيء. كانت «او» تتحرق شوقاً لتمسك بشعرها الأشقر المتناثر حول رقبتها، وتجعل رأسها يميل إلى الخلف لتداعب حاجبيها بأصابعها، لكن لا بد من أن رينيه يرغب بالقيام بذلك أيضاً. لا بدّ أن ذلك هو السبب الذي حول «او» التي كانت امرأةً مبادرةً وشجاعة إلى أخرى خجولة، لا بدّ أن ذلك هو السبب الذي جعلها تقاوم رغبتها في الحصول على جاكلين لأكثر من شهرين، ولا بدّ أن ذلك ما دفعها لأن تحاول ألا تكشف عن تلك الرغبة بأي إشارة أو كلمة، متذرعة بأعذارٍ غير معقولة. ليس صحيحاً أن جاكلين كانت تبدو بعيدة المنال. لم يكن العائق جاكلين نفسها، بل كان ذلك العائق حاضراً داخل نفس «او» ضارباً جذوره في عمق أعماقها. إن ما منعها من الحراك هو أن رينيه قد أعطاها حريتها، تلك الحرية التي تكرهها، تلك الحرية التي كانت تجد احتمالها أصعب من احتمال أي قيود، فهي تفرّق بينها وبين رينيه. كان يمكن لـ «او» أن تمسك بجاكلين وتدفعها إلى الحائط مراتٍ عدة، كان يمكن لها أن تثبّتها على الحائط بكلتا يديها دون أن تلفظ كلمةً واحدة، وعلى الأرجح لم تكن جاكلين لتفعل أي شيءٍ سوى أن تبتسم. لكن «او» كانت أشبه بتلك الحيوانات المفترسة التي تم احتجازها في قفص، والتي إما أن يستخدمها صاحبها كطعم، أو أن تنطلق مطاردةً الفريسة حين يأذن لها صيّادها بذلك. كانت هيَ من يتكئ أحياناً على الحائط، شاحبةً مرتجفة، معذّبةً بما تعانيه من صمتٍ عنيد، ملتزمةً بصمتها ذلك، سعيدةً لبقائها صامتة. لم تكن تنتظر إذناً فقط، فقد كانت قد حصلت

Twitter: @ketab_n

على ذلك سابقاً. بل كانت تنتظر الأوامر، وكان لها ذلك، لكن هذه الأوامر لم تصدر عن رينيه، بل عن السيد ستيفن.

وبعد مرور عدة شهورٍ من قيام رينيه بتسليم «او» إلى السيد ستيفن، بدأت تشعر بالذعر مما تلحظه من تزايد أهمية السيد ستيفن لدى عشيقها، ولكنها أدركت سريعاً أنها ربما كانت مخطئةً، إذ ربما كان يخيّل إليها أن محبة عشيقها للسيد ستيفن تتزايد، في حين أن حقيقة الأمر تكمن في أنه بات يعترف بما يكنه من مشاعرٍ واحترام على نحوٍ أكثر وضوحاً مما مضى. أياً كان الحال، لحظت «او» أن رينيه يفضّل أن يقضي معها الليالي التالية لتلك التي كانت تقضيها مع السيد ستيفن (لم تكن تقضي الليل كاملاً بجوار السيد ستيفن إلا حين يغادر رينيه باريس). كما أنها لاحظت أيضاً أن رينيه لم يكن ليلمسها أبداً في الليالي التي يقضيها في منزل السيد ستيفن، إلا إذا وجد أنها تقاوم السيد، وذلك ليساعده على الوصول إليها بشكلٍ أكثر سهولة. وكان نادراً ما يبقى في منزل السيد ستيفن، إلا إذا طالبه هو بذلك، وحين كان يفعل، لم يكن يخلع أياً من ملابسه، بل يجلس هادئاً كما فعل في المرة الأولى. كل ما كان يفعله هو أن يشعل سيجارةً تلو الأخرى، يضع النار في الموقد، يقدّم المشروب للسيد ستيفن، بينما لم يكن يشرب شيئاً البتة. كانت «او» تشعر كأنّ رينيه يراقبها كمدربٍ يراقب أسده، ليتأكّد أنه مطيعٌ كما يريده أن يكون،

بل كانت تشعر أنه أشبه بحارس الملك أو قاطع الطريق، الذي يراقب العاهرة التي أحضرها لسيده من الشارع. ما كان يؤكّد أن رينيه كان يمتثل لدور الخادم أو المساعد من الرتبة الثانية، أنه كان يراقب ملامح السيد ستيفن أكثر ما كان يراقب ملامح وجهها. كانت تشعر أن نظرته

Twitter: @ketab_n

تلك تجرّد ملامحها بما تمتاز به من شهوانية: ولأنه كان يحصل على تلك المتعة الحسيّة، كان رينيه يقدّم إجلاله للسيد ستيفن، ويعبّر عن احترامه بل وامتنانه له، وكان يشعر بسعادةٍ كبيرة لأن السيد ستيفن يجد متعة في أمرٍ قد قدّمه هو له.

لو كان السيد ستيفن يجد متعةً في الرجال والنساء على حدٍ سواء، لكان الأمر أبسط، إذ أنّ «او» كانت تثق أن رينيه، ورغم أنه لا يمتلك ميلاً مشابهاً، سيبذل قصارى جهده ليلبي أبسط طلبات السيد ستيفن وأكثرها صعوبةً، ولكن السيد ستيفن لم يكن يجد متعةً سوى في النساء.

لم تلبث «او» أن أدركت بأنها قد منحتهما من خلال جسدها الذي يتشاركانه، شيئاً أكثر غموضاً وربما أكثر قوةً من أي علاقةٍ عاطفية، علاقة لا تستطيع أن تنكر مدى قوتها رغم أنه يصعب عليها فهمها. ومع ذلك كان السؤال لا يبرح يخطر في بالها، لم كان هذا الاقتسام مجرداً؟ في «رواسي»، كانت «او» تنتمي لرينيه ولسواه من الرجال في الوقت والمكان ذاته، لماذا كان رينيه إذن لا يحاول أن يتكلّم إلى «او»، أو يعطيها أية أوامر في حضرة السيد ستيفن؟ (كل ما كان يفعله هو أن ينقل إليها أوامر السيد). سألته ذات مرة، وسمعت الجواب التي كانت تتوقعه.

– احتراماً له، أجاب رينيه.

– ولكني ملكك أنت، قالت «او».

– أنتِ ملك السيد ستيفن في المقام الأول.

Twitter: @ketab_n

كان ذلك صحيحاً، فعندما سلمها رينيه لصديقه، سلَمها تسليماً مطلقاً، أي أن رينيه كان يعتبر حتى أبسط رغبات السيد ستيفن أهمّ من قراراته فيما يتعلق بأمر «او»، بل وأهم من قراراتها أيضاً، فإن قرر رينيه أن يصطحبها ليتناولا الغداء سوياً ويذهبا إلى المسرح بعد ذلك، وحدث أن خابره السيد ستيفن قبل أن ينطلق ليحضر «او» بساعة مثلاً، كان رينيه يصل على الاستديو في الموعد المتفق عليه، ولكن ليقلّها إلى منزل السيد ستيفن. ولمرةٍ واحدة فقط، طلبت «او» من رينيه أن يقنع السيد ستيفن بتأجيل اللقاء إلى يوم آخر، ذلك لأنها كانت ترغب أن ترافق رينيه إلى تلك الحفلة التي دُعيًا إليها سوياً، ولكن رينيه رفض ذلك.

– يا ملاكي الجميل، قال رينيه، يبدو أنك لم تفهمي حتى الآن بأنك لم تعودي ملكاً لي، وأني لم أعد السيد المسؤول عنك، أليس كذلك؟

و لم يكتفِ برفض طلبها فقط، بل أبلغ السيد ستيفن بما حدث، وطالبه على مسمع منها أن يقوم بمعاقبتها بشدة، لكي لا تتجرأ ثانيةً على مجرد التفكير في التهرب من واجباتها.

– بكل تأكيد، أجاب السيد ستيفن.

حدث ذلك في غرفة بيضوية الشكل، ذات أرضية مرصعة بالزخارف، لم تكن تحتوي سوى طاولة مغطاة بعدة قطع من اللؤلؤ، تلك الغرفة المجاورة لغرفة الجلوس ذات اللون الأصفر والرمادي. ما إن سمع رينيه جواب السيد ستيفن حتى غادر المكان، بعد أن صافح السيد وابتسم محيياً «او». من خلال النافذة، رأته يعبر الفناء. لم يستدر أبداً، سمعت صوت باب السيارة يُغلق، وصوت المحرّك، ثم لمحت وجهها في مرآةٍ صغيرة مخيفةٍ في الحائط: بدت شاحبةً نتيجة ما اعتراها

Twitter: @ketab_n

من خوفٍ ويأس، وبشكلٍ تلقائي نظرت إلى وجه السيد ستيفن حين مشت نحوه، بعد أن قام بفتح باب غرفة الجلوس، ووقف جانباً داعياً إياها إلى الدخول. راحت تتذكر أيامها السابقة بجواره. كانت تثق بأنه يحبّها، ولكن تلك الثقة كانت ثقةً متأرجحةً لا تلبث أن تشرق حتى تغيب. لم تكن تصدّق ذلك، بل كانت توبّخ نفسها على كل ما خطر في بالها، إلا أن هذا قد منحها شعوراً بالراحة، لذا خلعت ملابسها بخضوع، ما إن أمرها بذلك. للمرة الأولى، منذ بدأ يجبرها على القدوم إليه مرتين أو ثلاثة في الأسبوع، منذ أن بدأ يستخدمها على مهلٍ، فيتركها تنتظر عاريةً دون أن يلمسها، يستمع إلى توسلاتها دون أن ينبس ببنت شفة، إذ كانت تتوسل إليه في بعض المرات، يُلزمها بفعل الواجبات ذاتها في كل مرة، في اللحظات ذاتها، كان الأمر أشبه بطقس، لذا كانت تعرف تماماً متى يتوجب عليها أن تداعبه بشفتيها، ومتى يتوجب عليها أن تقدّم له مؤخرتها، التي بات في إمكانه الوصول إليها دون أن يؤذيها، وذلك بعد أن تدفن رأسها في الكنبة وهي جالسة على ركبتيها، للمرة الأولى ورغم ما اعتراها من خوف – أو ربما بسبب ذلك الخوف – سلَمت نفسها له، وذلك رغم ما اعتراها من حزنٍ بعد أن خانها رينيه، أو ربما بسبب ذلك الحزن. للمرة الأولى، بدت عيناها المستسلمتان اللتان ثبتتهما على نظرات السيد ستيفن الحارقة الشاحبة، غايةً في اللطف، لذا خاطبها فجأةً مستخدماً الطريقة الفرنسية غير الرسمية:

– سأضع كعاماً في فمك يا «او»، ذلك لأني أرغب أن أجلدك بقوة حتى أراكِ تنزفين، هل تسمحين لي بذلك؟

– أنا رهن إشارتك، أجابت «او».

Twitter: @ketab_n

كانت تقف في منتصف غرفة الرسم، بذراعين مرفوعين ومعلقين بسواري «رواسي»، اللذين كانا بدورهما معَلَقين بالسلسلة الملتصقة في الحلقة المثبتة في السقف، التي كانت تتدلى منها ثريا فيما مضى، ودفعت بثدييها نحو الأمام. قام السيد ستيفن بمداعبتهما ثم قبّلها، طبع قبلةً على فهما، بل عشرات القبل. (لم يحدث أن قبّلها سابقاً). وضع الكعام الذي ملأ فهمها بطعم الخيش المبتل، ودفعت بلسانها إلى أعلى حلقها. كان الكعام مصمماً على تلك الشاكلة لمنعها من إطباق أسنانها عليه، وأمسكها من شعرها، ثم تعثّر بالسلسة فداس على قدمها العارية.

– عذراً، يا «او» (لم يكن قد اعتذر منها سابقاً أبداً)، ثم جلدها.

وحين عاد رينيه إلى منزل «او» بعد منتصف الليل، ذلك بعد انتهاء الحفلة التي كان يُفترض أن يذهبا إليها، وجدها مستلقيةً في السرير وهي ترتجف، مرتديةً عباءة النوم البيضاء الطويلة المصنوعة من النايلون. كان السيد ستفين قد أقلّها إلى المنزل، ورافقها إلى سريرها ثم قبّلها ثانيةً. أخبرت «او» رينيه بكل تلك الأمور، وأخبرته أيضاً أنها لم تعد راغبةً في معاندة أوامر السيد ستيفن، مدركة تماماً أن رينيه سيستنتج من قولها هذا، أنها تعتبر تعرّضها للضرب أمراً أساسياً، لا بل أمراً ممتعاً أيضاً (وقد كان ذلك صحيحاً، ولكنه لم يكن السبب الوحيد الذي دفعها لقول ذلك). كانت واثقة تماماً أن رينيه يهمه أن تُجلد، لكنه لم يكن يجرؤ على القيام بذلك بنفسه، رغم أنه كان يحبّ ويستمتع برؤيتها تتعذب وتصرخ. ذات مرة قام السيد ستفين بجلدها بالسوط في حضرة رينيه، الذي دفعها إلى الطاولة وقام بتثبيتها هناك، وحين لاحظ أن تنورتها قد انزلقت رفعها. ربّما كان رينيه بحاجة لأن يتأكّد بأن «او» تصرخ وتتألم حين يغيب عنها لأمر العمل أو التنزه، كان بحاجةٍ لأن يكون على

Twitter: @ketab_n

ثقةٍ بأنها تتألم، تنتحب وتصرخ تحت ضربات السوط، وتتوسل دون جدوى للحصول على عطف وشفقة ذلك العشيق، وأن يجعلها تدرك أن ذلك الحبيب الذي تعشق هو من ألحق بها الذل والألم تلبيةً لرغباته. في راوسي، كان يطلب من الخدم جلدها، لكنه وجد في السيد ستيفن السيد القوي الذي لم يكن قادراً على أن يكونه، وهو أكثر شخصٍ يحب في هذا العالم، وقد أُعجب بـ «او»، وأخذ على عاتقه مهمة ترويضها، زادت من محبة ذلك الشخص في قلب رينيه. كان هذا الأمر جلياً وواضحاً بالنسبة إلى «او» وتلك الأفواه التي داعبت فمها، وتلك الأيادي التي داعبت نهديها وبطنها، وأولئك الذين أولجوا أعضاءهم داخلها، كل ذلك كان دليلاً واضحاً أن «او» حُولت إلى عاهرة، وأنها تستحق أن تكون كذلك، وذلك، إن صحّ القول، قد طهّرها من ذنوبها. لكن بالنسبة لرينيه، لم يكن ذلك يساوي شيئاً مقارنة مع ما يقدّمه السيد ستيفن من أدلة، ففي كل مرةٍ كانت «او» تعود إلى رينيه بعد قضائها ليلةً مع السيد ستيفن، كان يبحث في أنحاء جسدها عن بعض الإشارات الدالة على ما تعرّضت له من ذلٍ وضربٍ وهوان. كانت «او» تعلم بأن رينيه قد يشكوها للسيد ستيفن قبل بعض ساعات من وصولها، ليحثه إلى ترك علاماتٍ أكبر وأكثر قسوةٍ على جسدها، وكانت تعلم كذلك أن السيد ستيفن لن يتواني عن ضربها حتى وإن زال السبب الذي من الممكن أن يدفعه لضربها. (لكنها في خلدها كانت تفكر بطريقة معاكسة تماماً). حدّق رينيه مذهولاً وسعيداً لوقت طويل في جسدها النحيل، الذي كان يحمل آثار كدماتٍ عريضة أرجوانية اللون، كدمات أشبه بالحبال الملتفة حول الكتفين، والظهر، والمؤخرة، والبطن، والصدر، كدمات تتقاطع أحياناً. وفي أماكن متفرقة توجد بعض قطرات الدم التي لم تتخثر بعد.

Twitter: @ketab_n

- أحبك كثيراً، قال هامساً.

وبيدين مرتجفتين خلع ملابسه، أطفأ الضوء، واستلقى على السرير إلى جانب «او». بدأت تئن في الظلام، كلما حاول أن يحتضنها.

استغرقت مدة اختفاء علامات السوط عن جسد «او» مدة شهر من الزمن. وظهرت في الأماكن التي تمزّقت فيها بشرتها، بعض الخطوط البيضاء التي تشبه آثار الجروح القديمة. إن حدث ونسيت «او» أسباب تلك وجود تلك العلامات لذكّرها بذلك موقف رينيه وموقف السيد ستيفن من الأمر.

كان رينيه يمتلك مفتاح شقة «او». لكن لم يعطه للسيد ستيفن، ربما لأن الأخير لم يبد سابقاً رغبةً بزيارة المكان. لكن عندما أخبرته أن السيد ستيفن أقلّها إلى المنزل بنفسه، جال في بال رينيه أنه قد يخطر في بال السيد ستيفن، أن يحتفظ عن قصد بمفتاح ذلك الباب، الذي لا يمكن لسواه هو و«او» فتحه، وهذا مايضع عائقاً أو حاجزاً أمام السيد، فما فائدة أن يعطيه «او»، إن لم يمنحه في الوقت ذاته الحرية ليذهب إلى منزلها حينما يشاء، لذا ما كان منه إلا أن حصل على نسخة من المفتاح، وقدمه للسيد ستيفن، و لم يخبر «او» بما فعل، إلا بعد أن قبل السيد ستيفن أن يأخذ المفتاح. بالطبع لم تكن «او» تملك حق الاعتراض، لكنها لاحظت أنها تشعر بسلام لا يمكن تفسيره وهي تنتظر ظهور السيد ستيفن. وقد انتظرت لوقتٍ طويل، وهي تفكر إن كان السيد ستيفن سيأتي فجأة ذات مرة في منتصف الليل، وإن كان سيأتي وحده، إن كان سيأتي على الإطلاق، وإن كان سيستغل ذات مرة فرصة غياب رينيه، لكنها لم تكن تجرؤ أن تخبر رينيه عما يجول في بالها من خواطر.

Twitter: @ketab_n

ذات صباح، عندما لم تأتِ عاملة التنظيف، وكانت «او» قد استيقظت في وقتٍ مبكر جداً، وما إن دقت الساعة العاشرة، حتى كانت قد ارتدت ملابسها وغدت مستعدة لمغادرة المنزل، سمعت صرير مفتاحٍ في قفل الباب، فهرعت مسرعة وصرخت رينيه (إذ كثيراً ما كان رينيهٌ يحضر إلى المنزل بتلك الطريقة وفي تلك الساعة، و لم يخطر ببالها أن يكون أي شخص سواه). ولكن ذلك لم يكن سوى السيد ستيفن الذي ابتسم وقال:

– حسناً، لَمَ لا نتصل برينيه.

لكن رينيه، كان في مكتبه مشغولاً بمسألةٍ مهمة، لذا، لن يعود إلى المنزل قبل ساعة.

كان قلبها يخفق بسرعة (وما برحت تسأل عن السبب)، وهي تراقب السيد ستيفن وهو يغلق السماعة. أجلسها على السرير، وأمسك برأسها بكلتا يديه، وأجبرها على أن تفتح فمها بعض الشيء كي يقبّلها، ولكنها لم تكن تقوى على التنفس، وكان يمكن أن تتعثر وتقع لولا أنه أمسك بها وساعدها على أن تستقيم.

لم تستطع أن تعرف لم كانت تشعر بكل ذلك الألم والتوتر، خاصة وأنها قد باتت تعرف كل تصرفات السيد ستفين التي قد تثير في داخلها الذعر.

طلب منها أن تخلع ملابسها، وأخذ يراقبها دون أن يتفوه بكلمة. ألم يكن صمته ذاك قد بات أمراً معتاداً بالنسبة لها، ألم تعتد بعد أن تنتظره ليقرر ما يرغب القيام به؟ كان عليها أن تعترف بأنها تحاول أن

Twitter: @ketab_n

تخدع نفسها، كان عليها أن تعترف أن ما كان يسبب لها الإزعاج، لم يكن الزمان والمكان، خاصةً أنها لم تخلع ملابسها في هذه الغرفة ليراها عاريةً أي شخص آخر سوى رينيه، كان عليها أن تعترف أن ما يسبب لها ذلك لم يكنً سوى إدراكها الذاتي. هذا الإدراك الذي بات أكثر وضوحاً، لأن الأمر لم يكن يحدث في مكانٍ غريب يتطلب منها بعض التحضيرات للذهاب إليه، كما أنه لم يكن يحدث في الليل، حيث يمكن لها أن تتصور أنّ الأمر برمته مجرد امتداد لحلم أو لعالم سري،عالم ليس أكثر من امتداد لضوء النهار، تماماً كما كان رواسي امتداداً لحياتها مع رينيه. حوّل ضوء شهر أيّار المشع ما كان خفياً إلى أمر عام: وجعل من الليل والنهار حقيقةً متشابهة على حدا سواء. ما كان يجول في بال «او» حينها، أنه لا بدّ أن هذا منبع ما كان تشعر به من أمانٍ ممزوج بالذعر، ذلك الشعور الذي كانت تسلّم نفسها له، والذي، دون أنً تفهم السبب، كانت تستشعر قدومه. إذن، لم يعد هناك فجوات، وقتٌ ميتٌ لا يمر، أو غفران. ذلك الذي كانت تنتظره قد حضر، ها هو الآن هنا، ها هو السيد هنا. صحيحٌ أن السيد ستيفن كان متطلباً أكثر من رينيه بكثير، لكنه كان أقوى سلطةً. قد أحبّت «او» رينيه بشغف، وأحبها هو أيضاً، لكنهما كانا متساويين (في العمر على الأقل)، وذلك ما كان يزيل شعورها بالخضوع، وإدراكها للذل الذي تختبره. كانت ترغب في القيام بكل ما يطلب منها، ذلك لأن تحقيق رغباته كان يسعدها، لكن يبدو أنه زرع في داخلها ما يشعر به هو من احترام وتقدير تجاه السيد ستيفن. كانت تطيع طلبات السيد ستيفن كأنها أوامر لا مجال للنقاش فيها، بل حتى أنها كانت تشعر بالامتنان لأنه يعطيها تلك الأوامر، وسواء خاطبها باللغة الفرنسية أو الانجليزية، أو خاطبها بطريقة رسمية، أو استخدم تلك الطريقة التي يخاطب بها المقربين، لم تكن «او» تناديه

Twitter: @ketab_n

سوى السيد ستيفن، كما يخاطبه الغرباء أو الخدم. كانت تحدّث نفسها قائلةً بأن كلمة «السيد الأعلى» هي الأنسب، خاصةً أنه في تلك الحال سيكون من الأفضل له أن يخاطبها مستخدماً كلمة «أَمَة»، لكنها لم تكن تجرؤ على استخدامها. وقد حدّثت نفسها كذلك بأن كل شيءٍ سيكون على ما يرام، ذلك لأن رينيه قد بدأ يحب فيها أَمَة السيد ستيفن.

وهكذا، رتّبت ملابسها ووضعتها عند قدم السرير، وانتعلت ثانيةً القبقاب ذا الكعب العالي، وانتظرت مطرقة الرأس، وجلست قبالة السيد ستيفن الذي كان مستنداً على النافذة. كانت أشعة الشمس تتسلل من خلال الستائر الرقيقة المنقطّة، لتلامس وركيها وفخذيها. لم تكن تحاول أن تجعل تأثيرها مميزاً، لكنها أدركت حالاً أنه كان يتوجب عليها أن تضع كميةً أكبر من العطر، ولاحظت أيضاً أنها لم تحدّد قمتي نهديها، وشعرت بالراحة لأنها كانت لا تزال تنتعل قبقابها المزود بكعب عال، ذلك لأنَ طلاء الأظافر على أصابع قدميها قد بدأ بالزوال. وفي تلك اللحظة أدركت أنها كانت تنتظر هذا الصمت، وهذا الضوء، ليقوم السيد ستيفن بمبادرة ما، كأن يأمرها أن تركع أمامه وتخلع عنه ملابسه وتداعبه. لكن لا. لم تكن تلك الفكرة تجول في بال أي شخص آخر سواها، ولذا اعتلت وجهها حمرة شديدة، وحينها بدأت تفكر كم هو من الحماقة أن يعتريها الخجل: تواضعٌ وخجل عند عاهرة!

وحينها طلب منها السيد ستيفن أن تجلس أمام منضدة الزينة وتستمع إليه. لم تكن منضدة زينة بحق بل مجرد رف ملتصق بالحائط، وفوقه بعض الزجاجات والأمشاط، ومرآةٌ كبيرةٌ متحركة. هناك جلست «او» على كرسيها المنخفض، وكان في مقدورها أن تشاهد انعكاس كامل جسدها ووجهها في المرآة. كان السيد ستيفن ينتقل جيئةً وذهاباً أثناء حديثه مع

Twitter: @ketab_n

«او»، وكلما اقترب منها ظهر انعكاسه في المرآة خلف انعكاسها، إلا أن صورته كانت تبدو بعيدةً، فزجاج المرآة كان مشوهاً ومعتماً بعض الشيء. شعرت «او» التي كانت قد أرخت يديها، وباعدت بين ركبتيها، بأنها ترغب بأن تمسك بانعكاس السيد ستيفن وتثّبته في مكانه، ليسهل عليها الإجابة على أسئلته المتوالية التي كان يطرحها، مستخدماً لغته الانجليزية غير المتقنة، و لم يكن يخيّل إليها بأنه سيطرح تلك الأسئلة الأخيرة، بل لم تكن تتصور أنه سيطرح عليها أي سؤالٍ كان. ما إن بدأ يطرح الأسئلة حتى انطلق صوبها، محاولاً أن يجعلها تستقر وتسترخي على كرسيها، ووضع ساقها اليسرى فوق ذراع الكرسي، أما ساقها الآخر فقد جعلها ترفعها إلى الأعلى بعض الشيء، فبدا الوصول إليها سهلاً، وكأن حبيباً غير مرئي قد غادرها لتوها وتركها على حالها تلك.

تابع السيد ستيفن طرح أسئلته مبدياً تصميم قاضٍ ومهارة قس يستمع لاعترافات مذنب. لم تكن «او» تراه وهو يطرح الأسئلة، لكنها كانت تشاهد انعكاس نفسها في المرأة وهي تعطيه جواباً لكل سؤال. سألها إن كانت قد ملكها سابقاً منذ أن وصلت إلى رواسي أي رجالٍ آخرين سواه هو ورينيه؟ لا. وإن كانت قد شعرت أنها ترغب أن يمتلكها أي رجلٍ من أولئك الذين قابلتهم لاحقاً؟ لا. وفيما إذا كانت تداعب نفسها حين تجلس وحيدةً في المنزل ليلاً؟ لا. وإذا كان لديها صديقاتٌ يداعبنها أو تسمح لهن بمداعبتها؟ لا (ولكنها هذه المرة ترددت في الإجابة). إن كانت تشعر برغبة تجاه صديقة ما؟ حسناً، هناك جاكلين، لكن كلمة صديقة تعطي أبعاداً للمصطلح، ومن الأفضل أن تشير إليها مستخدمةً كلمة زميلة، تلك الكلمة التي تستخدمها الفتيات في المدارس الداخلية للإشارة إلى رفيقاتهن.

Twitter: @ketab_n

عندئذٍ سألها السيد ستيفن إن كان بحوزتها أي صور لجاكلين، ثم ساعدها في الوقوف على قدميها كي تذهب وتحضرها. في غرفة الجلوس رآهما رينيه، حين دخل وهو يلهث جرّاء نزوله أربع طبقات من السلالم بسرعة جنونية: تسمرت «او» أمام الطاولة الكبيرة التي لمعت عليها صور جاكلين بالأبيض والأسود، كما تلمع برك الماء في الليل. أخذ السيد ستيفن يتصفحها واحدة تلو أخرى؛ فيأخذ الصورة من يد «او» وينظر إليها ثم يلقيها على الطاولة، كان يفعل ذلك ويده الأخرى ممسكة برحمها. لم يفلتها عندما سلَّم على رينيه، بل شعرت بيده تتوغل أكثر فيها، لكنه ومنذ تلك اللحظة، امتنع عن مخاطبتها، وأخذ يوجه حديثه إلى رينيه. كان السبب جلياً بالنسبة لها: فبوجود رينيه، أي أمرٍ يتعلق بها هو أمرٌ يخصُّ السيدين ولا قرار لها فيه؛ ستكونُ هي موضوعَ اتفاقهما دون الحاجة إلى سؤالها أو العودة إليها؛ ستفعل وستكون ما يقرران لها أن تفعل وتكون. كان ذلك في منتصف النهار تقريباً، وأدت حرارة الشمس التي سطعت مباشرة على الطاولة إلى ثني أطراف الصور. أرادت «او» أن تبعد الصور قليلاً وتبسط أطرافها كي تحميها من التلف، إلا أن أصابعها خذلتها، كانت على وشك الاستسلام التام لتأثير يد السيد ستيفن داخلها؛ وأطلقت أنيناً مكبوتاً في صدرها باتجاه شفتيها. لم تفلح في إخفاء الأمر، وما إن تأوهت حتى وجدت نفسها مستلقيةً على ظهرها بين الصور، هناك رماها السيد ستيفن بخشونة بعد أن رفعها تاركاً ساقيها المتباعدتَين متدليتَين في الهواء. لم تكنْ قدماها تلمسان الأرض؛ وانزلق أحد خفيها على السلم الأبيض دون أن يصدر صوتاً. غطَّت الشمس وجهها: فأغلقت عينيها.

لا بدَّ أنها ستذكر سماع الحديث الذي دار بين رينيه والسيد ستيفن،

Twitter: @ketab_n

ولكن ليس قبل وقت طويل، ففي تلك اللحظة لم يكن يعنيها ذلك، وكأنه لا يحمل لها أي جديد. وقد حدث فعلاً أن مرّت بتجربة مماثلة من قبل، فمنذ أن أخذها رينيه إلى السيد ستيفن للمرة الأولى، وهما يتحدثان عنها بنفس الطريقة. إلا أنها كانت في البداية غريبة بالنسبة للسيد ستيفن، وكان رينيه يقوم بالجزء الأكبر من الكلام. ومنذ ذلك الحين، والسيد ستيفن يخضعها لكل تخيلاته، يشكلها بالطريقة التي تناسب ذوقه. لقد جعلها تفعل أكثر الأفعال بذاءة وفظاعة كما لو أنها روتين عادي. لم يكن لديها ما تعطيه إياه أكثر مما قد أخذه منها بنفسه. أو على الأقل هذا ما اعتقدته.

كان يتكلم، وهو الذي يظل صامتاً طوال الوقت في حضرتها، حيث كشفت ملاحظاته، كما ملاحظات رينيه، عن أنهما يعيدان الأحاديث التي خاضا فيها معظم الوقت، والتي شكلت فيها «او» المحور العام. كان النقاش عن كيفية استخدامها بالطريقة المثلى، وعن مشاركة ما تعلماه من استخدام كل منهما لها. صرّح السيد ستيفن بحماس عن إعجابه بجسدها حين يمتلىء بالعلامات من أي نوع كانت، المهم أن تلك العلامات تجعل من محاولتها الخداع أمراً مستحيلاً، وتدل في اللحظة التي تُرى فيها على جسدها، بأن أي شيء جائز في حالتها. فأن تعرف وأن ترى الدليل على ما حدث لهو أمر، وأن يتجدد الدليل مراراً، لهو أمر آخر. لقد أعرب السيد ستيفن أن رينيه كان محقاً في رغبته أن تُجلد «او». فإلى جانب المتعة التي يجدانها في سماع صراخها ورؤية دموعها، كان قرارهما أن يتم جَلدُها مراراً لتبقى آثار التعذيب ظاهرة عليها دوماً.

أنصتت «او» وهي مستلقية بجوف ملتهب دون الإتيان بأيّة حركة. تملكها شعورٌ غريبٌ أن السيد ستيفن كان يتحدث بلسانها، كأنه في

Twitter: @ketab_n

مكانها؛ بل كأنه في جسدها ويشعر بما يجتاحها من خوف وقلق ومهانة؛ ويشعر بنفس الوقت، بما تُحس به من كبرياء خفي ومتعة عارمة، خصوصاً، عندما تكون وحيدة بين حشد من الغرباء أو المَارة في الشارع، أو عندما تكون في حافلة مزدحمة بالركاب، أو عندما تكون في الاستديو بين العارضات والتقنيين، وحينها تقول في سرها أن أياً من هؤلاء أو حتى جميعهم، باستطاعتهم كتم أسرارهم، في حال تعرضوا لحادثة ألقتهم أرضاً أو تمددوا أمام طبيبهم، حتى وإن كانوا دون ملابس غائبين تماماً عن الوعي؛ أما هي فلا تستطيع ذلك: لأن سرها لا يتعلق بقدرتها على الصمت وحسب، لا يتعلق بها وحدها. بل إنها عاجزة تماماً حتى عن الرغبة في إخفاء سرها. لم يكن بإمكانها القيام بأبسط الهوايات كلعب التنس أو السباحة. كانت تلك الممنوعات عزاء ملموساً بالنسبة لها، تماماً كما تشكل جدران الدير عزاء ملموساً لمنع الراهبات من التمتع ببعضهن أو الرغبة في الهرب. فلهذا السبب أيضاً، لم تكن قادرةً على المخاطرة بتلقي الرفض من قبل جاكلين، دون أن تخاطر باحتمالية اضطرارها إلى إخبارها بالحقيقة، أو على الأقل بجزءٍ من تلك الحقيقة.

غادرت الشمس وجهها. والتصق كتفاها بالسطح اللماع للصور التي كانت مستلقيةً عليها، شعرت بطرف معطف السيد ستيفن يلامس ركبتها وهو يقف بجانبها. أمسك كلٌ من السيد ستيفن ورينيه بيد من يديها وساعداها على النهوض. كان رينيه ممسكاً بأحد خفيها. حان الوقت لترتدي ملابسها.

خلال تناول طعام الغداء في سان كلود على ضفاف نهر السين، استأنف السيد ستيفن طرح الأسئلة على «او». كانا وحدهما، وكانت طاولات المطعم المغطاة بشراشف بيضاء، مرتبة فوق مصطبةٍ مسيجةٍ

Twitter: @ketab_n

بشجيرات صغيرة، في أسفل كلٍ منها سرير من الورود ذات اللون الأحمر القاتم والبتلات نصف المغلقة.

وقبل أن يومئ إليها السيد ستيفن، أطاعت «او» برفع تنورتها وهي تجلس على الكرسي الحديدي، تَطلَّبَ الأمرُ وقتاً قبل أن يتمكن فخذاها العاريَين من تدفئة الحديد البارد تحتها. سمعا صوت الماء وهو يصفع القوارب المربوطة إلى الحواجز الخشبية في نهاية المصطبة. جلس السيد ستيفن قبالتها، وشرعت «او» بالتكلم ببطء آخذة العهد على نفسها بألا تقول إلا الحقيقة. أراد السيد ستيفن أن يعرف سبب تعلقها بجاكلين. وكان ذلك جلياً: فجاكلين بالنسبة لـ «او» أكثر جمالاً من أن تحصل عليها، تماماً كما هي الألعاب الجديدة التي تعطى للأولاد الفقراء في عيد الميلاد ويتهيبون مسّها. ومع ذلك، فقد كانت تعي أنها لم تتحدث إليها، و لم تبادرها الكلام فلأنها لا تريد ذلك. قالت هذا ورفعت عينيها اللتين كانتا مثبتتين على سرير الورد في الأسفل، لترى السيد ستيفن وهو يحدق بشفتيها. هل كان يستمع ما كانت تقول، أم أنه اكتفى بالإصغاء إلى صوتها ومراقبة حركة شفتيها؟ توقفت فجأة عن الكلام، وارتفعت نظرة السيد ستيفن لتلاقي نظراتها. لقد قرأت في عينيه ما كان واضحاً هذه المرة، وأدرك بدوره افتضاح أمره، والآن هو من يجب أن يشحب لون وجهه هذه المرة. ولكن إن كان يحبها فعلاً، فهل سيسامحها يوماً لأنها لاحظت ذلك؟ لم تستطع أن تحجب نظرتها أو ابتسامتها وكلماتها. لو أن حياتها توقفت على هذا، فلن تقدر أن تقوم بأدنى حركة، وستكون عاجزة عن الهرب أيضاً، ولن تقوى ساقاها على حملها. ربما لن يطلب منها أي شيء بالإضافة إلى خضوعها التام لرغباته، ما دامت رغبته فيها مستمرة. لكن هل كان وجود الرغبة كافٍ لتفسير حاجته لها منذ اليوم

Twitter: @ketab_n

الأول لتسليمها إليه من قبل رينيه؟! ولماذا كان يحتفظ برفقتها لوقت طويل، وأحياناً دون أن يطلب منها شيئاً، مكتفياً بوجودها معه؟

جلس هناك قبالتها صامتاً دون حراك. كان هناك بعض رجال الأعمال يتحادثون على طاولة قريبة، ويشربون قهوةً زكية الرائحة قد وصل عبقها إليهما. أشعل أمريكيان يرتديان زياً رسمياً سجارتيهما قبل أن ينهيا طعامهما؛ تحطمت الحجارة تحت أقدام النادل، أتى أحدهم ليملأ كأس السيد ستيفن، التي كانت فارغة حتى ثلاث أرباعها، ولكن ما الفائدة في هدر ذلك النبيذ الفاخر على تمثال يجلس كما لو أنه نائم؟ لم يفكر النادل كثيراً بهذا.

شعرت «او» بالبهجة لأن عينيه الرماديتين لا تتركان عينيها إلا لتسقطا على صدرها أو يديها، ثم تعودان مجدداً إلى عينيها. وأخيراً رأت شبه ابتسامة ترتسم على شفتيه، ابتسامة تستطيع الرد عليها. ولكن عبثاً، لم تكن لتخرج منها كلمة واحدة، لقد كانت بالكاد قادرةً على التنفس.

– «او».. قال السيد ستيفن.

– نعم، قالت «او».

– «او»، سأقول لك الآن شيئاً سبق وناقشته مع رينيه، وقد اتفقنا عليه كلينا. ولكني أيضاً.. توقف فجأة عن الكلام.

لم تدرِ «او» لماذا أغلقت عينيها، أكان ذلك بسبب رعشة مفاجئة أصابتها، أم لأنه هو أيضاً كان عاجزاً عن التنفس بحرية. توقف عن

Twitter: @ketab_n

الحديث، كان النادل يقوم بتغيير الأطباق،ثم ناولها لائحة الطعام لتختار الحلوى. أعطت «او» اللائحة بدورها إلى السيد ستيفن. نفيخة (سوفليه)؟ نعم، نفيخة. سيستغرق الأمر عشرين دقيقة. لا بأس، عشرون دقيقة. غادر النادل.

– أحتاج إلى أكثر من عشرين دقيقة، قال السيد ستيفن.

وتابع بصوت واثق؛ فما قاله على عجالة لـ «او» تركها مع حقيقة واحدة وحيدة: إنه حتى لو كان يحبها فعلاً، فلن يغير ذلك في علاقتهما شيئاً، إلا إذا اعتُبِرَت نبرته الجديدة في آخر جملة قالها تغييراً: سأكون مسروراً إن أنتِ تكرمتِ بـ..... عوضاً عن أن يعطيها أمراً عليها تنفيذه. على كل حال، كان طلبه ما زال أمراً، و لم يكن عليها سوى أن تنفذه. لقد أوضحت ذلك للسيد ستيفن. ولكنه أصرّ على موافقتها قائلاً:

– ومع ذلك أريد منك جواباً.

سأفعل ما تريد لي أن أفعله، أجابت «او»، وتردد صدى جوابها في ذاكرتها: سأفعل ما تريد لي أن أفعله، هذا ما اعتادت أن تقوله لرينيه. وفيما يشبه الهمس قالت: رينيه...

سمعها السيد ستيفن.

– رينيه، يعلم تماماً ما أريده منك. اسمعيني جيداً.

كان يستخدم اللغة الإنكليزية في حديثه، ولكن بصوت منخفض لئلا يسمعه الجالسون على الطاولة المجاورة. كان يلتزم الصمت عندما يقترب خدم المطعم من طاولته ويكمل فور ابتعادهم عنها. جمله بدت

Twitter: @ketab_n

غريبةً وخارجةً عن المألوف بالنسبة لمكان هادئ وعام كالذي يجلسون فيه، والأغرب أنه كان يقولها وكانت «او» تسمعها وكأنْ لا غرابةَ فيها.

بدأ بتذكيرها بأول أمسية له معها حين أتت إلى شقته وأعطاها أمراً رفضت إطاعته، وأشار إلى أنه ربما قد صفعها وقتها، إلا أنه لم يكرر طلبه ذاك منذ تلك الليلة. هل ستمنحه اليوم ما منعته إياه حينها؟ فهمت «او» جيداً بأن مهمتها لا تنحصر في الموافقة غير المشروطة على طلبه، ولكن بتلبية رغبته في سماعها تلفظ تلك الكلمات بنفسها، أن تقول إنها ستداعب نفسها في أي وقت يطلب منها ذلك. قالتها، ومجدداً رأت غرفة الرسم الصفراء والرمادية تلك، رحيل رينيه عنها، إنكاره لها في ليلتها الأولى، النار التي أضاءت ما بين ركبتيها المفتوحتين، عندما كانت مستلقية على السجادة مجردة من الملابس. الليلة، في نفس الغرفة... لا، لم يذكر السيد ستيفن تلك الغرفة بالتحديد، واستمر في حديثه.

ذكر لها أيضاً بأنها لم تُستعبد من قبل رينيه (أو أيٍّ كان) في حضرته، كما كانت تُستعبد أمام رينيه من قبله (وفي رواسي من قبل مجموعة كاملة من الضيوف). ومما قاله، كان عليها أن تستنتج أن رينيه لن يكون الوحيد الذي بإمكانه إهانتها بتسليمها إلى رجل لا يحبها - ولن يكون الوحيد الذي يرى متعةً في تسليمها إلى رجل يحبها. (استمر في حديثه هكذا وبهذه القسوة - ستفتح قريباً فخذيها ومؤخرتها وفمها أيضاً، لأولئك الذين يرونها من أصدقائه ويرغبون بها- بدأت «او» تشك بأن خشونة حديثه تصيبه كما تصيبها، وغاب معظم الحديث عن ذهنها باستثناء الجملة الأخيرة: في حضور رجل يحبها. هل تريد أكثر من هذا الاعتراف الفاضح؟) ماذا أيضاً، سيعيدها إلى رواسي في أحد أيام الصيف. ألم يخطر ببالها كم هي غريبة هذه العزلة التي يخفيانها فيها؟ كانا الرجلين

Twitter: @ketab_n

الوحيدين اللذين يُسمح لها برؤيتهما، إما معاً، أو كلٌ على حدة. عندما كان السيد ستيفن يدعو زواره إلى شقته في روي دي بويتيرز، لم يكن يدعوها. لم تتناول طعام الغداء أو العشاء في منزله يوماً. و لم يعرّفها رينيه أبداً إلى أحد من أصدقائه، باستثناء السيد ستيفن. لقد استمر بإخفائها بكل السبل الممكنة، وكان للسيد ستيفن الحق الحصري في فعل ما يريده معها، ولكن دون أن يُسمح لها بالاعتقاد أن ملكيته له ملكيةٌ قانونية؛ على العكس تماماً. (إلا أن ما آلمها أكثر من أي شيء آخر، هو إدراكها لحقيقة أن السيد ستيفن سيعاملها بنفس الطريقة التي كان رينيه يعاملها بها، وبالأسلوب ذاته.) الخاتم الحديدي المذهب الذي كانت تضعه في إصبع يدها اليسرى – ألم يخطر ببالها أنهم قد اختاروا خاتماً ضيقاً للغاية لدرجة أنهم أقحموه إقحاماً في إصبعها؟ لم تكن تستطيع إخراجه من يدها – كان ذلك الخاتم علامة عبوديتها، ولكن كملكية عامة. كان محض حظ أنها لم تقابل، ومنذ الخريف الماضي، أي عضو من أعضاء رواسي ممن قد يلاحظون خواتمها، أو يظهرون أنهم قد انتبهوا إليها.

كلمة خواتم الحديد، في صيغة الجمع، والتي اعتبرتها «او» مصطلحاً مبهماً، عندما قال لها السيد ستيفن أن الخواتم تليق بها، لم تكن بأي شكل من الأشكال مصطلحاً مبهماً؛ بل كانت كلمة تعارف، كلمة سر. لم يكن السيد ستيفن مضطراً إلى استخدام صيغة أخرى: وتحديداً، لمن الخواتم التي ترتديها؟ ولكن لو طُرح عليها هذا السؤال ثانيةً اليوم، ما الذي سيكون ردها؟ ترددت «او» قبل أن تقول:

– لرينيه ولك،

– لا، نهرها السيد ستيفن: لي، إن رينيه يريد أن تكون طاعتكِ لي هي الأولوية.

Twitter: @ketab_n

كانت «او» تعرف ذلك مسبقاً، فلماذا تصنعت الجهل بالأمر؟ خلال وقت قصير، وقبل عودتها المتوقعة إلى رواسي، عليها أن تتقبل وسمها بعلامة أخيرة؛ لن يعفيها ذلك من التزامها أن تكون ملكية عامة، ولا من التزامها الخاص تجاه السيد ستيفن، ولن تكون تلك العلامة بديلاً عن العلامات التي خلفها السوط في جسدها، ولا من آثار الضرب والتعذيب، بل ربما ستكون أشد قسوة من ذلك كله. (ولكن ما تلك العلامة يا ترى؟ مم تتألف؟ بأي معنى ستكون نهائية؟) برعب ودهشة، ترقبت «او» الجواب على هذه الأسئلة، أرادت أن تعرف الجواب على الفور، إلا أن السيد ستيفن لم يكن جاهزاً بعد لتبيان الأمر لها؛ كما أن العادة تفرض قبولها التام بأي شيء يطبق في حقها وقبل أن يتم تطبيقه، أن ترضى بذلك وبكل ما يحمله الرضى من معنى، وإلا فلن يصيبها شيء؛ بإمكانها أن ترفض، لا يوجد شيء يبقيها في العبودية إلا حبها ورضاها بتلك العبودية. (ما الذي يمنعها من ترك كل شيء؟) على كل حال، قبل أن تُفرَض عليها تلك العلامة، وحتى قبل أن يصبح السيد ستيفن معتاداً على جلدها، كما قرر هو ورينيه أن يجلداها بحيث تظل آثار التعذيب ظاهرة في جسدها، كل هذا سيؤجل لفترة من الزمن – فترة تكفيها لتجعل جاكلين تخضع لها. صعقت «او» لسماع ذلك، رفعت رأسها ونظرت إلى السيد ستيفن. لماذا؟ لماذا جاكلين؟ وإن كان السيد ستيفن مهتماً بجاكلين، فلماذا يربطها بـ «او»؟

– هنالك سببان، قال السيد ستيفن. الأول، والأقل أهمية، هو أني أرغب في رؤيتك تداعبين وتقبلين امرأة.

– ولكن حتى لو وافقت جاكلين على منح نفسها لي، قالت «او»، كيف لي أن أقنعها بأن ترضى بوجودكَ معنا؟

Twitter: @ketab_n

– لا أهتم،قال السيد ستيفن. لو اضطر الأمر، ستلجئين إلى الخيانة، على كل حال، أنا اعتمد عليكِ في القيام بما هو أهم من ذلك، وهو السبب الثاني الذي أريدك أن تغريها من أجله: ستكونين الطعم الذي يخدع جاكلين لتدخل رواسي.

وضعت «او» فنجان القهوة الذي كانت تمسكه بيدها، التي كانت ترتجف بشدة لدرجة أنها سفحت ثفل القهوة والسكر في أسفل الفنجان على الطاولة. وكعرافة رأت في البقعة البنية التي امتدت على شرشف الطاولة صوراً لا تحتمل: عينا جاكلين تواجهان خدم بيير؛ خاصرتاها الذهبيتان كصدرها، والذي لم تره «او» يوماً، مكشوفتان تحت طيات لباسها المخملي الأحمر ذي التنورة القصيرة؛ خداها الناعمان ملطخان بالدموع، وفمها المرسوم مفتوحاً للصراخ، وشعرها الأملس مستو كمرج قد شُذِّبَ حديثاً– لا، هذا مستحيل، إلا جاكلين، إلا هي.

– لا، إن هذا الأمر مرفوض قطعاً، قالت له.

– بالعكس تماماً، رد عليها السيد ستيفن. كيف تجند الفتيات في رواسي برأيك؟ لقد تمّ إدخالك أنت إلى هناك مرةً، لن يكون لكِ رأيٌ في هذا الأمر، على كل حال، يمكنها الرحيل متى أرادت. تعالي معي الآن.

نهض بشكل فجائي بعد أن ترك مالاً كافياً لتسديد الفاتورة على الطاولة. تبعته «او» إلى السيارة، صعدت وجلست في الداخل. ما إن وصلت السيارة إلى مدخل بوي دي بولون حتى انعطف بها إلى طريق فرعي، أوقف السيارة في مسرب ضيق، وأخذها من يدها.

Twitter: @ketab_n

-٣-

آن ماري والخواتم

اعتقدت «او» أن جاكلين ستكون خجولةً جداً، أو ربما أرادت أن تعتقد ذلك لتعطي لنفسها عذراً معقولاً. كانت مدركة لهذا منذ اللحظة التي قررت أن تفتح عينيها فيها.

الاحتشام الذي أظهرته جاكلين وهي تغلق باب غرفة المكياج حيث كانت تخلع وترتدي ملابسها- كان في الحقيقة مقصوداً لإثارة «او»، لزرع الرغبة فيها كي تفتح الباب، الذي لو ترك مفتوحاً على مصراعيه، لما أثار فيها أدنى رغبة في الدخول. أتى قرار «او» أخيراً من قوة خفية لا إرادة لها فيها، وإن لم يكن نتيجةً لتلك الاستراتيجية البدائية، فهو ليس ببعيد عن تخطيط جاكلين. في البداية استمتعت «او» بالأمر. وهي تساعد جاكلين في تصفيف شعرها مثلاً، وذلك بعد أن تخلع ملابسها وتبقى في كنزتها الصوفية ذات القبة العالية وقلادتها الفيروزية كعينيها، كانت «او» تثارُ لفكرة أنها ستُعلِمُ السيد ستيفن في نفس الليلة بكل ما حدث بينها وبين جاكلين -ستخبره إن كانت جاكلين قد سمحت لها بمداعبتها، والوصول إلى نهديها الصغيرين المتباعدين تحت كنزتها الصوفية السوداء، ستخبره إن كانت قد أخفضت جفنيها حتى تَلمس أهدابها، وخديها اللذين كانا أنعم من بشرتها، ستخبره إن هي أنَّت أو

Twitter: @ketab_n

أطلقت تنهيدة مكبوتة.. عندما عانقتها «او»، أحست بثقل جسدها، بتيبسها، بترقبها بين يديها، بشفتيها تتباعدان قليلاً وشعرها ينفضُّ إلى الوراء. كانت حريصة على إمساكها من كتفيها وإسنادها إلى حافة بابٍ أو إلى طاولة؛ وإلا، فإنها ستنزلق لتقع على الأرض بعينين مغمضتين ودون أي صوت. ولكن، ما إن تتركها «او» حتى تتحول إلى امرأة من جليد، تضحك بلا مبالاة، وتقول: لقد تركتْ شفتاك آثارها على فمي. ثم تمسح بقايا أحمر الشفاه عن فمها. ساعد تصرف جاكلين اللامبالي «او» على خيانتها لها، وذلك بسردها أدق التفاصيل للسيد ستيفن – احمرار وجنتيها البطيء، رائحة المريمية المنبعثة منها، رائحة عرقها. لم يكن صحيحاً الحديث عن إحجام جاكلين أو تمنّعها. فقد كانت تستسلم لقبلات «او» متحولةً على الفور، ولو لعشر ثوانٍ أو ربما لخمس دقائق، إلى امرأة أخرى؛ على الرغم من أنها لم تكن تبادلها التقبيل. فيما سوى ذلك، كانت جاكلين تبدي خجلها بغنج، وتتجنب هجمات «او» بذكاء؛ كانت حريصةً على ألا تدع نفسها عرضةً لأي كلمة أو تلميح، أو لنظرة يلتقي فيها المنتصر مع المغلوب، أو لأي شيء يسمح لـ «او» بالاعتقاد أن امتلاك شفتيها أمر بتلك السهولة. المستمسك الوحيد على جاكلين، الدليل الوحيد الذي يثير الشك في أن اضطراباً ما يخفيه الهدوء الطافي على السطح، كان ظاهراً في ابتسامة خاطفة تخرج لأحد أمرين، وكلاهما غاب عن إدراك جاكلين: الأول كان ردة فعل على الهدايا التي تحصل عليها، والثاني، برهانٌ على قدرتها في استنهاض الرغبة في شخص قد يكون ذا فائدة لها، أو ذا مستوى يتملق غرورها. بماذا كانت «او» مفيدة لها؟ أم أن «او» كانت ببساطة استثناءً وأن جاكلين استمتعت بكونها مرغوبة من قبلها لسببين: أولاً، لأنها وجدت راحةً في إعجاب «او» الواضح بها، وثانياً

Twitter: @ketab_n

لأن رغبة الأنثى لا تضر ولا تُخشى عواقبها!! على كل حال، كانت «او» مقتنعةً تماماً، بأنها لو لبّت حاجة جاكلين الدائمة لمائة أو مائتي فرنك، بدلاً من إهدائها دبوساً من عرق اللؤلؤ، أو وشاحاً من أحدث تصميمات هيرمز، ألم تكن الأخيرة ستتوقف عن التحجج بضيق وقتها، كي لا تتناول الغداء أو تشرب كوباً من الشاي في منزل «او»؟! ألم تكن ستتوقف عن تجنب ملاطفاتها بين الفينة والأخرى؟! كان ذلك جائزاً ولو لم يكن أكيداً. هذا ما حاولت «او» إخبار السيد ستيفن به لحظة دخول رينيه، وعندما كان السيد ستيفن يوبخها على تلكؤها في إنجازها ما كلفها به. في المرات الخمس أو الست التي صادف التقاء رينيه بجاكلين عند «او»، كان الثلاثة يخرجون معاً إلى بار وبير أو إلى احد البارات الإنكليزية المجاورة لمادلين؛ وفي تلك المرات، كان رينيه يعامل جاكلين بمزيج عجيب من الاهتمام والتعجرف، وهو ذات الأسلوب الذي كان يتبعه في التعامل مع فتيات رواسي اللواتي كنَّ رهن إشارته. لم تلقِ جاكلين بالاً لتعجرفه، بل و لم تلحظه حتى؛ على عكس «او»، التي أربكها تصرف رينيه، واعتبرته مهينا لجاكلين، علماً أنها كانت ستتقبله وكأنه أمرٌ طبيعي تماماً لو كان موجهاً لها. هل كان ذلك ضرباً من التحفز للدفاع عن جاكلين، لأجل جاكلين، أم لأجل رغبتها في أن تبقى ملكاً لها وحدها؟ لم يكن من السهل الإجابة على ذلك السؤال، فهي لم تكن تملك جاكلين أصلاً. حتى لو نجحت في ذلك، فالفضل سيكون عندها لرينيه. في ثلاث مرات، احتست جاكلين أكثر من طاقتها من الويسكي، وقد بدا ذلك في احمرار وجنتيها، وفي ذبول عينيها، وفي المرات الثلاث، كان رينيه يضعها في سيارته ليوصلها إلى منزلها قبل أن يوصل «او» إلى منزل السيد ستيفن.

Twitter: @ketab_n

عاشت جاكلين في أحد منازل الإيجار الكئيبة في باسي، حيث انتقلت حشود البيض من الروس في الفترة التي تلت الثورة البلشفية، ومن ثم لم يغادروا تلك المنازل أبداً. فسحة المدخل كانت مدهونة بما يشبه لون شجر البلوط، والفسحات التي فصلت درجات السلالم كانت مغطاةً بالغبار، أما السجاد الأخضر فقد كان تالفاً في أكثر من موضع. في كل مرةٍ كان يحاول رينيه الدخول إلى حيث تقطن جاكلين -ولتاريخه لم يتجاوز عتبة الباب الأمامي- كانت جاكلين تقفز خارجة من السيارة وتقول: ربما في ليلة أخرى، شكراً جزيلاً، ثم تغلق باب السيارة خلفها بسرعة كما لو أنها تحمي نفسها من لهب نار تلحق بها. وقد كان ذلك صحيحاً إلى حد ما، فعلى حد تعبير «او»: كانت النار تلحق بها فعلاً. وعلى ما يبدو أحست جاكلين بالأمر، رغم عدم امتلاكها لدليل حقيقي يثبت لها صحة إحساسها. المهم أنها أدركت واجب بقائها على أهبة الاستعداد في حضرة رينيه، والذي لم تؤثر عجرفته في جاكلين. (وهل أثرت بها؟ بغض النظر عن كل شيء، كانت تلك لعبة يمكن لاثنين المنافسة فيها، ورينيه كان خصماً مقبولاً بالنسبة لها.)

في المرة التي سمحت جاكلين لـ «او» بالدخول إلى منزلها وصولاً إلى غرفتها، أدركت «او» حينها سبب رفض جاكلين الصارم دخول رينيه إلى ذلك المنزل. فماذا كان سيحدث لهيبتها، لصورتها كبطلة أنيقة على أغلفة مجلات الموضة الراقية، لو أن أحداً رأى العرين الوسخ الذي كانت تخرج منه تلك المخلوقة الرائعة مختالةً كل يوم؟ سريرها لم يكن مرتباً، الأغطية كلها تقريباً كانت مرفوعة عنه، الشراشف كانت متسخة ملوثة بالمراهم، فقد كان من عادة جاكلين تدليك وجهها بالمراهم المرطبة

Twitter: @ketab_n

قبل الخلود إلى النوم، وكانت تنام فوراً دون أن تفكر في مسح بقاياها عن وجنتيها. كان هناك أثر لستارة فصلت في الماضي بين الحمام وغرفة النوم: لم يتبقَ منها اليوم سوى حلقتين وبعض المُزَقِ من القماش المدلى على قضيب الستارة المثلثي. كان لون كل شيء باهتاً: السجادة، ورق الجدران الذي رُسمت عليه ورود زهرية ورمادية زاحفة إلى الأعلى، وقد تحجرت على العريشة البيضاء المزيفة. وربما توجب إعادة هندسة المنزل برمته: إزالة ورق الجدران بأكمله، رمي السجادة خارجاً، كنسُ الأرض من الغبار. في الحد الأدنى، كان من الواجب تنظيف الأوساخ المتراكمة على ميناء حوض الاستحمام، وترتيب أدوات الزينة وعلب الكريم وتنظيفها؛ مسح طاولة الزينة، ورمي القطن المستعمل، وفتح النوافذ... لكن جاكلين بلطفها ورائحة العطور التي كانت تفوح منها لم تكن تهتم بقذارة غرفتها. ما كان يقلقها إلى أبعد حد سوى عائلتها.

وصفت «او» لرينيه، وبكل صراحة، ما أسمته بزريبة جاكلين. وعليه اقترح رينيه أن تنتقل جاكلين للعيش معها، وهذا ما قبلت به جاكلين مدفوعةً برغبتها في الهروب من عائلتها. أو بمسميات أدق: عشيرتها، أو قبيلتها، المؤلفة من جدتها، أمها، خالتها، والخادمة: أربع نساء تراوحت أعمارهن بين الخمسين والسبعين، نساءٌ غليظات البنية، محشورات خلف العقيق والحرير الأسود، يَنُحْنَ ويَبْكِيْنَ في الرابعة فجراً على ضوءٍ أحمرٍ خافت، وخلف ضبابة من دخان السجائر، أربعة نساء غارقات بين صلصلة كؤوس الشاي والهمس الجلف للغة تاقت جاكلين لنسيانها- كادت تُجَنُّ لاضطرارها للخضوع إلى أوامرهن، أو للاستماع إليهن، أو حتى لمجرد رؤيتهن. فكلما رأت أمها تدفع بقطعة من السكر إلى فمها قبل أن تشرب فنجان الشاي، كانت جاكلين تضع فنجانها

Twitter: @ketab_n

جانباً وتنسحب إلى حظيرتها الوسخة، مبتعدةً عن كل النسوة: جدتها، أمها، خالتها، بشعورهن المصبوغة بالأسود، وحواجبهن المتلاصقة، وعيونهن الرافضة التي تشبه عيون الكلاب - هناك في غرفة أمها، والتي كانت أيضاً غرفة جلوس، خرجت «او» مغلقةً الباب وراءها بعنف، فلحقت بها أصواتهن يناديها: تشورا، تشورا، أيتها الحمامة الصغيرة، كما في روايات تولستوي، فاسمها لم يكن جاكلين، بل ذاك كان الاسم الحركي الذي اختارته لتنسى اسمها الحقيقي، ومعه ذلك الكوخ الوسخ والدافئ في آن. أرادت أن تهرب إلى شمس فرنسا، إلى العالم الثابت الذي يمكن فيه للرجال أن يرتبطوا بها دون أن يختفوا في نهاية المطاف، كما فعل والدها الذي لم تتعرف إليه قط، والذي قصد تلك الأراضي المتجمدة في القطب الشمالي ولم يعد من هناك يوماً. كانت تشبهه كثيراً، هذا ما كانت تسره لنفسها في مزيج من الغضب والارتياح: كان لها شعره وعظام وجنتيه المرتفعتين، كانت تشبهه في هيئته وفي عينيه المائلتين. وإن كانت ممتنة لأمها في شيء، فهو في انتقائها لذلك الشيطان الأشقر ليكون والدها، ذلك الإبليس الذي أخذته الثلوج كما تأخذ الأرض بقية الرجال. ما أثار نقمتها فعلاً هو أن أمها استطاعت نسيانه بسرعة عجيبة لتدخل في علاقة قصيرة الأمد نتج عنها طفلةٌ سمراء الملامح، ناتالي، أختها لأمها ولأب مجهول. إنها تبلغ من العمر الآن خمسة عشر عاماً، وهي تزورهن فقط في أيام العطل. أما والد ناتالي، فلا يزورهن أبداً، لكنه يدفع مصروف ابنته وأجار غرفتها في بلدة ليسي القريبة من باريس، ويخصص راتباً شهرياً لأمها، تعيش عليه نساء عائلتها -بمن فيهن جاكلين حتى الآن- وعلى الرغم من ضآلة المبلغ، إلا أنه كان مهماً جداً بالنسبة لهن، نظراً للظروف التي يعشن فيها. ما كان يزيد من مدخول جاكلين من عملها كعارضة أزياء، بعد أن

Twitter: @ketab_n

تشتري ما تحتاجه من مساحيق تجميل وألبسة تحتانية وأحذية وملابس – وكلها أتت من أهم دور الأزياء في باريس وبأسعار خيالية، على الرغم من التخفيضات الخاصة التي كانت تحصل عليها كعارضة أزياء – كانت تلتهمه احتياجات العائلة والتي لم يكن أحد يدري ما هي بالضبط.

بدا واضحاً أنه من الممكن لجاكلين الاستفادة من وجود حبيب لها في حياتها، و لم تكن عاجزة بالطبع عن إيجاده. في الحقيقة، حظيت سابقاً بحبيب أو اثنين، و لم يكن ذلك انطلاقاً من حبها لهما، بل إنهما لم ينالا إعجابها، إلا أنها أرادت أن تثبت لنفسها قدرتها في أن تكون تلك المحبوبة التي تشعل الرجال رغبةً وتدفعهم إلى التوله بها. أحد الاثنين، الثاني، كان غنياً، وأهداها لؤلؤة جميلة موشحةً باللون القرنفلي ارتدتها في يدها اليسرى، إلا أنها رفضت أن تعيش معه، وعندما رفض هو الآخر الزواج بها، تركته، ودون أن تندم على شيء، أقلقها لبضعة أيام خوفها من أن تكون حاملاً بطفلٍ منه، ولكن سرعان ما تبدل ذلك القلق ارتياحاً، عندما تأكدت من زيفِ الأمر. كان أمرُ ارتباطها بعشيق عابر مدعاة عارٍ بالنسبة لها؛ تخلٍ عن حظوظها في الزواج في المستقبل، لقد كان أمراً مرفوضاً بالمطلق، والسبب في ذلك دون شك، علاقة أمها بوالد ناتالي.

مع «او» كان الأمر مختلفاً؛ فقد استطاعت إقناع نفسها بأن الأمر لا يعدو كونه علاقة بامرأة مثلها، امرأة تشاركها في المصروف، لعبت «او» دوراً مزدوجاً ومتناقضاً في ظاهر الأمر: حبيبٌ يوفر لحبيبته المال، أو يساعدها بشيء منه على الأقل، وضمانة أخلاقية لحفاظها على عهدها بعدم الارتباط بعشيق لا ينوي الزواج بها. لم يكن وجود رينيه كافياً لزعزعة تلك القناعة الذاتية. ولكن، كيف لأحد أن يجزم،

Twitter: @ketab_n

وبغض النظر عما تفكر فيه جاكلين، أن مجرد وجوده كان دافعاً لقبولها بالانتقال للعيش مع «او»؟ ما تبقى كان منوطاً بـ «او»، كان عليها أن تفاتح أم جاكلين بالأمر. وعندما فعلت، وجدت نفسها أشبه بخائنة، أو جاسوسة تتبع لمنظمة إجرامية. رحبت أم جاكلين بصداقة «او» لها، لكن ذلك لم يغير شيئاً في عزم «او» على رفض الانصياع التام للمهمة التي جاءت من أجلها إلى هنا. أجل، قد تنتقل جاكلين للعيش معها، لكن من المستحيل أن تنصاع كلياً لفكرة تسليمها إلى يدي السيد ستيفن. مع ذلك، انتقلت جاكلين إلى شقة «او»، حيث شغلت، بناء على طلب رينيه، الغرفة التي كان يشغلها أحياناً بشكل ظاهري (لأنه لطالما كان يغفو في سرير «او» الكبير). وخلافاً لكل التوقعات، وجدت «او» نفسها ممسوسة برغبة حارقة لامتلاك جاكلين بأي ثمن، وحتى وإن كان عليها، لتحقيق غايتها، أن تسلمها إلى السيد ستيفن. في النهاية، فكرت بالأمر على النحو التالي: إن جمال جاكلين يكفي لحمايتها، ولأي سبب أقحم نفسي بأمر كهذا؟ ماذا لو أنهم جعلوا منها سلعةً كما فعلوا بـ «او»؟ هل الأمر سيء إلى هذا الحد؟ لقد رغبت في سريرتها أن ترى جاكلين عاريةً مسلوبة الإرادة إلى جانبها، وفي ذات مستواها.

بعد مضي أسبوع على انتقال جاكلين، أعطتها أمها كامل موافقتها على ذلك، وأظهر رينيه حماساً منقطع النظير في دعوتهما، كلما سنحت له الفرصة، لتناول الغداء أو لمشاهدة فيلم حرص أن يختاره من بين أفلام التحريات والمخدرات والأفلام التي تتحدث عن استرقاق البيض. كان يجلس بين الاثنتين، ويمسك بيد كل منهما دون أن ينبس ببنت شفة. إلا أن «او» لاحظت كيف يتفرس في وجه جاكلين كلما احتلت شاشة العرض أحد مشاهد العنف. وفي المقابل، كيف يغيب عن

Twitter: @ketab_n

وجه جاكلين حينها أي شعور ما خلا الإحساس بالقرف الذي فضحته حركة فمها المتبرمة.

بعد ذلك، كان يقودهما إلى المنزل في سيارته المكشوفة، فيغصف الهواء بشعر جاكلين الأشقر ويرميه على وجنتيها وجبهتها الضيقة وأحياناً على عينيها، فتميل برأسها وتدخل يدها في شعرها لتعيده إلى مكانه بطريقة صبيانية.

عندما اعتادت على فكرة العيش مع «او» وعلى وجود رينيه كعشيق لها، أصبحت تتقبل تصرفاته القليلة الاحتشام بشيء من الألفة. ولذلك لم تعترض على دخوله غرفتها مرةً بحجة البحث عن ورقة ما كان قد تركها هناك، رغم أنها كانت تعلم بأن تلك حجة لا أساس لها من الصحة، فهي بنفسها أفرغت جوارير المكتب ذي التصميم الهولندي، الذي كان يستخدمه رينيه للكتابة، والذي كان مزيناً بشرائط من الجلد وبعض الأشكال الهندسية؛ مكتبٌ مفتوح الجوارير دوماً، على عكس رينيه تماماً. لماذا كان يمتلك مكتباً كهذا؟ من أين حصل عليه؟ فمنظره الأنيق وخشبه المطلي بألوانٍ فاتحة، جعلاه قطعة الأثاث الوحيدة التي توحي بالترف في تلك الغرفة المظلمة، التي تتجه شمالاً وتطل على صحن الدار، كانت جدران الغرفة الرمادية والباردة كالفولاذ، وأرضها المشمعة بكثافة، توحي بغرابتها بين نظيراتها من الغرف المشرقة التي تواجه النهر. ولكن، ربما كان في ذلك فضيلة كما اعتقدت «او»: فجاكلين لن تكون سعيدة هناك، وهذا سيشجعها على قبولها مشاركة الغرفتين الأماميتين معها، ولتنام إلى جانبها، كما قبلت في اليوم الأول مشاركة الحمام والمطبخ، ومواد التجميل، والعطور، والوجبات. وفي ذلك الاعتقاد، كانت «او» مخطئة. فجاكلين متعلقة جداً بأغراضها-

Twitter: @ketab_n

بلؤلؤتها القرنفلية على سبيل المثال- ولا ترغب نهائياً في أي شيء يملكه الآخرون. فلو أنها عاشت في قصر مثلاً، فلن يعنيها الأمر إطلاقاً إلا إذا قال لها أحدهم بأن هذا القصر ملك لك، وأعطاها كبرهان على قوله صك ملكية فيه. في الحقيقة لم يكن يعنيها أمر الغرفة الرمادية، أكانت مريحة أم لا، و لم يكن هذا سبب اندساسها في سرير «او». و لم يكن السبب أيضاً شعوراً بالعرفان لما قدمته «او»، فهي لم تشعر يوماً بأنها قدمت لها شيئاً، على عكس «او» التي ظنت أن جاكلين ممتنة لها، واعتقدت بأنها تستغل ذلك الامتنان لمصلحتها. إلا أن هدف جاكلين كان المتعة فقط، وقد وجدت في الحصول عليها من امرأة أمراً سائغاً وملائماً لها، ففي النهاية، لم تكن تجازف في سبيل متعتها بأي شيء.

بعد خمسة أيام من إفراغ محتويات حقيبتها، والتي ساعدت «او» في ترتيبها وتنسيقها، وبعد مغادرة رينيه، الذي أوصلهما إلى منزلهما في العاشرة ليلاً، إذ كانت المرة الثالثة التي يصطحبهما فيها إلى تناول طعام العشاء. وقفت جاكلين بباب «او» عاريةً تماماً إلا من آثار مياه علقت بها جراء استحمامها وقالت:

- هل أنت متأكدةٌ من أنه لن يعود اليوم؟

ودون أن تنتظر جواباً اندست في السرير الكبير. منحت نفسها لقبلات «او» ومداعباتها، أغلقت عينيها ومنعت جسدها من مبادلة شريكتها أي نوع من المداعبة؛ في البداية أصدرت أنيناً خافتاً، لا يكاد يسمع، ثم ارتفع أنينها، ارتفع أكثر إلى أن صرخت أخيراً. ونامت مفترشة السرير، بركبتين متباعدتين قليلاً وساقين ممدتين على الفراش. كان الجزء العلوي من جسدها ملوياً قليلاً إلى اليسار، ويداها مفتوحتين، وكان

Twitter: @ketab_n

الضوء الزهري الساطع يغمرها بكليتها حتى لمعت آثار عرق بين ثدييها. دثرتها «او» وأطفأت الأنوار. عندما عادت إليها ثانيةً، بعد ساعتين، في الظلام، لم تمانع جاكلين بل همست:

– لا تستهلكيني حتى الرمق الأخير، فعلي أن أستيقظ في الصباح الباكر.

كانت جاكلين في تلك الفترة تحاول الدخول في مهنة أخرى إلى جانب مهنتها كعارضة أزياء، مهنة أكثر متعةً وأقل ثباتاً: فقد بدأت بلعب بعض الأدوار الصغيرة في أفلام سينمائية. لم يكن واضحاً أكانت فخورة بمهنتها الجديدة أم لا، وهل كانت تعتبرها خطوة صغيرة على درب الشهرة، أم أنها لم تكن تفكر بالأمر حتى. في الصباح، كانت تجر نفسها خارج السرير بانزعاج ودون أدنى إحساس بالحماس، ثم تستحم على عجل، ترتدي ثيابها وتتناول فنجان القهوة الكبير الذي كانت تعده «او»، وعندما كانت تقبل لها أناملها، كانت جاكلين تستجيب بابتسامة سريعة وبتعابير تملؤها الضغينة: بدت «او» ناعمةً دافئةً في عباءتها الوبرية، شعرها ممشط، ووجهها مغسول ويوحي لأي شخص يراه أنها تخطط للعودة إلى فراشها. لكن الأمر لم يكن كذلك، و لم تكن «او» تملك الجرأة للبوح بذلك لجاكلين. حقيقة الأمر أنه في كل صباح، وبعد أن تغادر جاكلين قاصدةً الاستديو في بولون للوقوف أمام عدسة الكاميرا، وفي الوقت الذي يقصد فيه الطلاب مدارسهم والموظفون مكاتبهم، كانت «او» هي الأخرى تستعد لارتداء ثيابها، صحيح أنها فيما مضى كانت تمضي الصباح في شقتها، إلا أن الأمر اختلف الآن:

Twitter: @ketab_n

– سأرسل لك سيارتي، قال السيد ستيفن، ستقوم أولاً بإيصال جاكلين إلى بولون، ثم تعود لإحضاركِ إلي.

وهكذا تجد «او» نفسها في الطريق إلى منزل السيد ستيفن كل صباح، حين تكون الشمس مازالت تواجه جدران المنازل الشرقية؛ تاركةً بقيةَ الجدران باردةً في الظل، بينما تتقلص الظلال في الحدائق شيئاً فشيئاً.

في رو دي بوبير، لم تكن الأعمال المنزلية قد انتهت بعد. تأخذ نورا، الخادمة الخلاسية، «او» وترشدتها إلى غرفة النوم الصغيرة،حيث تركها السيد ستيفن في ليلته الأولى معها وحدها تبكي وتنام. انتظرتها نورا حتى خلعت قفازيها ووضعت حقيبتها وثيابها جانباً على السرير، ثم أخذتهما، أمام «او»، ووضبتهما في خزانة تملك وحدها مفتاحها. بعد ذلك سلّمت نورا «او» خفاً مبطناً بالجلد له كعب عال، فارتدته ولحقت بنورا مصدرةً أصوات طقطقة حادة، فتحت الخادمة الأبواب أمام «او» حتى وصلت إلى باب مكتب السيد ستيفن، ففتحته وأفسحت المجال لها بالدخول.

لم تعتد «او» تلك الاستعدادات أبداً، وكانت تشعر أن تعريها أمام تلك المرأة العجوز الصبورة، التي لم تكن تنبس ببنت شفة، والتي كانت نادراً ما تنظر إليها، يماثل في خطورته تعريها أمام الخدم في رواسي. بدأت تلك المرأة العجوز تمشي الهوينى مرتديةً خفين وكأنها راهبة. أخذت «او» تلحق بها، وشعرت أنه ليس في استطاعتها أن تبعد ناظريها عن طرفي وشاح السيدة القطني، أو عن يدها ذات اللون الداكن، التي كانت تظهر حين تمد ذراعها لتمسك مقبض الباب، تلك اليد التي بدت صلبةً كالخشب..

Twitter: @ketab_n

وفي الوقت ذاته- وبسبب شعورٍ مغايرٍ تماماً للذعر الذي كانت تزرعه تلك المرأة في داخلها- اختبرت «او» شعوراً مناقضاً و لم تجد طريقةً لتفسيره. كانت تشعر بالفخر وذلك لأن خادمة السيد ستيفن هذه (لم تكن «او» تعلم ما هي قرابتها أو علاقتها بالسيد ستيفن، ولماذا منحها الثقة للقيام بمهمة تزيينها، رغم أنها لم تكن تجد أنها تملك المؤهلات اللازمة لفعل ذلك) هي شاهدٌ على حقيقة أن «او»، تماماً كحال الآلاف من النساء اللواتي قادتهن عبر هذه الأبواب سابقاً، (و لم لا يخطر في بالها ذلك؟) تستحق أن يستخدمها السيد ستيفن. ربما كان السيد ستيفن واقعاً في حبّها، كان واقعاً في حبّها دون شك، وكانت «او» تشعر أنه لن يمضي وقتٌ طويل قبل أن يصرّح بذلك، فلن يكتفي بعد الآن بأن يتركها تخمن الأمر بمفردها، ولكن مع تزايد حبه ورغبته فيها، كانت مطالبه تتزايد أيضاً. ولذا حين كان يبقيها إلى جواره في بعض الصباحات، حيث لم يكن يلمسها البتة، بل ينتظر منها أن تداعبه فقط، كانت تقوم بكل ما يطلبه منها وكانت تشعر بشيءٍ أشبه بالامتنان، وكان ذلك الامتنان يتزايد حين كان طلبه يتحول إلى أمر. كانت تجد في كل مرةٍ تستلم فيها لرغباته، بدايةً لمزيدٍ من الاستسلام، وكانت تلتزم بتنفيذ تلك الأوامر كأنها تنفّذ واجباً. كان من المستغرب أن تكون راضيةً عن هذا تماماً، ولكن تلك ما كانت عليه الحال.

كان مكتب السيد ستيفن الذي يقع فوق الغرفة الصفراء والرمادية، حيث كان يعقد الأرجوحة أحياناً في المساء، أصغر حجماً وذا سقفٍ أكثر انخفاضاً. لم يكن يحتوي على كنبة أو أريكة، بل كرسيين تغطيهما زخارف تظهر أشكالاً من الأزهار. غالباً ما كانت «او» تختار أن تجلس على أحد هذين الكرسيين، لكن السيد ستيفن كان يفضل أن تجلس في

Twitter: @ketab_n

مكانٍ أقرب إليه، لتكون قريبة منه، ويسهل وصول ذراعيه إليها، حتى وإن كان يعمل، لذا، كان يأمرها أن تجلس على المكتب، إلى يساره. كان المكتب يشكّل مع الحائط زاويةً قائمة، وذلك ما كان يسمح لـ «او» أن تجلس على المكتب مسندةً ظهرها إلى الرفوف، التي كانت تحوي بعض المعاجم وكتب العناوين الضخمة ذات الأغلفة الجلدية، وفي كل مرةٍ يرنّ فيها جرس الهاتف الذي كان ملقى إلى جانب فخذها الأيسر، كانت تسرع إليه. كانت عادة ما ترفع السماعة لتقول، هل يمكنني أن أعرف من المتصل؟ وكانت إما أن تذكر الاسم بصوتٍ مرتفع بعد ذلك، وتعطي السماعة للسيد ستيفن، أو أن تعتذر من المتصل إن أشار لها السيد ستيفن وأخبرها أنه لا يرغب بالتحدث. وحين يأتي زائرٌ ما، كانت نورا العجوز تحضر لتعلن قدومه، فيجعله السيد ستيفن ينتظر لبعض الوقت، ريثما تقوم نورا العجوز بقيادة «او» إلى الغرفة التي كانت قد خلعت فيها ملابسها، وبعد أن يغادر تعود نورا إلى تلك الغرفة لتحضر «او» إلى السيد ستيفن حين يستدعيها.

وبما أن نورا كانت تدخل وتخرج من المكتب عدة مراتٍ في كل صباح، إما لتحضر القهوة للسيد ستيفن، أو لتحضر البريد، أو لتفتح الستائر، أو تفرغ المنفضة من أعقاب السجائر، وبما أنه لم يكن يأذن لغيرها بالدخول، وقد طلب منها ألا تطرق الباب أبداً، وبما أنها كانت دوماً تنتظر صامتةً حتى يأذن لها السيد ستيفن بالكلام في حال كان لديها ما تخبره به، فقد حدث أن دخلت نورا ذات مرةٍ إلى المكتب لتجد «او» واضعةً يديها وذراعيها على الكرسي الجلدي، ومؤخرتها ظاهرة للعيان، إذ كانت تنتظر أن يخترقها السيد ستيفن. رفعت رأسها. لو لم تنظر نورا إليها، وهي لم تكن تفعل ذلك عادةً، لما فعلت «او» أي

Twitter: @ketab_n

شيءٍ آخر. ولكن كان يبدو جلياً هذه المرة أن نورا تحاول جذب انتباه «او». كانت عيناها السوداوان الصغيرتان مركزتين على عيني «او»- التي لم يكن في مقدورها أن تعرف إن كانت نظراتها تعبّر عن اللامبالاة أم لا- لكن العينين القابعتين في ذلك الوجه المجعّد الخالي من أي تعبير، قد أثارتا في نفس «او» الاستياء، فحاولت أن تفلت من السيد ستيفن. أدرك السيد بدوره ما يجري حوله، فأمسك بخصر «او» بأحد يديه وثبّته على الطاولة، في حين حاول أن يخترق جسدها مستخدماً يده الأخرى، رغم أن «او» كانت تبذل جهدها لتكون متعاونةً في العادة، فإنها هذه المرة شعرت بتوترٍ شديد وبدأت عضلات مؤخرتها تزداد تقلصاً دون قصد منها، ذلك ما أجبر السيد ستيفن على فتح طريقه بالقوة. حتى بعد أن فعل ذلك، شعرت بأن حلقة مؤخرتها تتقلص، مما اضطره إلى أن يجد طريقه بالقوة ثانيةً، و لم يدعها تفلت منه حتى تأكّد أنه يمكن له أن يلج إلى الداخل والخارج بسهولةٍ ويسر. أراد أن يقوم بالأمر ثانيةً فطلب من نورا أن تنتظره حتى ينتهي، وذلك لتساعد «او» بعد ذلك على ارتداء ملابسها. ومع كل ذلك، فقد طبع على شفتيها بعد أن انتهى قبلةً حنونة، منحتها الشجاعة لتخبره لاحقاً أن نورا قد أثارت في داخلها الذعر.

- أتمنى أن يكون ذلك حقيقة قال. وحين ترتدين العلامات وأغلال الحديد خاصتي، وأنا أثق تماماً بأنك ستفعلين قريباً- في حال وافقت على ذلك - سيكون هناك أسبابٌ أكثر تجعلك تخشين نورا.

- لماذا؟ وعن أي أغلالٍ وحديدٍ تتحدث؟ أنا أرتدي هذا الخاتم...

- ذلك الأمر يعود برمته إلى آن ماري، فقد وعدتها في الحقيقة

Twitter: @ketab_n

على أن أقدّمك إليها قريباً. سنذهب إلى زيارتها بعد الغداء، وأنا أثق أنك لا تمانعين ذلك. آن ماري هي صديقتي، وأعتقد بأنك لاحظتِ أني لم أقدّمك إلى أحد من أصدقائي بعد. وحين تنتهي منك آن ماري، سأخبرك لماذا عليك أن تخشي نورا.

لم تجرؤ «او» أن تتابع النقاش أكثر من ذلك، ولكن آن ماري التي باتت تشكّل تهديداً بالنسبة لها، بدأت تثير فضولها أكثر مما تثيره نورا. كان السيد ستيفن قد ذكرها سابقاً حين تناولا الغداء سوياً في سان كلود. وكانت «او» حقاً لا تعرف أياً من أصدقاء السيد ستيفن أو معارفه. باختصار، كانت تعيش في باريس، حبيسة سرها كأنها سجينة بيت دعارة، و لم يكن أحد يملك مفتاح ذلك السر سوى السيد ستيفن ورينيه، لذا، لم يكن أحدٌ سواهما كذلك يملك المفتاح للحصول على جسدها. لم يكن تعبير «أن تنفتح على الآخرين» يعني بالنسبة لها سوى أن تمنح نفسك للآخرين، وكانت في الحقيقة تسمح لهم فتح كل جزءٍ من جسدها إن كان قابلاً لذلك. كانت تعتقد أن ذلك أساس حياتها، فذلك ما قرره السيد ستيفن ورينيه، ففي كل مرة كان يتكلم فيه عن أحد من أصدقائه كما فعل في سان كلود، كانت تعرف بأنه يفعل ذلك فقط ليعلمها أن من حق أولئك الذين سيقدمها إليهم، أن يفعلوا بها ما يشاؤون. حاولت «او» كثيراً أن تتصور شكل آن ماري، وأن تكتشف ما ينتظره السيد ستيفن منها فيما يتعلق بـ «او»، لكن عبثاً حاولت، حتى تجربتها في رواسي لم تكن تساعدها على حل هذا اللغز. كان السيد ستيفن قد أخبرها أنه يرغب برؤيتها تداعب امرأةً أخرى، فهل هذه هي تلك المرأة المقصودة؟ (لكنه أخبرها حينها أنه كان يقصد جاكلين) إذاً لا، ليست هي. سأقدّمك إليها، ذلك ما قاله، لكن «او» لم تعرف المزيد عن آن ماري حتى بعد أن غادرتها.

Twitter: @ketab_n

كانت آن ماري تقطن في باريس في منطقةٍ لا تبعد كثيراً عن المرصد الفلكي. كانت شقتها التي تقع في الطابق العلوي والمطلة على قمم الأشجار محاطةً بمرسم كبيرٍ. كانت امرأة نحيلة تقارب في العمر السيد ستيفن، لها شعر أسودٌ تتخلله بعض الخصل الرمادية، وعينان شديدتا الزرقة حتى أنهما بدتا سوداوين. قدمت لكلٍ من السيد ستيفن و«او» قهوة مرة المذاق، كانت قد وضعتها في فنجانين يتصاعد منهما البخار، وقد منح ذلك «او» شعوراً بالأمان. وحين أنهت قهوتها ونهضت من على الكرسي لتضع الفنجان على الطاولة، أمسكتها آن ماري من معصمها وقالت للسيد ستيفن:

– أيمكنني؟

– تفضلي، أجاب السيد ستيفن.

ومن ثم التفتت آن ماري إلى «او»، ورغم أنها لم تكن قد وجهّت إليها كلامها حتى تلك اللحظة، أو بادلتها التحية حين قدّمها إليها السيد ستيفن، أنارت وجهها ابتسامة رؤوفة حتى يخيل للمرء أنها تنوي أن تقدّم لها هدية، وقالت بلطفٍ شديد:

– يا طفلتي العزيزة، أريني بطنك وظهرك، ومن الأفضل أن تخلعي ملابسك.

أطاعت «او» الأوامر، وأشعلت آن سيجارة. لم يشح السيد ستيفن بناظريه عن «او» لحظةً واحدة. فيما بقيت واقفة هناك عارية لمدة خمس دقائق تقريباً. لم يكن هناك من مرآةٍ في الغرفة، لكن «او» لمحت انعكاس صورتها على سطح شاشةٍ يغطيه ورنيشٌ أسود.

Twitter: @ketab_n

– اخلعي جوربيك أيضاً، قالت آن ماري فجأةً، أترين،يجب ألا ترتدي رباطاً، فذلك سيؤذي فخذيك.

وأشارت بعد ذلك بطرف إصبعها إلى تلك النقطة الموجودة فوق ركبة «او»، حيث قامت الأخيرة بلفّ الجورب في رباط مطاطي عريض. كان هناك أثرٌ باهتٌ لذلك الرباط.

– من طلب منك أن تفعلي ذلك؟

قبل أن يتسنى لـ «او» الفرصة لتجيب على ذلك السؤال، قال السيد ستيفن:

– الصبي الذي أحضرها إليَ، أنت تعرفينه، اسمه رينيه، ثم أضاف، لكنني واثقٌ أنه سيوافقك الرأي.

– يسرني سماع ذلك، قالت آن ماري، سأعطيك جوارب طويلة داكنة اللون يا «او»، ومشداً يساعدك على تثبيتها، حيث يوضع عند الخصر.

وحين غادرت آن ماري، حضرت فتاة شقراء صامتة، وأحضرت معها جوربين سوداوين داكنين، ومشدّاً ضيقاً مصنوعاً من قماش التفتا الأسود، ويمكن تثّبيته وشدّه من خلال أربطةٍ عريضة تتقوس عند أسفل البطن وفوق الفخذين. نقلت «او» التي كانت لا تزال واقفةً وزنها من قدم إلى أخرى بارتداء الجوربين اللذين وصلا حتى أعلى فخذيها. ساعدتها الفتاة الشقراء على ارتداء المشد الذي كان يحمل على أحد الجانبين، من الجهة الخلفية، صفاً من المشابك. وتماماً كحال المشدات

Twitter: @ketab_n

التي كانوا يستخدمونها في رواسي، كان يمكن شدّ تلك الشرائط الموجودة في الخلف أو حلّها وفق الرغبة. ثبتت «او» الجوربين في المشابك ذات الأربطة الأربعة في الأمام والخلف وعلى الجانبين، ثم بدأت الفتاة الشقراء تعقد بقوة الشرائط التي في الخلف. شعرت «او» أن بطنها وخصرها مشدودان إلى الداخل بسبب تلك الشرائط التي كانت تصل تقريباً حتى منطقة العانة، التي كانت طليقةً وكذلك كان حال الوركين. كان المشد أقصر من الخلف منه من الأمام، لذا كانت مؤخرتها ظاهرةً تماماً.

- ستتحسن هيئتها بعد أن تفقد إنشاً من قياس خصرها الحالي، حدّثت آن ماري السيد ستيفن. وإن كنت لا تطيق انتظاراً لتجعلها تخلع ملابسها، فستلحظ أن المشد لن يشكل عائقاً بالنسبة لك. والآن اقتربي من هنا يا «او».

غادرت الفتاة. اقتربت «او» من آن ماري التي كانت تجلس على كرسي منخفض صغير، يغطيه المخمل الأحمر، ولمست مؤخرة «او» بيدها برفق، ثم دفعته إلى كرسي عثماني مشابه للكرسي الأحمر المخملي، وأمرتها ألا تتحرك، وأمسكت بشفتيها السفليتين بقوة.

هكذا يرفعون الأسماك في الأسواق، بدأت «او» تفكّر، بعد وضعها في صفائح، وهكذا يفتحون أفواه الأحصنة. وقد تذكّرت أن الحارس بيير قد قام بفعل مماثل لهذا، في ليلتها الأولى في رواسي، بعد أن قيّدها بالأصفاد. في النهاية، لم تعد مالكة مصيرها بعد الآن، وقد فقدت السيطرة تماماً على ذلك الجزء من جسدها، فبات بإمكان أي شخص استخدامه بمعزلٍ عن الأجزاء الأخرى. عندما كانت تدرك متفاجئة-

Twitter: @ketab_n

ليست تلك الكلمة الصحيحة، بل وهي مقتنعة مرة ثانية- عندما كانت تدرك في كل مرةٍ أن الشعور ذاته، شعور الحزن العميق ذاك يشلّ حركتها، شعور كان يسلّمها ليس للشخص الذي كانت معه، بل إلى ذلك الشخص الذي سلّمها لأيادٍ غريبة، شعور كان يقرّبها أكثر من رينيه حين يمتلكها أشخاصٌ آخرون، والذي كان يدفعها لتكون أقرب لمن؟ من رينيه أم من السيد ستيفن؟ لم تعد تعرف، لأنها لم تكن تريد أن تعرف، كان يبدو جلياً أنها تخص السيد ستيفن الآن وذلك منذ... كم مضى من الوقت على ذلك؟ طلبت منها آن ماري أن تقف وساعدتها على ارتداء ملابسها. يمكنك أن تحضرها إلي في أي وقتٍ شئت، قالت مخاطبةً السيد ستيفن. سأكون في ساموِيس ساموِيس.. (توقعت «او» أن ذلك يعني رواسي وإلا فما يكون معنى ذلك؟) بعد يومين. سيكون كل شيءٍ على ما يرام. (ماذا يعني ذلك؟).

- بعد مضي عشرة أيام، إن كان ذلك يناسبكِ، قال السيد ستيفن، أي بداية شهر تموز.

وفي تلك السيارة التي كانت تقلّها إلى المنزل، إذ إن السيد ستيفن بقي في منزل آن ماري، تذكرت «او» تمثال تلك المرأة التي رأتها حين كانت صغيرة في حدائق لوكسمبورغ: امرأةٌ قُلص خصرها بطريقةٍ مماثلة، فبدا نحيلاً جداً مقارنةً بنهديها الممتلئين ومؤخرتها الممتلئة كذلك- وقد كانت منحنية فوق ماءٍ شفاف، عند ينبوع كان قد نُحت مثلها من الرخام بدقةٍ، كانت تنظر إلى انعكاس صورتها، نحيلة وهزيلة حتى أنها كانت تخشى أن ينكسر ذلك الخصر الرخامي. لكن إن كان ما أراده السيد ستيفن...

Twitter: @ketab_n

أما بالنسبة لجاكلين، سيكون الأمر سهلاً للغاية، إذ ستخبرها أن هذا المشد هو أحد مطالب رينيه، وقد أعادها ذلك إلى سلسلة الأفكار التي كانت تحاول أن تتجنبها في كل مرة تخطر في بالها، أحدها كان مفاجئاً بعض الشيء بالنسبة لها، بل كان مؤلماً، لماذا، منذ أن انتقلت جاكلين لتسكن معها لم يبذل رينيه جهداً كبيراً ليتركها وحدها معها، وقد كانت ستتفهم ذلك، لكن أن يتجنب البقاء مع «او» وحدها؟ ها قد اقترب شهر تموز، وحينها سيغادر ولن يتمكّن من زيارتها في منزل آن ماري حيث ينوي السيد ستيفن إرسالها. هل يجب إذاً أن تستسلم لحقيقة أن لقاءاتهما سوياً ستقتصر على تلك المرات التي يقوم فيها «رينيه بدعوتها هي وجاكلين مساءً إلى مكان ما، «او» لم تكن تعرف أي الأمرين كان يزعجها أكثر (ذلك لأنه في هذه المرحلة من علاقتهما سوياً، كان هناك شيءٌ مزيّف، ولأن علاقتهما باتت محدودةً جداً)- أو في تلك الصباحات حين تكون في منزل السيد ستيفن، فتقوده نورا إليهما بعد أن تعلن حضوره؟ كان السيد ستيفن يستقبله دوماً، وبالطبع كان رينيه يقبّل «او»، ويداعب قمتي ثدييها، وينسّق خطط اليوم التالي مع السيد ستيفن، تلك الخطط التي لم تكن تشمل «او» أبداً- ثم يغادر. هل سلّمها للسيد ستيفن تسليماً مطلقاً لدرجة أنه توقف عن حبّها؟ أودت تلك الفكرة بـ «او» إلى الدخول في حالة من الهلع، لذا، وبشكلٍ تلقائي، حين خرجت من سيارة ستيفن بعد أن وصلت إلى منزلها، وبدلاً من تطلب من السائق أن ينتظر، انطلقت مسرعةً بعد أن ابتعدت السيارة، باحثةً عن سيارة أجرة. لا تمر الكثير من سيارات الأجرة في شارع بيتون. توجب على «او» أن تذهب إلى جادة سان جيرمان وأن تنتظر. كانت أنفاسها تتسارع، وكانت تتعرّق، إذ أن المشد جعل التنفس أمراً صعباً، وحين مرت سيارة أجرة بجانب زاوية

Twitter: @ketab_n

شارع كاردينال ليمون، أشارت إليها، وأعطت السائق عنوان مكتب رينيه، ركبت دون أن تعرف ما إذا كان رينيه سيكون هناك، وإن كان سيستقبلها، تلك كانت المرة الأولى التي تزوره في مكتبه.

لم يثر البناء الضخم المنتصب على شارع جانبي قريب من تشامب إليزيه، عجبها، أو حتى تلك المكاتب المصممة على الطريقة الأمريكية، لكن ما أقلقها هو موقف رينيه رغم أنه استقبلها على الفور. لم يكن عدوانياً و لم يمطرها بوابلٍ من التوبيخ. كانت تفضّل أن يوبّخها، فهو لم يأذن لها سابقاً بالقدوم إلى مكتبه، وكانت على الأغلب تشكّل له مصدر إزعاجٍ. طلب من السكرتيرة الخروج، وأخبرها أنه لا يرغب برؤية أحد، وأن تلغي جميع الاتصالات. وحين سأل «او» ما كانت المشكلة.

– أخشى أنك لم تعد تحبني، قالت «او».

– فضحك وأجاب، فجأةً وبهذه البساطة؟

– أجل حين كنت في السيارة...

– من أين كنت عائدة؟

بقيت «او» صامتة. ضحك رينيه ثانيةً وقال:

– أعرف أين كنت أيتها المجنونة. كنت في زيارةٍ لآن ماري، وبعد عشرةٍ أيام ستذهبين إلى ساموبس للقائها. هاتفني السيد ستيفن لتوه وأخبرني بذلك.

Twitter: @ketab_n

كان رينيه يجلس على الكرسي المريح الوحيد الموجود في المكتب مواجهاً الطاولة، وأبت «او» إلا أن دفنت وجها بين ذراعيه.

– يمكنهم أن يفعلوا بي ما يشاؤون، لا يهمني ذلك، قالت هامسة،لكن أخبرني أنك لا زلت تحبني.

– بالطبع أحبك يا عزيزتي، أجاب رينيه، لكني أريد منك أن تطيعي أوامري، إلا أني أخشى أنك لا تفعلين ذلك. هل أخبرت جاكلين بأنك بت تخصين السيد ستيفن، وهل حدثتها عن رواسي؟

أخبرته أنها لم تفعل بعد، وأن جاكلين استسلمت لمداعبتها ولكن يوم ستعلم أن «او»...

لم يسمح لها رينيه بإكمال الجملة، ورفعها ووضعها على الكرسي الذي كان هو جالساً عليه، ورفع تنورتها..

– أها، أنت ترتدين المشد الآن، لا شكّ أنك ستبدين أجمل حين يصبح خصرك أكثر نحولاً.

ثم جذبها إليه، حينها خطر في بال «او» أنه قد مر زمنٌ طويل منذ فعل أمراً كهذا، فأدركت أنها قد بدأت تشكّ إن كان حقاً يرغب فيها، إلا أنها وجدت في فعلته تلك برهاناً على الحب.

– هل تعلمين؟، حدّثها بعد أن انتهى من الأمر، أنت حمقاء لأنك لم تتحدثي إلى جاكلين حتى الآن، فنحن بحاجةٍ إليها في رواسي. أنت سبيلنا الأسهل للحصول عليها. لا تنسي أنك وبعد زيارة آن ماري، لن تكوني قادرةً على إخفاء حقيقة أمرك أكثر.

Twitter: @ketab_n

أرادت «او» أن تعرف سبب ذلك.

– كما تعملين، تابع رينيه حديثه، لم يتبق أمامك سوى خمسة أيام فقط، ذلك لأن السيد ستيفن ينوي أن يعاود جلدك يومياً،خمسة أيام قبل أن يرسلك إلى آن ماري، ولن يكون بمقدورك أن تخفي آثار ذلك. كيف ستشرحين الأمر لجاكلين؟

لم تنبس «او» ببنت شفة. لم يكن رينيه يعلم أن جاكلين نرجسية إلى حد كبير، وأن اهتمامها بـ «او»، كان من اهتمام الأخيرة وشغفها بها. كل ما ينبغي لـ «او» أن تفعله، إن كانت علامات السوط تغطي كامل جسدها، ألا تستحمّ في حضور جاكلين، وأن ترتدي دوماً عباءةً طويلة. لن تلحظ جاكلين شيئاً. لم تلحظ سابقاً أن «او» لا ترتدي سروالاً تحتياً، وليس هناك خطر من أن تلحظ ذلك مستقبلاً، لأن أمر «او» لم يكن يهمها.

– استمعي إليّ، تابع رينيه حديثه، هناك أمرٌ أود أن أخبرك إياه، وأتمنى أن تخبريها بذلك، وهو أني واقعٌ في حبها.

– أهذا صحيح؟ قالت «او».

– إني أريدها، قال رينيه، وبما أنك لست قادرة، ولن تفعلي شيئاً حيال ذلك، سأتولى أنا مسؤولية ذلك، وسأفعل ما يتوجب عليّ فعله.

– يستحيل أن تقنعها بالذهاب إلى رواسي، قالت «او».

– هكذا تعتقدين؟ في هذه الحال، قال رينيه، سنجبرها على ذلك.

Twitter: @ketab_n

وبعد أن حلّ الظلام في تلك الليلة، حين كانت جاكلين في السرير، سحبت «او» الأغطية لتحدّق فيها تحت ضوء المصباح، بعد أن أخبرتها أن رينيه واقعٌ في غرامها. أبلغتها تلك الرسالة دون أي تأخير. منذ حوالي الشهر، كانت «او» تخشى أن ترى ضربات السوط تغطي هذا الجسد، وتمزق العورة الأنثوية، وأن يصرخ هذا الثغر الطاهر من الألم، وأن تشاهد الدموع وهي تحفر طريقها على هاتين الوجنتين، أما الآن فقد أعادت لنفسها كلمات رينيه وشعرت بالسعادة. لم تكن جاكلين ستعود قبل بداية شهر آب، في حال أنهت تصوير فيلمها، لذا لم يكن هناك ما يدفع «او» للبقاء في باريس. كان شهر تموز قد اقترب، بدأت أزهار الغرنوقي ذات اللون الأحمر القاني تغطي جميع حدائق باريس، وفي الليل كانت جميع الأبواب تُغلق، أما رينيه فقد أعلن مشتكياً أن عليه أن يسافر إلى اسكتلندا. وللحظة، تمنت «او» أن يصطحبها. ولكنه لم يفعل ذلك في أي من رحلاته سابقاً، كما أنه لم يقدّمها لأحد من أهله، وكانت تعلم أنه سيسلّمها إلى السيد ستيفن في حال طلبَ منه ذلك.

أعلن السيد ستيفن أنه سيأتي لزيارته في اليوم الذي يغادر فيه رينيه إلى لندن. كانت حينها في إجازة.

– سنذهب لزيارة آن ماري، قال السيد ستيفن، إنها تنتظر قدومك، وليس هناك داعٍ لأن تحزمي أمتعتك، فلن تحتاجي إلى أيٍ منها.

لم تكن وجهتهما إلى تلك الشقة القريبة من المرصد الفلكي حيث قابلت «او» آن ماري لأول مرة، بل إلى منزل من طابقين يقع في نهاية حديقة كبيرة، في أحد أطراف غابة فونتيبلو. منذ اليوم الأول، ارتدت

Twitter: @ketab_n

«او» المشد الذي أخبرتها آن ماري أنه ضروريٌ للغاية،كانت تضيّقه أكثر في كل يوم، إلى أن أصبح خصرها بصعوبة أكبر من الدائرة التي يمكن أن تشكّلها بأصابعها العشر بعض الشيء، لا بدّ أن آن ماري ستسرّ لذلك.

حين وصلا كانت عقارب الساعة تشير إلى الثانية من فترة ما بعد الظهيرة، وكان جميع سكّان المنزل نائمين. نبح الكلب بكسلٍ حين سمع صوت الجرس، كلبٌ كبير أشعث، وقد اقترب من «او» ليشمَ ركبتيها الظاهرتين تحت تنورتها. كانت آن ماري جالسةً بجوار شجرة زان منتصبة على حافة المرج، عند زاوية الحديقة، قبالة نوافذ غرفتها. لم تنهض.

– ها هي «او»، قال السيد ستيفن. تعلمين ما ينبغي أن تفعلي بها. متى ستكون جاهزة؟

نظرت آن ماري إلى «او» وقالت، تقصد أنك لم تخبرها بعد؟ حسناً، سأبدأ في الحال. أعتقد أنه سيتوجب عليك أن تنتظر عشرة أيام حتى ننتهي من الأمر، وأعتقد أيضاً أنك ترغب أن تضع الحلقات والرمز خاصتك على جسدها، صحيح؟ عد بعد أسبوعين. بعد أسبوعين سيكون كل شيء جاهزاً.

كادت «او» أن تطرح سؤالاً.

– مهلاً يا «او»، قالت آن ماري، اذهبي إلى غرفة النوم الأمامية هناك، اخلعي جميع ملابسك باستثناء الصندل، وعودي إلى هنا.

Twitter: @ketab_n

كانت تلك الغرفة بيضاء فسيحة وليس فيها إلا بعض الستائر الأرجوانية المزخرفة. وضعت «او» حقيبتها وقفازيها وملابسها على كرسي مجاور لباب خزانة. لم يكن هناك مرآة. عادت «او» إلى الخارج، مبهورة بأشعة الشمس الساطعة، ومشت ببطء تحت ظلال شجرة الزان. كان السيد ستيفن لا يزال واقفاً أمام آن ماري والكلب جالسٌ عند قدميه. كان شعر آن ماري الأسود الذي تتخلله بعض الخصل الرمادية يلمع، كأنها وضعت عليه كريماً أو ما شابه، أما عيناها الزرقاوان فبدتا سوداوين. كانت ترتدي ملابس بيضاء يزيّنها حزام جلدي أسود عند الخصر، وصندلاً أسود جلدياً يكشف طلاء الأظافر الأحمر الذي وضعته على أصابع قدميها، والذي كانت تزين به أظافر يديها كذلك.

– «او» اركعي أمام السيد ستيفن، قالت لها.

أطاعت «او» الأمر فركعت وكانت يداها متقاطعتين خلف ظهرها، وبدأ صدرها يرتعش. وكان الكلب متوتراً وكأنه يكاد ينقض عليها.

– اجثم يا ترك، أمرته آن ماري، ثم سألت، هل توافقين يا «او» أن تحملي الحلقات والرمز كما يرغب السيد ستيفن أن يضعها عليك، دون أن تعرفي على أي جزءٍ من جسدك سوف نضعها؟

– أوافق، قالت «او».

– حسناً، سأرافق السيد ستيفن إلى سيارته، ابقي هنا.

وحين نهضت آن ماري عن كرسيها، انحنى السيد ستيفن وأمسك بصدر «او» بيديه. قبّلها من فمها وقال: هل أنت ملكي، هل أنت ملك

Twitter: @ketab_n

لي يا «او»؟ ثم استدار وغادرها، ليلحق آن ماري. أغلقت البوابة بقوة معلنة عودة آن ماري. كانت ساقا «او» مطويتين تحتها، وهي تجلس على عقبيها، واضعة ذراعيها حول ركبتيها، كأنها تمثال مصري.

كان هناك ثلاث فتيات يعشن في المنزل ولهنّ غرفة خاصة في الطابق الثاني. مُنحت «او» غرفةً صغيرةً في الطابق الأرضي مجاورةً لغرفة آن ماري. طلبت منهن ماري المجيء إلى الحديقة، وكنّ كلهنّ عاريات كـ «او». لم يكن هناك من أحد يرتدي الملابس في هذا القصر الذي تغلفه الجدران العارية والدرفات، التي تغطي تلك النوافذ المطلة على شارع ضيق متسخ، سوى آن ماري والخادمات الثلاث: طبّاخةٌ وخادمتان، وقد كنّ أكبر عمراً من آن ماري، ثلاث نساءٍ صارماتٌ متزمتات، يرتدين تنانير سوداء صوفية، ومآزر رسمية.

هذه تدعى «او»، قالت آن ماري التي عادت لتجلس ثانيةً. أحضروها لألقي عليها نظرةً عن كثب. ساعدت فتاتان «او» على الوقوف. كلاهما سمراوان، يزينهما شعر أسود داكن، تماماً كلون الوبر الذي يغطي جسديهما في الأسفل، وحلمات نهودهما كانت كبيرةً وداكنة اللون، أقرب لكونها أرجوانية. أما الفتاة الثالثة فكانت قصيرة القامة وذات شعر أحمر، ويغطي صدرها ذا العظام البارزة شبكة مرعبة من الشرايين الخضراء المتقاطعة. قامت الفتاتان بدفع «او» حتى أصبحت مجاورةً لآن ماري تماماً، حيث أشارت إلى ثلاثة خطوط سوداء عند فخذي «او» ومثلها عند مؤخرتها.

– من جلدك؟ سألتها، أهو السيد ستيفن؟

– أجل، قالت «او».

Twitter: @ketab_n

– متى؟ وبماذا جلدك؟

– منذ ثلاثة أيام، وقد جلدني بالسوط.

– بدءاً من الغد، وحتى مضي شهر، لن تتعرضي للجلد أبداً، ولكني سأجلدك اليوم لتذكري يوم قدومك إلى هنا، وذلك بعد أن أنتهي من معاينتك عن قرب. هل جلدك السيد ستيفن سابقاً عند الفخذين من الداخل، بعد أن طلب منك أن تباعدي ساقيك جيداً؟ لا. هذا صحيح. لا يعرف الرجال كيف يفعلون ذلك. حسناً، سوف نرى قريباً. أريني خصرك. أجل هناك تحسنٌ كبير!

عصرت آن ماري خصر «او» ليصبح مماثلاً لخصر الفراشة، من ثم طلبت من ذات الشعر الأحمر أن تذهب لإحضار مشد ثان لتضعه عليها. كان هذا المشد من النايلون الأسود أيضاً، لكنه أكثر قساوة، وأضيق بكثير حتى أنه بدا للجميع كأنه حزامٌ عريضٌ جداً. قامت إحدى الفتيات بشد أربطته بقوة قدر ما استطاعت، وكانت آن ماري أثناء ذلك تسمعها كلمات التشجيع لتشده بأقصى ما يمكنها.

– هذا مريع، قالت «او»، لا أعلم إن كنت سأحتمل هذا.

– ذلك ما يهم، قالت آنا ماري،قوام أجمل بكثيرٍ مما كنت عليه، لكنك لم تشدي الأربطة كفاية، لذا عليك أن ترتديه على هذه الشاكلة كل يوم. والآن أخبريني كيف كان السيد ستيفن يفضّل أن يستخدمك؟ يجب أن أعرف ذلك.

أمسكت برحم «او» بيدها، فلم تستطع أن تجيبها. جلست فتاتان على العشب، أما الفتاة الثالثة فكانت تجلس أسفل كرسي آن ماري.

Twitter: @ketab_n

– ساعدنها لتستدير، وذلك لأتمكّن من رؤيتها من الخلف، قالت آن ماري.

جعلنها تلتف وتنحني، ثم اخترقتها أيدي الفتاتين.

– بالطبع، تابعت آن ماري قائلة: لم يكن هناك داع لأن تخبريني. ستوسمين بإشارة على مؤخرتك.. قفي. سنلبسك الأساور. كوليت، اذهبي وأحضري الصندوق، سنجري قرعة لنرى من سيجلدك. أحضر ي القطع النقدية يا كوليت. وثمّ سنذهب إلى غرفة الموسيقى.

كانت كوليت أطول من الفتاتين الأخريين بشعر هما الغامق، كانت إحداهن تدعى كلير، أما الفتاة ذات الشعر الأحمر فكانت تُدعى يوفان. لم تلحظ «او» سابقاً أنهنّ كن يرتدين أطواقاً وأساور جلدية عند المعصم، مشابهةً لتلك التي كانت الفتيات يضعنها في «رواسي»، كما أنهن كنّ يرتدين أيضاً أسوار مشابهة عند الكاحل.

وبعد أن اختارت يوفان الأساور التي تناسب «او» وساعدتها على ارتدائها، قامت آن ماري بإعطاء «او» أربع قطع النقدية، وطلبت منها أن تقوم بتوزيعها على الفتيات، دون أن تنظر إلى الأرقام الموجودة على كل قطعة. أعطت «او» القطع للفتيات ثم نظرت كل منهن إلى ما في يدها من قطع ولبثنّ صامتات، منتظرات أن تبدأ آن ماري الحديث.

– حصلت على الرقم اثنين، فمن منكنّ حصلت على الرقم واحد؟ سألت آن ماري.

كوليت كانت هي من حصلت على الرقم واحد.

Twitter: @ketab_n

- حسناً، خذي «او» وافعلي بها ما شئت.

أمسكت كوليت بذراعي «او» ووضعتهما خلف ظهرها، قامت بتثبيت الأساور سوياً وبدأت تدفعها أمامها. وعلى عتبة ذاك الباب الفرنسي الذي يطل على جناح صغير، يشكّل مع الجهة الأمامية للمنزل حرف L). خلعت يوفانّ والتي كانت تقود الطريق، صندلها. وكشف الضوء المنبعث من خلال الباب الفرنسي عن غرفة، تشكّل نهايتها شيئاً أشبه بمنصة مستديرة مرتفعة بعض الشيء، ويدعم السقف، والذي يبدو مثل قبة منخفضة، عمودان ضيقان يبعد كل منهما عن الآخر حوالي ستة أقدام. ويبلغ ارتفاع تلك المنصة حوالي أربع درجات، وتلك المنطقة الفاصلة بين العمودين، تتقدم أكثر في الغرفة لتشكّل قوساً صغيراً. يغطي أرضية القاعة المستديرة تلك كما حال بقية الغرفة سجادٌ أحمر. كان لون الجدران أبيض، أما الستائر التي تغطي النوافذ فهي حمراء، وكانت الأرائك الموضوعة على شكل نصف دائرة مواجهة لتلك المنصة، مصنوعة من نفس المادة الحمراء الذي صُنع منها السجاد آنف الذكر. في ذلك الجانب من الغرفة الذي يبدو أشبه بالمستطيل، كان هناك موقدٌ يزيد عرضه على طوله، وتوضع قبالته وحدة مدمجة من الفونوغراف والمذياع، ومجموعة من الرفوف على الجانبين الممتلئين بالكثير من السجلات الموسيقية. لهذا السبب كانت تُسمى بغرفة الموسيقى، وقد كانت تودي مباشرةً إلى غرفة نوم آن ماري، وذلك عبر الباب الموجود بالقرب من الموقد. أما الباب المطابق له تماماً الموجود بجانب الطرف الآخر من الموقد، فإنه يودي إلى خزانة. و لم يكن في تلك الغرفة من أثاث سوى الآرائك والفونوغراف.

بينما جعلت كوليت «او» تجلس على حافة المنصة، التي كان ذلك

Twitter: @ketab_n

الجزء منها الواقع بين العمودين يتدلى بشكلٍ عمودي باتجاه الأرض، أما الدرج فكان منتصباً على الجانبين الأيمن والأيسر للعمودين. أسدلت الفتاتان الأخريان الستائر الفينيسية، ثم أغلقتا الباب الخارجي، وهنا أصيبت «او» بالدهشة حين أدركت أنه بابٌ مزدوج، وسمعت آن ماري تقول ضاحكة:

- هكذا لن يتمكّن أحدٌ من سماعك وأنت تصرخين، إذ تغطي الجدران طبقةٌ من الفلين. لا تقلقي، لا يمكن لأي شخصٍ أن يسمع أي شيءٍ مما يجري في الداخل. هيا تمددي الآن.

أمسكتها من كتفيها وجعلتها تستلقي، ثم دفعتها إلى الأمام بعض الشيء. كانت «او» تمسك بحافة المنصة بكلتا يديها، إذ كانت يوفان قد ثبتتها بحلقة معلقة هناك، وهكذا أصبح ردفاها متدليين في الهواء. ثم جعلتها آن ماري ترفع ساقيها باتجاه صدرها، وفجأةً شعرت «او» أن ساقيها اللتين كانتا مطويتين فوقها، بدأتا تُسحبان في الاتجاه ذاته: ثبتت أشرطة في أساور كاحليها،ثم ربطت تلك الشرائط بالعمودين، فلم يظهر منها للعيان وهي مستلقية فوق المنصبة بين هذين العمودين، سوى الشقّ المزدوج لرحمها، وكانت تباعد طرفي مؤخرتها. داعبت آن ماري الجزء الداخلي من فخذيها.

- هذه أكثر مناطق الجسد نعومةَ ورقة، قالت آن ماري، لذا حاذري من أن تؤذيها، لا تجلديها بعنفٍ يا كوليت.

كانت كوليت فوقها، ثم باعدت بين ساقيها عند مستوى الخصر، ومن خلال ساقيها اللتين شكلتا جسراً تمكّنت «او» من رؤية شرابة السوط الذي كانت تمسكه في يدها. وحين شعرت بالضربات الأولى

Twitter: @ketab_n

تحرق فخذيها تأوهت، فما كان من كوليت إلا أن ضربتها على الجهة اليمنى ثم اليسرى، ثم توقفت لتبدأ من جديد. قاومت «او» بكل قوتها رغم أنها شعرت كأنها تتمزق إرباً. لم ترغب أن تستسلم وتطلب الرحمة، لكن ذلك ما كانت آن ماري تحاول أن تنتزعه منها.

قاومت «او» لكن دون جدوى. فبعد مضي دقيقة، شعرت أنها لم تعد قادرةً على الاحتمال. صرخت وبدأت الدموع تنهمر من عينيها، فداعبت آن ماري وجهها.

– سننتهي قريباً، قالت، سننتهي قريباً، خمس دقائق فقط. يمكنها أن تصرخ لخمس دقائق. إن الساعة قد تجاوزت الدقيقة الخامسة والعشرين، فتوقفي حين تتجاوز الدقيقة الثلاثين، حين أطلب منك أن تفعلي ذلك.

لكن «او» كانت تصرخ.

لا، لا لا، كرمى للسماء! لا تفعلي! صرخت قائلةً إنها لم تعد قادرةً على الاحتمال، لا، لم تعد قادرةً أن تتحمل ذلك العذاب ثانيةً واحدة، ولكنها احتملت حتى النهاية، وبعد أن غادرت كوليت، ابتسمت آن ماري في وجهها.

– اشكريني، قالت مخاطبةً «او»، فشكرتها.

كانت تعرف تماماً لما أرادت آن ماري، أولاً وقبل كل شيء، أن تجلدها. إن فصيلة الإناث أكثر عنفاً وحقداً من الرجال، لم تكن «او» تشك في تلك الحقيقة للحظة واحدة. لكنها شعرت أن هدف آن ماري ليس أن تستعرض ما تمتلكه من قوة، بل أن تؤسس فيما بينهما رابطاً

Twitter: @ketab_n

قوياً. لم تستطع «او» أبداً أن تفهم اختلاط واختلاف مشاعرها المفاجئ والدائم، لكنها قبلت به كحقيقة هامة لا يمكن لها إنكارها: كانت فكرة التعذيب تروق لها، لكن حين كانت تُجبر أن تخضع لأنواع التعذيب، كانت تشعر أنها مستعدة لبذل كل ما بوسعها لتجد طريقة للهروب، وبعد أن ينقضي الأمر، كانت تشعر بالسعادة لكونها خضعت للتعذيب، خاصة إن كان التعذيب قاسياً واستمر لفترة طويلة. كانت آن ماري محقةً في ما كونته من افتراضات حول إذعان «او» وثورتها، وكانت واثقةً من صدقها في تضرعها واستجدائها الرحمة. أخبرتها آن ماري لاحقاً أن هناك سبباً آخر دفعها لجلدها، ذلك أنها تريد أن تثبت لكل فتاة تأتي لتسكن في منزلها، والتي قُدر لها أن تستقر في عالم أنثوي بحت، أنه لا يمكن التقليل من شأنها أو النيل من سمعتها، تبعاً لحقيقة أنها تتواصل مع النساء فقط، بل على العكس، ينبغي أن تسمو حالها وتصبح أقوى. لهذا السبب كانت تطلب من جميع الفتيات أن يبقين عاريات، وقد جعلت «او» تستلقي بتلك الطريقة عندما جلدت، وقيّدتها على تلك الشاكلة، للغاية ذاتها. اليوم كان دور «او» أن تبقى على هذه الحال طوال فترة ما بعد الظهيرة، لمدة ثلاث ساعات، مستلقيةً على المنصة، وساقاها متباعدتان في الهواء. غداً سيكون دور كلير أو كوليت أو يوفان، وحينها سيحين دور «او» لتجلس وتتأملهنّ. كانت تلك التقنية بطيئة ودقيقة (كحال الطريقة التي يُستخدم فيها السوط)، لا تنفع لأن تستخدم في رواسي، ولكن «او» ستعرف تقريباً مدى فعاليتها. ولن تعود إلى السيد ستيفن مرتدية العلامات والخواتم فحسب، بل ستكون أكثر طاعةً وعبوديةً مما يمكن لها أن تتخيل.

وفي صباح اليوم التالي، بعد الانتهاء من تناول الفطور، طلبت آن

Twitter: @ketab_n

ماري من «او» ويوفان أن تلحقا بها إلى غرفتها، حيث أخرجت من مكتبها صندوقاً جلدياً أخضر ووضعته على السرير وهمّت أن تفتحه. قرفصت الفتاتان وجلستا على كعوبهما.

– ألم تحدثك يوفان بالأمر بعد؟ سألت آن ماري.

هزّت «او» رأسها مشيرةً بالنفي. ما الذي يتوجب أن تخبرها به يوفان؟

– وأعلم أن السيد ستيفن لم يحدّثك حول الأمر كذلك. لا مشكلة. ها هي الحلقات التي يود السيد ستيفن أن تقومي بارتدائها.

كانت الحلقات مصنوعةً من الفولاذ المقاوم للصدأ، تماثل زخرفتها زخرفة خاتم الحديد المرصع بالذهب، مستطيلة الشكل، أشبه بحلقات السلاسل الثقيلة التي يعادل قطرها قطر قلم تلوين من الحجم الكبير. أعلمت آن ماري «او» أن كل حلقة تتألف من قطعتين على شكل حرف (U)، ويمكن إدخال كل قطعةٍ بالأخرى.

– هذا ليس سوى النموذج الأولي، قالت لها، لذا يمكن خلعه بعد ارتدائه. أما النموذج النهائي الدائم، فإنه يحتوي نابضاً في الداخل، وحين تضغطين عليه فإنه يثبت في الثقب الأنثوي من النصف الآخر للحلقة، ولا يمكن خلعه إلا عن طريق برده.

يبلغ طول كل حلقة ما يعادل مفصلي خنصر، وأما عرضها فيسمح للخنصر أن يدخل فيها بسهولة. وكانت كل حلقة معلّقة بما يشبه حلقة أخرى، أو بما هو أشبه بعروة القرط، حلقة ينبغي أن تعلّق بشكلٍ موازٍ

Twitter: @ketab_n

لمستو ى الإذن وتشكل امتدادها، قرص مدوّر مصنوعٌ من المعدن ذاته، ويعادل قطره طول الخاتم الأصلي ذاته. يوجد على أحد وجوه نقش مذهب ثلاثي الأرجل (تريسكليون)، أما على الجانب الآخر فلا شيء إطلاقاً.

– سنضع على الجانب الخالي اسمك، لقبك، وكنية السيد ستيفن، واسمه، قالت آن ماري، وسنضع في الأسفل نقشاً لسوط متقاطع وآخر به أنشوطة، يوفان ترتدي قرصاً مشابهاً في رقبتها، أما أنت ستضعين القرص عند منطقة العانة.

– ولكن.. قالت «او».

– أعلم، أجابت آن ماري، ولهذا السبب طلبت من يوفان أن ترافقنا، يوفان، أريها القرص خاصتك.

نهضت الفتاة ذات الشعر الأحمر واستقلت على السرير. باعدت آن ماري فخذيها وذلك لتطلع «او» كيف ثقبت إحدى الفلقتين السفليتين في المنتصف وبالقرب من القاعدة. سيكون بالإمكان إدخال الحلقة الحديدية هنا.

– سوف أقوم بثقبك بعد دقيقة يا «او» قالت آن ماري. لن تشعري بشيء. إن ما يستغرق وقتاً طويلاً هو وضع المشابك في المكان المناسب، وذلك لنتمكّن من أن نخيط الطبقتين الداخلية والخارجية، أي أن نصل الأدمة مع الغشاء الداخلي. إن احتمال ذلك أسهل من احتمال السوط.

– تقصدين أنك لن تقومي بتخديري؟ قالت «او» مرتجفةً.

Twitter: @ketab_n

– بالطبع لا، أجابت آن ماري، كل ما سأفعله هو أني سأشد وثاقك أكثر من البارحة. هذا سيكون كافياً. تعالي الآن.

بعد مضي أسبوع، أزالت آن ماري المشابك ووضعت النموذج الأولي للحلقة. كانت أخف وزناً مما تبدو عليه، ذلك لأنها كانت مجوفةً، لكن «او» كانت تشعر بثقلها. بدت تلك القطعة المعدنية التي ما برحت تثقب الجلد أقرب إلى كونها أداة تعذيب. إذاً ما الذي سيحدث عندما يضاف إليها وزن الحلقة الأخرى؟ ستكون هذه الأداة البربرية ظاهرةً للعيان بسهولة وبشكلٍ فاضح.

– بالطبع ذلك ما سيحدث، أجابت آن ماري حين سألتها «او» عن الأمر. لكن ألم تفهمي بعد ما يريده السيد ستيفن؟ أياً كان من تقابلينه في رواسي، أو في أي مكانٍ آخر، سواءً كان السيد ستيفن أو أي شخص آخر، حتى أنت نفسك حين تقفين أمام المرآة، أياً كان من يرفع تنورتك، سيرى الحلقات عند الجزء الأمامي، وإن استدرت للخلف فإنه سيلمح الرمز الخاص بالسيد ستيفن عند مؤخرتك. يمكنك أن تقومي ببرد الحلقة إن شئت ذات يوم، لكن تلك العلامات في الخلف لن تختفي أبداً.

كنت أعتقد أنه يمكن إزالة الوشم بسهولة، قالت كوليت. (كانت هي من حصلت على الوشم، أما يوفان، فكان ظاهراً على بشرتها البيضاء، فوق بطنها بقليل، الأحرف الأولى من اسم سيدها، كانت ذات لونٍ أزرق، وبدت أشبه بتلك الحروف التي يمكن أن تجدها على القماش المطرّز).

– لن أقوم بوشم «او».

Twitter: @ketab_n

نظرت «او» إلى آن ماري. وأصابت كلاً من يوفان وكوليت الدهشة، و لم تتفوها بشيء. بدأت آن ماري تتلعثم.

– أخبريني بالأمر، قالت «او».

– يا فتاتي المسكينة، لم أكن أملك الشجاعة الكافية لأخبرك بالأمر سابقاً، لكننا سنكويك بالنار. لقد أرسل السيد ستيفن حديد الوسم منذ يومين.

– نسمها؟ صرخت يوفان، تقصدين باستخدام الحديد الساخن؟

منذ اليوم الأول، شاركت «او» في الحياة في هذا المنزل. الخمول المطلق والمقصود كان الأمر السائد في هذا المنزل، خمولٌ تتخلله بعض الأشياء المملة. فالفتيات يتنقلن بحرية في الحديقة، ويمكن لهنّ أن يقرأن، أو يرسمنّ، أو يلعبنّ الورق أو السوليتير. كان يمكن لهنّ كذلك أن ينمن في غرفهنّ، أو أن يأخذن حماماً شمسياً في الحديقة. أحياناً، كانت اثنتان منهن يتحدثنّ سوياً، وفي أحايين أخرى يتحدثنّ سوياً بشكل ثنائي لساعاتٍ متواصلة، أو كن يجلسن عند أقدام آن ماري دون أن يتفوهن ببنتِ شفة. أما وجبات الطعام فكانت تتبع الأسلوب ذاته يومياً. كن يتناولن العشاء على أضواء الشموع، والشاي في الحديقة، حيث كانت الخادمتان تؤديان دوريهما في خدمة الفتيات العاريات الجالسات حول مائدة الطعام، بطريقة مضحكة بعض الشيء.

أما في المساء فكانت آن ماري تختار إحداهنَ لتشاركها الفراش، وأحياناً كانت تختار الفتاة ذاتها لعدة ليال. كانت تداعب الفتاة المختارة وتطلب منها أن تداعبها بدورها وذلك حتى حلول الفجر، ثم تغط في

Twitter: @ketab_n

النوم مباشرةً، وذلك بعد أن ترسل شريكتها إلى غرفتها. تلك الستائر الأرجوانية نصف المغلقة، كانت تحوّل الفجر إلى اللون البنفسجي. اعتادت يوفان أن تقول بأن آن ماري كانت جميلةً ومتعالية في تلقي المتعة، بقدر ما كانت جبارةً في طلباتها. لم يرها أحدٌ من الفتيات عاريةً مطلقةً، إذ كانت إما أن ترفع ثوب نومها الأبيض، أو تفتح أزراره بعض الشيء، لكنها لم تكن تخلعه أبداً. لم يكن لشعور اللذة الذي ينتابها في الليلة السابقة، أو لاختيارها لشريكتها في تلك الليلة، أي أثرٍ على قرارها في اليوم التالي، الذي كانت تتخذه دوماً بناءً على القرعة. ما أن تشير عقارب الساعة إلى الثالثة، كانت الكراسي تُجمع حول الطاولة المستديرة المصنوعة من الرخام الأبيض، تحت شجرة الزان، ثم تحضر آن ماري صندوق القطع المعدنية. تختار كل فتاة قطعة، وأياً كانت الفتاة التي تحصل على أقل قيمة، تؤخذ إلى غرفة الموسيقى حيث يشد وثاقها كما شد وثاق «او» في الليلة الأولى، ثم تطلب منها آن ماري أن تختار إحدى الكرتين اللتين تضعهما بين يديها، فإن اختارت السوداء فإنها تُجلد، وإن اختارت البيضاء تُعفى (ولكن ذلك لم يكن يشمل «او»، لأنها أعفيت من الأمر إلى حين مغادرتها). و لم تكن آن ماري تلجأ إلى الخداع، حتى وإن تطلب ذلك أن تجلد الفتاة ذاتها لعدة أيام متتالية، أو تعفيها من ذلك لعدة أيام. لذا، وقع العذاب على يوفانَ الصغيرة لأربعة أيام متتالية ذات مرة، فبدأت تنتحب وتصرخ منادية عشيقها. باعدت بين فخذيها اللذين كانت تغطيهما، كما صدرها، شبكة من الشرايين الخضراء المتقاطعة،فكشفت عن جلدها الزهري والمثقوب بالحلقة الحديدية، وقد بدا المشهد أكثر إثارةً للعجب لأن يوفان كانت تحلق تلك المنطقة تماماً.

Twitter: @ketab_n

– ولكن لماذا؟ أرادت «او» أن تعرف، لماذا تضعين الحلقة وأنت ترتدين سواراً على رقبتك؟

– يقول إنه يشعر أني أكثر عرياً بعد الحلاقة، وأعتقد أنه يريد استخدام الحلقة في تثبيتي وشد وثاقي.

كانت عينا يوفان الخضراوان ووجها المثلثي الشكل يذكران «او» بجاكلين، في كل مرة كانت تنظر إليها. ماذا لو قدمت جاكلين إلى رواسي؟ ذلك يعني أنها ستأتي إلى هنا عاجلاً أم آجلاً، وأنها ستُلقى على ظهرها ويشد وثاقها فوق هذه المنصة.

– لا، كانت «او» تقول دوماً، لا أريد ذلك، ولن أفعل شيئاً لإحضارها إلى هنا. لقد قلت الكثير سابقاً. جاكلين ليست من النوع الذي يُجلد أو يُحدد بإشاراتٍ دالة.

ولكن كم كان التعذيب المترافق بالجلد والأغلال يناسب يوفان. كم كان من الرائع سماعها وهي تتألم وتتأوه تحت وقع السوط، كان من الجميل مشاهدة جسدها يغرق في العرق، وكم كان انتزاع التأوهات والعرق منها أمراً مثيراً للمتعة. أعطت آن ماري السوط لـ «او» مرتين – وفي كلتا المرتين كانت ضحيتها يوفان – وطلبت منها أن تستخدمه. في المرة الأولى، وللوهلة الأولى شعرت «او» ببعض التردد، وكادت أن تتراجع حين سمعت صرختها الأولى، لكن حين عاودت الكرة وسمعت صرخات يوفان من جديد غمرها شعورٌ غريبٌ بالسعادة، و لم تستطع أن تمنع نفسها من الابتسام، وشعرت أنه يستحيل عليها أن تقاوم رغبتها أن تجلد يوفان بكل ما أوتيت من قوة. بعد أن انتهت بقيت إلى جوار يوفان طوال الوقت الذي كانت فيه معلّقة على تلك الشاكلة،

Twitter: @ketab_n

وعانقتها أكثر من مرة. بطريقة ما أو بأخرى، كانت تشبه يوفان بعض الشيء. إذ يمكن للمرء أن يشكّ بذلك حين يلحظ ما تظهره آن ماري من شعورٍ تجاه هاتين الاثنتين. هل كان صمت «او» وخضوعها ما جعلها مقربةً من آن ماري؟ لم تكد جراح «او» تتماثل للشفاء حين سمعت آن ماري تقول:

– كم يحزنني أني غير قادرة على جلدك، ربما حين تعودين ثانيةً، لن أتحدّث حول الأمر مجدداً الآن. سأجعل جسدك يتفتح كل يوم وفي أية مناسبة.

يومياً، حين يفكّ وثاق الفتاة التي كانت في غرفة الموسيقى كانت «او» تحل محلها إلى أن يحين موعد العشاء. كانت آن ماري على حق: خلال هاتين الساعتين لم تكن «او» تفكر بشيءٍ آخر سوى كونها قد فُتحت، وبالحلقة التي تتدلى منها (التي وضعت هناك) والتي ازدادت وزناً بعد أن عُلّقت فيها الحلقة الثانية. لم يكن في مقدورها أن تفكّر في شيءٍ سوى أنها مستعبدة، وبتلك العلامات الموجودة على جسدها الدالة على ذلك.

ذات ليلة عادت كلير برفقة كوليت من الحديقة، واقتربتا من «او» لتتفحصا جانبي الحلقات.

– هل كانت آن ماري هي من أحضرتك إلى رواسي؟ سألتها.

– لا، أجابت «او».

– أما أنا فقد أحضرتني آن ماري منذ عامين، وسوف أعود إلى هناك بعد غد.

Twitter: @ketab_n

– ألستِ ملكاً لأحدهم؟ قالت «او».

– كلير ملكي أنا، أجابت آن ماري التي ظهرت فجأةً. سيصل سيدك غداً، لذا فلتقضي هذه الليلة معي يا «او».

بدأ الليل الصيفي القصير يصبح شيئاً فشيئاً أكثر لمعاناً إلى أن بددت أشعة الشمس آخر أثر لنجم عند الرابعة صباحاً. كانت «او» مستلقيةً وساقاها متقاربتان فشعرتْ بيد آن ماري تباعد بين فخذيها. لم تكن آن ماري تريد شيئاً سوى أن توقظ «او» لتقوم تلك الأخيرة بمداعبتها. كانت عيناها تشعان تحت أثر الضوء الخافت، وشعرها الأسود الذي تتخلله بعض الخصل الرمادية قد ألقت به على الوسادة: بدا مجعداً بعض الشيء وقصيراً جداً، ما جعلها تبدو أشبه بفتىً نبيل في منفى بعيد، بدت كأنها شخصٌ حر شجاع. داعبت شفتا «او» قمتي نهديها القاسيتين، ولامست يدها برقة تجويف بطنها. فاستسلمت آن ماري مباشرةً، لكنها لم تستسلم لـ «او»، تلك اللذة التي جعلتها تفتح عينيها قدر الإمكان، والتي دفعتها لأن تحدّق في ضوء الفجر المتسلل، كانت لذةً مجهولة الاسم، لا يمنحها شخصٌ بعينه، والتي لم تكن «او» سوى مجرد أداة لتنفيذها. لم تعر اهتماماً لإعجاب «او» بجمال وجهها الذي كان ناعماً ولامعاً، وكأنه قد استعاد شبابه، ولا بسحر شفتيها اللاهثتين، لم تكترث إن كانت «او» قد سمعت تأوهاتها حين أمسكت الأخيرة بأسنانها وشفتيها ذلك الجزء من جسدها، الذي كان مخفياً في الشق الموجود في بطنها. كل ما فعلته هو أنها أمسكت بـ «او» من شعرها، ودفعت بها لتصبح أقرب إليها، و لم تفلتها سوى لتقول لها: ثانيةً، افعلي ذلك ثانيةً.

Twitter: @ketab_n

لقد أحبت «او» جاكلين بطريقة مماثلة، وكانت تحتضنها بين ذراعيها بخلاعة تامة. كانت تمتلكها، أو هذا ما ظنته «او». لكن التشابه في الإيماءات لا يعني شيئاً. لم تكن «او» تمتلك آن ماري. لا يمكن لأحد أن يمتلك آن ماري. كانت تطلب المداعبات دون أن تفكر بمشاعر الشخص الذي يداعبها، وكانت تستسلم له مبديةً بشكل ظاهر حريتها وتعاليها، ومع ذلك أظهرت لـ «او» كياسةً ولطفاً، وقبّلت شفتيها ونهديها، واحتضنتها لفترة تقارب الساعة، قبل أن ترسلها إلى غرفتها، بل وساعدتها على إزالة الحديد عن جسمها.

– هذه ساعاتك الأخيرة هنا، قالت لها، يمكنك أن تنامي دون حلقات الحديد. سوف نضع على جسدك قريباً علاماتٍ لن تكوني قادرةً على إزالتها مطلقاً.

بدأت تلامس بيدها مؤخرة «او» بلطف ولوقت طويل، ثم اصطحبتها إلى الغرفة التي تبّدل فيها آن ماري ملابسها عادةً، تلك هي الغرفة الوحيدة التي تحتوي مرآة ذات أوجه ثلاثة. فتحت المرآة لتتمكن «او» من رؤية نفسها.

– هذه هي المرة الأخيرة التي ترين فيها نفسك على هذه الحال. هنا، في هذه المنطقة الناعمة الدائرية، سنقوم بوسم الأحرف الأولى من اسم السيد ستيفن، على جانبي الشق المتوضع عند مؤخرتك، وقبل أن تغادرينا بيوم، سأحضرك إلى هنا ثانية، لتشاهدي نفسك في المرآة. لن تعرفي نفسك حينها. لكن السيد ستيفن على حق. اذهبي ونامي الآن يا «او».

كانت«او» قلقة وخائفة جداً، فلم تستطع النوم، وحين حضرت

Twitter: @ketab_n

يوفان عند الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي لتطلب منها المجيء وجدتها ترتجف، فساعدتها على الاستحمام وتصفيف شعرها، ووضع حمرة الشفاه. سمعت باب الحديقة يُفتح، كان السيد ستيفن قد حضر.

– تعالي الآن يا «او»، قالت يوفان، إنه في انتظارك.

كانت الشمس قد ارتفعت إلى كبد السماء، وبدت أوراق الأشجار ثابتةً وكأنها مصنوعةٌ من القصدير، إذ لم يكن هناكِ من نسمات تحرّكها، وكان الكلب مستلقياً أسفل الشجر، إذ أعياه الحر الشديد. ولأن الشمس لم تكن قد ابتعدت لتختبئ وراء أوراق الأشجار، فإن أشعتها كان تتسلل عبر الغصن الوحيد الذي كان يظلل الطاولة في هذه الساعة: وقد ظهرت بعضٌ من بقع الضوء اللامع والدافئ على غطاء الطاولة الرخامي. كان السيد ستيفن يقف إلى جوار الطاولة دونما حراك، وكانت آن ماري جالسةً إلى جانبه.

– «ها هي ذي»، قالت آن ماري عندما أحضرت يوفان «او» إليهما، يمكنك أن تضع الحلقات في أي مكانٍ تشاء، فقد قمنا بثقب جسدها.

ودون أن يجيب، أمسك السيد ستيفن «او» بكلتا ذراعيه، قبّل فمها، ورفعها، ثم ألقى بها على الطاولة. انحنى وقبّلها ثانيةً وداعب شعرها وحاجبيها، ثم استقام في وقفته وقال لآن ماري:

– الآن إن كنتِ لا تمانعين بذلك.

أحضرت آن ماري الصندوق الجلدي الذي كانت قد أحضرته معها

Twitter: @ketab_n

ووضعته على الكرسي، وأعطت الحلقات للسيد ستيفن، وقد نقش على كلٍ منها اسم «او» واسم السيد ستيفن.

- في أي وقت، قال السيد ستيفن.

رفعت يوفان ركبتي «او»، فشعرت بالحديد البارد يلامس جسدها حين وضعت آن ماري الحلقات في مكانها. ثم علّقت الحلقة الثانية بـالأولى، وكانت حريصةً على أن تكون الجهة المرصّعة بالذهب مقابلةً لفخذها،أما الجهة التي تحمل النقش الكتابي فكانت متجهةً إلى الداخل. كان النابض قاسياً، لذا لم يتمكّنوا من إدخاله كاملاً، فطلبوا من يوفان أن تذهب لتحضر مطرقة. بعد ذلك طلبوا من «او» أن تقف وتنحني ثم تباعد ساقيها على حافة اللوح الرخامي الذي استخدموه كسندان لتثبيت الحلقة الأولى، ثم وضعوا طرفي السلسة، بينما ضربوا النهاية الأخرى للمطرقة ليضعوا النابض في مكانه. كان السيد ستيفن ينظر إليها بصمت. حين انتهى الأمر، شكر آن ماري وساعد «او» على الوقوف، والتي أدركت حينها أن هذه الحلقات الحديدية أثقل بكثيرٍ من التي وضعتها خلال الأيام الماضية، ولكن هذه حلقات دائمة.

- والآن الرمز الخاص بك، صحيح؟ قالت آن ماري للسيد ستيفن.

هزّ السيد ستيفن رأسه موافقاً، وأمسك «او» من خصرها، إذ كانت تتعثر كأنها تكاد أن تقع. لم تكن ترتدي المشد الأسود، لكنه ساعدها على أن تحقق الشكل المرغوب، إذ بدا خصرها نحيلاً جداً، كأنها تكاد تنكسر، ما جعل ردفيها ونهديها يبدوان أكثر امتلاءً. بعد ذلك حمل السيد ستيفن «او» إلى غرفة الموسيقى، حيث كانت كوليت وكلير جالستين عند أسفل المنصة. وحين حضر الآخرون، وقفتا. كان

Twitter: @ketab_n

هنالك على المنصة فرنٌ واحد كبيرٌ ودائري الشكل. أخرجت آن ماري الأربطة من الخزانة وطلبت من الفتاتين أن تربطا «او» من خصرها وركبتيها، وكانت بطنها ملتصقة بأحد العمودين. كما ربطتا ساقيها ويديها. شعرت «او» بعد أن سيطر عليها الخوف بيد آن ماري تلامس مؤخرتها مشيرةً إلى المكان الذي يجب أن تُوسم فيه. سمعت صوت هفيف اللهب، وبعد أن سيطر الصمت تماماً سمعت صوت إغلاق النوافذ. لم يكن بإمكانها أن تجعلها تلتف وتشاهد ما يجري، لأنها لم تكن تمتلك الشجاعة لتفعل ذلك. جعلتها طعنة الألم المرعبة التي جرت عبر أوصالها تتسمر في مكانها، وانتزعت من بين شفتيها صرخةً قوية. لم تعلم أبداً من وضع قطعتي الحديد على مؤخرتها في الوقت ذاته،و لم تعلم كذلك من الذي بدأ العد ببطء من واحد حتى خمسة، ولا من أعطى الإشارة ليرفع الحديد عنها. وحين فكوا وثاقها، تهاوت «او» بين ذراعي آن ماري، وقبل أن يتحول كل شيء حولها إلى اللون الأسود وتفقد وعيها، لمحت بين موجتين من الظلام، وجه السيد ستيفن الذي كان شاحباً بشكلٍ مرّوع.

وقبل مضي شهر تموز بعشرة أيام، أعاد السيد ستيفن «او» إلى باريس. وبدأت الحلقات المعلّقة على الجانب الأيمن من بطنها، والتي تبين من خلال تلك الأحرف العريضة التي تحملها بأنها ملكيةٌ خاصة للسيد ستيفن، والتي كانت تتدلى لتغطي ثلث فخذها، تتأرجح إلى الأمام والخلف بين ساقيها مع كل خطوة تخطوها، وكأنها لسان جرس، ذلك لأن القرص المنقوش كان أثقل وزناً من القرص الآخر. أما العلامات التي وسمت بالنار والتي يبلغ طولها ثلاثة إنشات وعرضها نصف إنش، فقد بدت كأنها حُفرت على مؤخرتها بالمظفار،والتي بلغ عمقها حوالي

Twitter: @ketab_n

نصف إنش، لذا كان يمكن أن تظهر من خلال لمسة إصبع بسيطة. لقد منحت هذه العلامات التي وسمت بالنار «او» شعوراً بالفخر الجامح. لو كانت جاكلين هنا، كانت ستهرع باحثةً عنها لتطلعها عليها، بدلاً من أن تخفي عنها حقيقةً أنها تحملها، مثلما كانت في الماضي تحاول أن تخفي علامات السوط الذي كان السيد ستيفن قد استخدمه في ضربها قبل أن تغادر المكان. ولكن جاكلين لم تكن ستعود قبل مضي أسبوع، ورينيه لم يكن قد عاد بعد. خلال ذلك الأسبوع، أمر السيد ستيفن بخياطة عدة فساتين صيفية لـ «او»، كذلك عدة عباءات نوم من قماش خفيف. لم يكن يسمح لها أن ترتدي سوى نموذجين من الفساتين، لكنه كان يسمح لها أن تضيف على هذين النموذجين أي تعديلات تشاء: أما النموذج الأول فهو فستان له سحاب من الأمام ممتد من الرقبة حتى آخر الفستان (وكان لدى «او» عدة فساتين على تلك الشاكلة)، والثاني عبارةٌ عن تنورة كاملة يسهل رفعها، مع مشدٍ من الأعلى يصل حتى أسفل الصدر، ويمكن ارتداؤه مع سترة ذات قبة عالية. كل ما يتوجب على المرء فعله هو أن يزيل السترة وبذلك يظهر الكتفان والصدر، أو أن يفتح أزرار تلك السترة إن كان يرغب برؤية الثديين فقط. لم يكن من الممكن لها بالتأكيد ارتداء لباس سباحة، إذ ستتدلى الحلقات منه، لذا اقترح السيد ستيفن أن تسبح عاريةً في أي مكانٍ تتجه إليه. ولم يكن يُسمح لها كذلك بارتداء بنطال الشاطئ الواسع، لكن آن ماري التي اختارت بنفسها نموذجي الفساتين السابقة، والتي كانت تعلم كيف يحبّ السيد ستيفن أن يستخدم «او»، اقترحت تصميم بنطالٍ يتصل من الأمام ببلوزة، وله سحابٌ على كل جانب، وبذلك يتمكّن السيد ستيفن من إبعاد الجهة الخارجية للبنطال دون أن يضطر إلى إزالته كاملاً، إلا أنه رفض ذلك. صحيحٌ أن السيد ستيفن، وذلك حين لم يكن يتمكّن

Twitter: @ketab_n

من الوصول إلى فم «او»، كان يستخدمها كما يمكن أن يستخدم صبياً. تسنى لـ «او» فرصة أن تلحظ أنها حين تكون إلى جانبه، حتى وإن لم يكن راغباً بها، كان يحب أن يمسك بوبرها، ويشدها، ليشق بذلك طريقه. تلك المتعة التي كانت تشعر بها «او» حين تمسك جاكلين بطريقة مشابهة، وهي رطبةٌ حارة بين أصابعها المغلقة، كانت أكبر دليلٍ وضمانٍ على أن السيد ستيفن يستمتع بذلك. كانت تفهم لَمَ لم يكنْ يرغب أن يجد أي عائقٍ غريبٍ في طريق متعته.

لم تكن ترتدي قبعاتٍ، كما أنها لم تكن تضع مساحيق التجميل، و لم تكن تصفّف شعرها، وذلك جعلها تبدو وكأنها طفلةٌ مهذبة حين ترتدي تنانيرها الزرقاء والبيضاء، أو الرمادية والبيضاء التي إما أن تحمل نقوشاً على شاكلة خطوط أو دوائر كبيرة، وستراتها التي تصل أزرارها حتى أعلى الرقبة، أو تلك الفساتين الأكثر تحفظاً والمصنوعة من قماش النايلون الأسود. إلى أي مكانٍ كان يصطحبها إليه السيد ستيفن، كان الجميع يظنون أنها ابنته أو ابنةُ أخيه، خاصة أنه كان يناديها مستخدماً الطريقة الفرنسية غير الرسمية، في حين كانت تخاطبه مستخدمةً الأسلوب الفرنسي الرسمي. عندما كانا يتجولان في شوارع باريس ليتفحصا ما تعرضه المحال من بضائع، أو يسيران في الشوارع، حيث الحجارة مغبرةً لأن الطقس كان جافاً جداً، لم يظهرا أي استغراب حين يبتسم الناس لهما، كما يبتسم الناس عادةً للأشخاص السعداء. أحياناً كان السيد ستيفن يدفع بها إلى كراجٍ ما أو إلى مدخل بناء، حيث يكون المكان مظلماً بعض الشيء وعابقاً برائحة السراديب القديمة، ليقبّلها ويخبرها أنه يحبها، وحينها كانت «او» تثبت كعبها فوق عتبة المرآب التي كان منها باب المشاة الأصلي. لحظا أن هناك فناءً في الخلف،

Twitter: @ketab_n

وصفوفاً من الغسيل المعلّقة على النوافذ بانتظار أن تجف. استندت على إحدى الشرفات فتاةٌ شقراء وبدأت تحدّق بهما. تسللت قطةٌ بين أرجلهما. وهكذا كانا يمشيان في منطقة جوبلين،ليتجها بعدها إلى سان مارسيل، ويعبرا شارع موفتراد وصولاً إلى تلك المنطقة المعروفة باسم المعبد، ثم إلى الباستيل. ذات مرة اصطحبها السيد ستيفن فجأةً إلى أحد الفنادق المهترئة التي تشبه بيوت الدعارة، لكن موظف الاستقبال طلب منهما بدايةً ملء استمارة، ثم أخبرهما أن لا داعي لذلك إن كانا لن يمكثا أكثر من ساعة. كانت أوراق الجدران ذات لون أزرق تزيّنها بعض الزخارف الذهبية الكبيرة، وكانت الغرفة تطل على مكب للنفايات تنبعث منه رائحة الصفائح الكريهة. ورغم كون الضوء الأزرق الموجود فوق السرير ضعيفاً جداً، لم تكن ملاحظة بقايا مواد التجميل ودبابيس الشعر المنسية فوق رف الموقد أمراً صعباً. وتوضعت على السقف، فوق السرير مرآةٌ كبيرة. وفي حادثةٍ أخرى لم تكرر إطلاقاً، دعا السيد ستيفن «او» إلى الغداء مع اثنين من رفاقه اللذين جاءا في زيارةٍ إلى باريس. حضر إليها قبل ساعةٍ من أن تستعد، ولكن عوضاً من أي يصطحبها إلى منزله، اصطحبها إلى شارع بيتون.

كانت «او» قد انتهت من الاستحمام، لكنها لم تكن قد تزيّنت أو وضعت أياً من مواد التجميل، و لم تكن قد ارتدت ملابسها بعد. لاحظت أن السيد ستيفن كان يحمل حقيبة لعبة الغولف فشعرت بالاستغراب، إلا أن تلك الحقيبة لم تكن تحتوي أياً من عصي الغولف، وسرعان ما زال عنها الاستغراب حين طلب منها السيد ستيفن أن تفتح الحقيبة فوجدت فيها عدة سياط، كان اثنان منها سميكين ومصنوعين من الجلد الأحمر، وآخران أقل سماكةً وأكثر طولاً، لكنهما مصنوعان من الجلد الأخضر،

Twitter: @ketab_n

كما وجدت سوطاً آخر له عدة كرابيج خضراء جلدية، وسوطاً يستخدم في جلد الكلاب له كرباج واحد وحامل يشبه جديلة الشعر، وأساور تشبه تلك التي كانت تُستخدم في رواسي وبعض الحبال. وضعت «او» تلك الأشياء إلى جانب السرير غير المرّتب، وبالرغم من أنها قد اعتادت رؤيتها، وأنها شكّلت حولها الكثير من القرارات، وكانتت كما في كل مرةٍ ترى فيها السياط، ترتجف.

– أي واحد تفضلين؟ سألها السيد ستيفن.

لم تكن «او» قادرةً على الكلام، وبدأ العرق ينساب على ذراعيها.

– أي واحد تفضلين؟ أعاد السيد سؤاله. حسناً، قال بعد أن بقيت صامتة، عليك أولاً أن تساعديني.

طلب بعض المسامير، وبعد أن وجد طريقةً لترتيب السياط وعصوات الجلد بطريقة جميلة حيث جعلها تتقاطع، أطلع «او» على جزءٍ مكسوٍ بالخشب يفصل بين مرآتها وموقدها ويقع قبالة سريرها، وذلك سيكون مناسباً جداً بالنسبة لهما. دق المسامير في الخشب وعلق السياط عليها من خلال الحلقات التي في نهايتها، فذلك سيسهّل عليه عملية الوصول إليها وإرجاعها، ووضع الأساور والحبل، وهكذا، أصبح إلى جوار سرير «او» مجموعة أدوات تعذيب كاملةً. بدت المجموعة جميلة ومتناغمة تماماً، كما العجلة والأشواك الظاهرة في لوحة القديّسة كاثرين الشهيدة، وكذلك المسامير والمطرقة والسهم وإكليل الشوك، والحربة والسياط في لوحة الصلب. يتوجب عليها أن تجيب على سؤال السيد ستيفن: لكنها لم تفعل. لقد اختار بنفسه سوط الكلب.

Twitter: @ketab_n

في غرفة طعام صغيرة في مطعم لابيروز، الواقع على أرصفة الضفة الغربية، غرفة في الطابق الثالث، تزين جدرانها رسومات تشبه شخوص واتو بألوان الباستيل التي كانت تماثل ممثلي الدمى المتحركة. كانت «او» مستلقيةً على كنبة، وقد جلس على الكرسي الواقع إلى يمينها صديق السيد ستيفن، وعلى الكرسي الواقع إلى يسارها صديقه الآخر، في حين جلس السيد ستيفن قبالتها. تذّكرت على الفور أنها رأت أحد هذين الرجلين في رواسي، لكنها لم تذكر إن كانت قد استخدمت من قبله، أما الآخر فكان صبياً بشعر أحمر وعينين رماديتين، و لم يتجاوز من العمر خمسة وعشرين عاماً. أخبرهما السيد ستيفن بإيجاز لما طلب من «او» أن تكون معهم ومن تكون. أصاب «او» الذهول حين سمعت لغته القاسية، لكن كيف خيّل لها أن يتحدث عنها كما يتحدث عن عاهرة، خاصةً أنها جالسةً في مطعم وسط مجموعة من الرجال (إضافة إلى خدم المطعم الذين ما لبثوا يجيئون ويذهبون حيث أنهم كانوا يقدّمون اللحم) كان من الممكن لهم إزاحة صدّريتها وتعرية نهديها، ليروا الحلمتين اللتين أصلحتهما بأحمر الشفاه، وليشاهدوا من خلال تلك الشقوق الأرجوانية التي تغطي جسدها الناصع البياض أنها قد جلدت؟

استمرت الوجبة وقتاً طويلاً وقد احتسى الشابان الانجليزيان الكثير من الكحول، وأثناء تناول القهوة، وبعد أن قُدم الشراب، دفع السيد ستيفن الطاولة إلى الحائط المقابل، ورفع تنورة «او» ليري صديقاه علامات الوسم بالنار على جسد «او»، ثم تركها لهما.

ذلك الرجل الذي قابل «او» في رواسي سابقاً لم يضيع وقته معها: فمن دون أن ينهض عن كرسيه، ومن دون أن يلمسها البتة برؤوس

Twitter: @ketab_n

أصابعه، طلب منها أن تجلس أمامه على ركبتيها وتداعب عضوه حتى يقذف في فمها، ثم طلب منها أن ترّتب ملابسه وغادر المكان.

أما الصبي ذو الشعر الأحمر فقد أثّر فيه خضوع «او» واستسلامها إلى حد كبير، كما أثّر فيه ما كانت ترتديه من حديد، وما رآه من آثار السوطً على جسدها. أمسك يدها بدلاً من أن يرمي بنفسه فوقها كما كانت تتوقع ونزل معها الدرج،غير عابئ بنظرات وابتسامات الخدم، ثم أخذ سيارة أجرة واصطحبها إلى غرفة الفندق، و لم يتركها تغادر حتى حل الليل، بعد أن ولجها من الأمام والخلف مسبباً لها بعض الكدمات، لكونه يمتاز بحجم أكبر وصلابة جسدية، وكان مفتوناً تماماً بتلك الحرية التي مُنحت له فجأةً، ليخترق امرأةً من أي جهة يشاء، وليجعلها تعانقه كما رآها تؤمر أن تفعل منذ قليل (ذلك ما لم يكن يجرؤ أن يطلبه من غيرها في السابق).

وفي اليوم التالي، حين وصلت «او» إلى منزل السيد ستيفن عند الساعة الثانية كما طلب، وجدته شاحباً وأكبر سناً مما هو عليه في الحقيقة.

– وقع إيريك في غرامك يا «او». قال لها. لقد اتصل بي هذا الصباح ورجاني أن أمنحك حريتك. أخبرني أنه راغبٌ بالزواج بك. وأنه يريد أن ينقذك. أنت تعلمين كيف أعاملك حين تكونين ملكي يا «او»، أن تكوني ملكي فذلك يعني أن ليس من حقك أن ترفضي أوامري، ولكن يحق لك دوماً أن تختاري ألا تكوني ملكي، ذلك ما قلته له وسوف يأتي إلى هنا عند الساعة الثالثة.

– انفجرت «او» ضاحكة وقالت، ألم يتأخر الوقت؟ يبدو أنكما

Twitter: @ketab_n

مجنونان. إن لم يأت إيريك هذا الصباح، فما الذي كنت تنوي فعله بي مساءً؟ ربما كنا سنخرج لنمشي سويةً لبعض الوقت ولا شيء أكثر؟ حسناً لنخرج الآن، أو ربما لم تكن تنوي أن تدعوني إليك هذا المساء؟ إن كان هذا هو الحال سأغادر...

– لا، قال السيد ستيفن، كنت أنوي أن أدعوك ولكن لم أكن أريد أن نخرج سوياً، ما كنت أريده هو أن...

– هيا أخبرني بالأمر.

– تعالي معي، سوف أطلعك على الأمر.

نهض وفتح الباب في الجدار المقابل للموقد، بابٌ مطابقٌ لذلك الموجود في مكتبه.

لطالما اعتقدت «او» بأن ذلك الباب يودي إلى خزانة قديمة لم تعد تُستخدم. رأت غرفة صغيرة طليت حديثاً، وتزيّنها ستائر ذات لونٍ أحمر داكن. تشمل منصة دائرية الشكل يحيط بها عمودان في أكثر من نصف الغرفة، منصةٌ مماثلةٌ لتلك التي كانت في غرفة الموسيقى في ساموبس.

– تحت السقف والجدران بطانةٌ من الفلين، أليس كذلك؟ سألت «او»، والباب معزولٌ كذلك. وتلك نوافذ مزدوجة؟

هزّ السيد ستيفن رأسه موافقاً.

– لكن متى قمت بتحضير هذه الغرفة؟

Twitter: @ketab_n

– منذ أن عدتِ إلى هنا.

– لكن لماذا؟...

– لماذا انتظرت حتى هذا اليوم؟ لأني أردت في البداية أن أمنحك للرجال الآخرين. والآن سوف أعاقبك على ذلك. لم أعاقبك سابقاً يا «او».

– لكني ملكك، عاقبني، حين يحضر إيريك...

وبعد مضي ساعة، حين شاهد ذلك الشاب «او» معلقةً بين العمودين بتلك الطريقة البشعة، بساقين متباعدتين، شحب وجهه وقال بعض الكلمات غير المفهومة واختفى. توقعت «او» أنها لن تراه ثانيةً أبداً، لكنها صادفته في رواسي في نهاية شهر أيلول، وأجبرها أن تقضي معه ثلاثة أيامٍ متتالية، حيث اعتدى عليها بوحشية وأساء معاملتها.

Twitter: @ketab_n

-٣-

اليوم

عجزت «او» تماماً عن فهم سبب ترددها في إخبار جاكلين عما سماه رينيه «وضعها الحقيقي»، وتذكرت حينها أن آن ماري أخبرتها أنها ستتغير، عندما تغادر ساموبس، لكنها لم تتوقع البتة أن تغيّرها سيكون كبيراً إلى هذه الدرجة. عادت جاكلين وقد بدت أكثر إشراقاً وجمالاً من أي وقتٍ مضى، ذلك ما جعل «او» تفكّر أنه يتوجب عليها ألّا تخفي حقيقتها بعد الآن، حين تستحم أو تغيّر ملابسها، إلا أن جاكلين لم تكن تعير انتباهاً لشخصٍ آخر سوى ذاتها، لذلك لم تعرف شيئاً عن الأمر قبل مضي يوم على عودتها، حين صادفت «او» خارجة من حوض الاستحمام، فما كان من تلك الأخيرة سوى أن تضرب الأجراس بجدران الحمام محاولةً جذب انتباهها. استدارت جاكلين ورأت الأقراص معلقة بين ساقيها، والعلامات السوداء تجلل فخذيها ونهديها بشكل متصالب.

- ما الأمر بحق السماء؟ قالت لها.

إنه السيد ستيفن، أجابت «او»، مضيفة وكأنه أمرٌ في غاية البساطة: منحني رينيه له، فوضع هذه الحلقات في جسدي، انظري. بدأت

Twitter: @ketab_n

«او» تجفف نفسها بمنشفة الحمام، وتقترب من جاكلين التي أصابتها الدهشة، وسقطت على كرسي الحمام المطلي بالورنيش بشكل كافٍ يمكنها من الإمساك بالقرص بين يديها، لتقرأ ما كُتب عليه، ثمّ خلعت روب الحمام، وأدارت ظهرها لتطلعها على وسم الحرفين الأوليين (إس - إتش) على مؤخرتها.

- لقد قام وسم أحرفه الأولى أيضاً، أما بالنسبة للآثار الأخرى التي ترينها ظاهرةً على جسدي، فتلك آثار السوط. يقوم عادةً بجلدي بنفسه،و لديه أيضاً خادمةٌ زنجية تقوم بجلدي في بعض الأحيان.

حدّقت جاكلين بـ«او» مذهولة. فانفجرت الأخيرة ضاحكة، واقتربت منها محاولةً أن تقبّلها. فما كان من جاكلين سوى أن هربت إلى غرفتها مسرعة، وقد أصابها الهلع. أنهت «او» تجفيف نفسها وتعطّرت وصففت شعرها، ثم ارتدت مشدها وجوربيها وخفيها، وعندما فتحت باب الحمام رأت في المرآة انعكاس جاكلين، التي كانت تصفف شعرها، دون أن تكون مدركةً لما تفعل.

- هلا قمت بشد أربطة مشدي؟ تبدين مندهشةً حقاً. إن رينيه واقعٌ في حبك، فهل أخبرك بذلك؟

لست أفهم، قالت جاكلين، و لم تضيع ثانية واحدة، بل أخبرتها على الفور عن ما أثار دهشتها. «تبدين وكأنك فخورة بالأمر، ذلك ما لست أفهمه».

- ستفهمين ذلك بعد أن يصطحبك رينيه إلى رواسي. بالمناسبة، هل نمتِ معه؟

Twitter: @ketab_n

اعتلت وجه جاكلين حمرة شديدة، وكانت تهز رأسها ناكرة ذلك، بإيماءة تشي بالقليل من الإدانة، ما جعل «او» تنفجر ضاحكةً ثانيةً.

– أنت تكذبين يا عزيزتي. لا تكوني حمقاء. لديك الحق أن تنامي معه. وعلي أن أضيف أن ذلك ليس سبباً لتهجريني. اقتربي ودعيني أداعبك وسأخبرك عن رواسي أيضاً.

ربما كانت جاكلين تخشى أن تنفجر غيرة «او» في وجهها، ثم استسلمت لها بدافع الراحة، بينما لم يكن الأمر مريحاً، أم أن ما دفعها لذلك هو الفضول، هل رغبت أن تسمع التفسيرات الواعدة، أما أنها كانت تستمتع بمداعبتها الصبورة والبطيئة والمليئة بالشغف؟ أياً كان الحال، فقد استسلمت لطلب «او».

– أخبريني عن الأمر، قالت لاحقاً لـ «او».

حسناً، قالت «او». لكن قبّلي حلمتي صدري بدايةً. يجب أن تعتادي على مثل هذه الأمور، إن كنت تريدين أن تكوني ذات نفعٍ لـ رينيه.

فعلت جاكلين ما طُلب منها بمهارةٍ كبيرة حتى أن «او» أصدرت تنهيدةً قوية.

– فقالت لها: أخبريني عن الأمر.

صحيح أن «او» ذكرت القصة بتفاصيلها، و لم تكن بحاجة لذكر أية دلائل، لأن العلامات التي ظهرت على جسدها كانت الدليلَ الأكبر، ولكن جاكلين اعتبرت أن ذلك محض جنون.

Twitter: @ketab_n

– تقصدين أنك ستعودين إلى هناك في شهر أيلول؟ قالت جاكلين.

– حين نعود من ميدي ساصطحبك إلى هناك، أو ربما سيصطحبك رينيه. أجابتها «او».

– لأتفقد الحال هناك، لست أمانع، تابعت جاكلين، ولكن فقط لأتعرف على الحال هناك.

– أنا واثقةٌ أنه يمكن تدبر ذلك قالت «او». رغم أنها كانت تعلم تماماً أن تلك ليست الحقيقة. ولكنها ما برحت تفكر أنها في حال تمكّنت من إقناع جاكلين في أن تدخل رواسي، فسيكون السيد ستيفن ممتناً لها، وما إن تصبح في الداخل، سيكون هناك ما يكفي من الخدم والسلاسل والسياط لتتعلم كيف تطيع الأوامر.

كانت «او» تعلم كل شيءٍ حول المنزل الصيفي، الذي أستأجره السيد ستيفن في كان في الريفيرا، ذلك المنزل الذي كان من المخطط أن تقضي فيه شهر آب، برفقة كلٍ من رينيه وجاكلين (وأخت جاكلين الصغرى، التي طلبت جاكلين اصطحابها معهم، ليس لأنها راغبة بذلك، بل لأن والدتها ما برحت تطلب منها أن تحصل على إذن «او»)، كانت تعلم أن غرفتها– التي كانت واثقة بأنها سوف تنجح في أن تجذب إليها جاكلين، التي لن يكون بمقدورها أن ترفض دعوتها حين يكون رينيه مسافراً– مفصولة عن غرفة نوم السيد ستيفن بجدار كان يبدو حقيقاً، لكنه لم يكن كذلك، وكان مزيناً بإطار من طراز ترمبلوي،ما مكن السيد ستيفن في الحقيقة أن يرفع الستار، فيرى ويسمع كل ما يجول في غرفة «او»، كأنه واقف بجوار السرير. حينها ستكون جاكلين مستسلمة لنظرات السيد ستيفن بينما تداعبها «او»،

Twitter: @ketab_n

وعندما تكتشف ذلك، يكون الأوان قد فات. ملأت السعادة نفس «او» لكونها ستخون جاكلين، وذلك لأنها كانت قد شعرت بالإهانة، حين أبدت تلك الأخيرة استياءها من حال «او»، ومن كونها أَمَة تجلد وتُوسم بالنار، وهو حال وجدت فيه «او» مدعاة للفخر.

لم تزر «او» جنوب فرنسا سابقاً، وقد بدا كل شيءٍ بالنسبة لها جامداً وخالياً من الروح: السماء الزرقاء الصافية، والبحر الذي يشبه المرآة بشفافيته، وأوراق الصنوبر الثابتة تحت الشمس الحارقة. لا أشجار حقيقية، قالت لنفسها وهي تحدّق في الأدغال التي تملؤها الشجيرات الصغيرة، حيث كانت الأجواء عامة، وحتى نباتات الأشنة تضفي ملمساً حاراً عند ملامستها. ثم فكرت في خلدها، البحر لا يبدو وكأنه بحر حقيقي. ألقت لومها على البحر،لأنه لم يكن يغسل سوى بعض الأعشاب البحرية التي بدت وكأنها روث. ألقت لومها عليه لأنه كان شديد الزرقة ويضرب الضفة ذاتها دوماً. لكن منزل السيد ستيفن والذي كان أشبه بمنزل ريفي قديم قد تم تحسينه، كان بعيداً عن البحر. محاطاً من يساره ويمينه بجدران عالية تمنع الجيران من معرفة أي شيءٍ عن قاطنيه، وقبالة الفناء تجد غرفة الخدم، أمام الجزء الجانبي من المنزل المطل على الحديقة فيواجه الشرق، وهنا تقع غرفة «او»، التي تودي مباشرةً إلى الطابق الثاني حيث توجد الشرفة. تتقاطع قمم أشجار السرو مع قطع من الآجر المفرّغ الذي يشكّل الغطاء لتلك الشرفة، والتي كانت تقيها من أشعة الشمس شبكةٌ من الخيزران. ولون أرضية الشرفة أحمرٌ مماثلٌ للون البلاط الموجود في غرفة «او». وباستثناء ذلك الحائط الذي يفصل بين غرفة «او» وغرفة السيد ستيفن – كان هذا الحائط يحتوي تجويفاً كبيراً مقنطراً، ويفصله عن باقي الغرفة درابزينٌ مشابهٌ لذلك الموجود

Twitter: @ketab_n

عند السلالم، والمصنوع من الخشب المنحوت يدوياً- كانت جميع الجدران بيضاء، أما ذلك الغطاء السميك الذي كان يغطي الأرضية فكان مصنوعاً من القطن، وأما الستائر فكانت مصنوعة من الكتان الأصفر والأبيض. كانت هنالك أريكتان منجدتان بنفس القماش، وعليها وسائد شرقية ثلاثية الطبقات. أما قطعة الأثاث الوحيدة، فهي مكتبٌ ثقيلٌ من طراز ريجنسي مصنوعٌ من خشب الجوز، وطاولةٌ خشبية طويلة وضيقة طُليت بلون فاتح، ولُمعت بالشمع حتى ماثلت المرآة بشفافيتها. علّقت «او» ملابسها في الخزانة.

أما غرفة ناتالي شقيقة جاكلين الصغرى، فكانت مجاورة لغرفة «او»، وكانت ناتالي دوماً تلحق بـ «او» حين تغادر غرفتها في الصباح، لتستمع بحمام شمسي على الشرفة وتستلقي بجانبها. كانت بشرتها ناصعة البياضً كالثلجً، وجسدها ممتلئاً بعض الشيء، أما ملامحها فكانت دقيقة وناعمة، وعيناها مائلتان كعيني شقيقتها، إلا أن عيني ناتالي كانتا سوداوين ولامعتين، ذلك ما جعلها تبدو كفتاة صينية. وقد قُصّ شعرها الأسود بشكل مستقيم فوق جبينها مشكلاً غرة تصل حتى حاجبيها، كما أنه كان مستقيماً من الخلف أيضاً، ويصل حتى مؤخرة عنقها. كانت تمتاز بنهدين مكتنزين صغيرين، وقد بدأ وركاها الغضان بالامتلاء. التقت مصادفة بـ «او» وأخذتها على حين غرة، عندما صعدت إلى الشرفة ذات يوم متوقعة أن تجد شقيقتها، لكنها وجدت «او» عوضهاً عنها، كانت مستلقية على بطنها على الوسائد الشرقية. لكن العلامات التي صدمت جاكلين، أثار ت في نفس ناتالي الرغبة والحسد. فسألت جاكلين عن الأمر، فكررت لها قصة «او»، آملةً أن تنجح من خلال ذلك بأن تثير مشاعر التحول في نفس ناتالي الشابة،

Twitter: @ketab_n

ولكن ما حدث كان العكس تماماً. وقعت الأخيرة في حبّ «او». وأخفت ذلك الأمر لأكثر من أسبوع، ولكنها استطاعت في أصيل أحد أيام الأحد أن تنفرد بـ «او».

كان الطقس أكثر برودةً من المعتاد. استلقى رينيه الذي كان قد قضى معظم الصباح وهو يسبح، على أريكة غرفة معتدلة البرودة في الطابق السفلي. شعرت جاكلين بالغيظ حين علمت أن رينيه قد اختار أن يأخذ قيلولةً، فصعدت إلى الأعلى وانضمت إلى «او» في غرفتها. الشمس والبحر جعلاها تبدو أكثر إشراقاً من السابق، شعرها، وأهدابها، وحاجباها، والوبر السفلي، وإبطاها، كل ذلك بدا وكأنه مكسوٌ بطبقة من الفضة، ولأنها لم تكن تضع أياً من مساحيق التجميل، فقد بدا لون شفتيها زهرياً مماثلاً للون ذلك الجزء من جسدها القابع بين فخذيها.

لكي تتأكّد «او» أن باستطاعة السيد ستيفن رؤية أدق تفاصل جاكلين - فكرت في خلدها أنها لو كانت مكان جاكلين لشعرت أو لاحظت وجوده غير المرئي - حاولت «او» جاهدة أن تسحب ساقيها وتبقيهما متباعدتين تحت ضوء المصباح المتوضع بجوار السرير والذي أشعلته. كانت الستائر مغلقة، وبدت الغرفة مظلمة لا يخترقها سوى شعاع واه من الضوء الذي تسرّب من خلال بعض الشقوق الخشبية. ولمدة أكثر من ساعة تأوهت جاكلين لمداعبة «او»، وأخيراً، انتصب نهداها ورمت ذراعيها إلى خلف رأسها، في حين أمسكت بيديها بالقضبان الخشبية التي تزين اللوح الأمامي لسرير «او» المصمم على الطراز الإيطالي، بدأت حينها بالتأوه، عندما قامت «او» بمباعدة الشفتين السفلتين المكسوّتين ببعض الشعر، وببطء، بدأت تعض قطعة اللحم تلك المتوضعة بين فخذيها، حيث تقاربت الشفتان اللذيذتان

Twitter: @ketab_n

الطريتان. شعرت «او» أن جسد جاكلين قد أصبح حاراً وصلباً تحت لسانها، وأطلقت صرخات متتالية دون توقف، حتى شعرت بالارتخاء فجأة وانهمر ماؤها بلذة. أرسلتها «او» بعد ذلك إلى غرفتها حيث غطت في النوم. كانت جاكلين مستيقظة ومستعدة، حين جاء رينيه عند الخامسة ليصطحبها هي وناتالي في قارب صغير، فتلك كانت عادتهم حيث كانت تهب بعض الرياح في فترة ما بعض الظهيرة.

– أين ناتالي؟ سأل رينيه.

لم تكن ناتالي في غرفتها، كما أنهما لم يجداها في أي غرفة أخرى في المنزل. خرجا إلى الحديقة وناديا عليها. توغّل رينيه في الحديقة بعيداً حتى وصل إلى آخرها حيث تقع أشجار البلوط وناداها، لكنه لم يلق رداً.

– ربما تكون قد سبقتنا إلى الخليج، قال رينيه، أو ربما تنتظرنا في القارب.

غادرا المكان دون أن يناديا ثانيةً.

في تلك اللحظة ألقت «او» التي كانت تتمدد في الشرفة على الوسائد الشرقية نظرةً من الدرابزين، فرأت ناتالي تركض باتجاه المنزل. نهضت وارتدت ثوبها. كان الطقس ما يزال حاراً حتى في هذا الوقت المتأخر من الأصيل، لذلك كانت تجلس عارية، وبينما كانت تحاول أن تضع الحزام لتثبّت ثوب النوم، اندفعت ناتالي إلى داخل الغرفة كأي امرأة سليطة، وألقت نفسها فوق «او».

Twitter: @ketab_n

– لقد ذهبتْ، صرخت ناتالي، لقد ذهبت أخيراً. سمعتُها يا «او»، لقد سمعتكما. كنت أستمع إليكما من خلف الباب. أنتِ قبّلتها، وداعبتها. لم لا تقبليني وتداعبيني؟ هل لأني داكنة البشرة؟ هل لأني لست جميلة؟ إنها لا تحبك يا «او»، أما أنا فأحبك. ثم انهارت وبدأت تبكي.

– حسناً، قالت «او».

ثم هدّأت من روع الطفلة وأجلستها على الأريكة، وتناولت منديلاً من مكتبها(أحد مناديل السيد ستيفن)، وعندما خمدت تنهيدات ناتالي قليلاً، مسحت دموعها. ثم طلبت السماح من «او» وبدأت تقبّل يديها.

– وإن كنت لا ترغبين بتقبيلي يا «او»، أبقيني إلى جوارك دائماً. لو كان لديك كلبٌ، لكنتِ أبقيته إلى جوارك واعتنيت به. حتى لو لم تكوني راغبةً بتقبيلي، إن كنت تجدين متعةً بضربي فاضربيني، لكن لا تبعديني عنكِ.

– ممالكي أعصابك يا ناتالي، أنت لا تعلمين ماذا تقولين، همهمت «او» ذلك بصوتٍ هامس.

جلست الفتاة على الأرض وأمسكت بركبتي «او» وقالت هامسةً:

– بل أعلم جيداً. حين رأيتك عند الشرفة ذلك الصباح، رأيت وسم الأحرف الأولى، رأيت العلامات الزرقاء والسوداء الطويلة. وقد أخبرتني جاكلين...

Twitter: @ketab_n

– أخبرتك بماذا؟.

– أخبرتني عن المكان الذي ذهبت إليه يا «او» وما فعلوه بك هناك.

– هل أخبرتك عن رواسي؟

– وأخبرتني كذلك أنك كنت هناك وأنك..

– وأني ماذا؟

– أنك ترتدين تلك الحلقات الحديدية.

– هذا صحيح، قالت «او»، وما الذي أخبرتك به أيضاً؟

– أن السيد ستيفن يجلدك كل يوم.

– هذا صحيح، قالت «او»، وسيأتي إلى هنا في أي لحظة، لذا هيا اهربي يا ناتالي.

رفعت ناتالي رأسها دون حراك، فتلاقت نظرات «او» مع نظراتها المفعمة بالحب.

– علميني يا «او»، علميني أرجوكِ. بدأت تتحدث ثانية، أريد أن أكون مثلك. سأفعل أي أمرٍ تطلبينه مني. عديني بأنك ستصطحبيني معك عندما تعودين إلى ذلكَ المكان الذي أخبرتني عنه جاكلين.

– لا تزالين صغيرةً جداً، قالت «او».

– لا، لست صغيرة، إنني في الخامسة عشرة، وعلى وشك أن أبلغ

Twitter: @ketab_n

السادسة عشرة، قالت ذلك بغضب. لست صغيرةً جداً. اسألي السيد ستيفن، قالت ذلك مشيرةً إليه لكونه قد دخل الغرفة للتو.

مُنحت ناتالي الإذن لتبقى إلى جوار «او»، كما أنها وُعدت أن يصطحباها إلى رواسي. لكن السيد ستيفن حظّر على «او» أن تعلمها أياً من المداعبات، أو أن تقبّلها من شفتيها، كما أنه أصدر تعليمات صارمة تمنع «او» بأن تسمح لناتالي أن تقبّلها. كانت لديه النية أن تصل إلى رواسي دون أن تكون قد مستها الأيدي والشفاه. وكطريقة لتعويض رغبتها، وبما أن ناتالي كانت ترفض أن تبتعد عن «او» وأن تتركها لحظةً واحدة، فقد طلب منها أن تراقبها حين تداعب جاكلين أو تداعبه هو، وأن تكون حاضرة عندما تستسلم له «او»، وحين يجلدها، أو حين تجلدها خادمته نورا. كانت مداعبات وقُبل «او» لجاكلين تلقي في نفس ناتالي الكراهية والغيرة. لكن التمدد على السجادة في الغرفة الصغيرة عند أسفل سرير «او»، جعلها تبدو أشبه بدنيازاد التي كانت تقضي الليالي مستلقية عند أسفل سريـر شهرزاد، وكانت تراقب في كل مرة تُربط فيها «او» إلى درابزين السلّم الخشبي، وهي تتأوه ألماً وتتلوى تحت ضربات السوط، كانت تشاهد كيف تجلس «او» على ركبتيها بخنوع ليضع السيد ستيفن عضوه في فمها، ورأت كيف ينفرج فرجها وتتباعد مؤخرتها بكلتا اليدين، لتمنحه عبوراً إلى داخل الممر الخلفي. كانت تشاهد كل ذلك ولا ينتابها سوى مشاعر التوق والإعجاب والحسد.

وخلال تلك الفترة ذاتها حدث تغيير طارئ في نفس جاكلين: ربما كانت «او» تعتمد بشكلٍ مبالغ فيه على لا مبالاة جاكلين وعلى شهوانيتها، وربما جاكلين نفسها قد شعرتْ بأن الاستسلام كلياً لـ «او» سيشكّل خطراً على علاقتها مع رينيه، ولكن مهما يكن السبب، فقد توقفت فجأة عن

Twitter: @ketab_n

الذهاب إلى غرفة «او». وفي الوقت نفسه كانت تبقي نفسها منعزلة عن رينيه الذي كانت تقضي معه جميع الأيام والليالي. لم تكن تظهر له أنها واقعة في حبه. كانت تتفحصه ببرود، وعندما يفتر وجهها عن ابتسامة له، كان البرود لا يفارق عينيها. كانت هناك تخمينات بأنها قد هجرته تماماً مثلما هجرتْ «او»، ذلك ما دفع «او» إلى الاعتقاد أن هذا الخضوع غير حقيقي. بينما كان رينيه واقعاً في غرامها من رأسه حتى أخمص قدميه، خائر القوى من هذا الحب الذي لم يختبره سابقاً، حبٌ مُرهق ومتقلب، لا يعلم إن كان متبادلاً، حبٌ لم يتكون بدافع الخوف من الإهانة. كان يقطن المنزل ذاته الذي يقطنه كلٌ من «او» والسيد ستيفن، ويتناول طعام الغداء والعشاء، ويرافقهما في نزهاتهما، ويتجاذب معهما أطراف الحديث، لكنه لا يراهما، و لم يكن يسمع ما يقولانه. كان يرى ويسمع ويتحدث من خلالهما، كان يتجاوزهما، وكأنه في حلم يحاول جاهداً أن يلحق بقطار مغادر،أو يتمسك ببقايا جسرٍ يكاد أن يقع. كان يحاول أن يفهم سبب وجوده، والحقيقة التي لابد من أنها قابعة في مكان ما في نفس جاكلين، تحت بشرتها الذهبية، كآلية عمل الدمية الباكية.

– حسناً، فكرت «او» في خلدها، ذلك اليوم الذي كنت أخشاه قد اقترب. اليوم الذي سأصبح فيه مجرد ظلٍ في ذاكرة رينيه. ولكني لست حزينة أبداً. الشعور الوحيد الذي يساورني هو الشفقة تجاهه، ورغم معرفتي أنه لم يعد راغباً بي، يمكنني أن أراه كل يوم دون أن تجتاحني مشاعر المرارة، ودون أن أشعر بالألم. مع أني ومنذ بضعة أسابيع مضت هرعت راكضةً إلى مكتبه، لأتوسله أن يخبرني أنه لا زال يحبني. أكان ذلك كل حبي له، أهذا ما عناه؟ أكان حبي سريع الزوال والنسيان؟ أكان مجرد مُعز لي؟ حتى أن التعزية ليست بالكلمة المناسبة.

Twitter: @ketab_n

«أعتقد أن الكلمة التي تصف حالتي بشكلٍ دقيق هو أني: سعيدة. هل تقصدين ذلك بأنه كلما كان يتوجب عليه فعله هو أن يمنحني للسيد ستيفن لكي تختفي مشاعري تجاهه لتحل محلها وبكل سهولة مشاعري تجاه رجلٍ آخر؟».

لكن من كان رينيه مقارنةً بالسيد ستيفن؟ حبال من القش، قواعدٌ من الفلين، وسلاسل ورقية. تلك رموزٌ حقيقية للروابط التي جمعته بها، والتي بترها بسرعة. لكن كم تبعث هذه الحلقة الحديدية التي ثقبت الجسد، والتي تلقي بثقلها عليه إلى الأبد، شعوراً بالراحة والطمأنينة، هذه العلامة الأبدية، كم تبعث يدا ذلك السيد الذي يضعك على سريرٍ من الصخر، شعوراً بالسلام والطمأنينة، وكذلك حب ذلك السيد الذي يعرف كيف يحصل على ما يرغب فيه بقوة ودون شفقة. توصلت «او» إلى نتيجة نهائية فيما يخص علاقتها برينيه. وجدت أنها لم تكن سوى مبتدئة، لقد أحبته فقط لتتعلم كيف تمنح نفسها تماماً، وكيف تُستعبد من السيد ستيفن لاحقاً، لكن رؤيتها لرينيه والذي كان يفعل بها ما يشاء - وقد أحبت كونه يتصرف معها بحرية- يسير وكأنه أعرج، يسير وكأنه عالقٌ في بحيرةٍ مليئة بالماء والأعشاب، بحيرة تبدو هادئة على السطح، ولكن قاعها يضج بالتيارات العميقة الجارفة، كانت رؤيته على هذه الحالة تزيد من كراهيتها لجاكلين. هل تمكّن رينيه من معرفة مشاعر «او»؟ هل كشفت عن مشاعرها تلك دون وعي؟ أياً كان الحال، لقد ارتكبت خطأً.

ذات مساء، ذهبت برفقة جاكلين إلى كان، إلى أجد مصففي الشعر، ثم توجهتا لتناول المثلجات في إحدى الكافتيريات. بدت جاكلين رائعة، كانت ترتدي بنطالاً أسود ضيقاً وبلوزةً صيفية سوداء، حتى

Twitter: @ketab_n

أنها حجبت جمال وروعة الأطفال حولها. كانت ذات بشرة برونزية ناعمة، وبدت لامعة تحت أشعة الشمس الحارقة، متعجرفةً وبعيدة المنال. أخبرت «او» أنها على موعدٍ مع مسؤول الفيلم الذي كانت تصوّره في باريس، وأنها ستقابله في المقهى ليتفقا على المواعيد من أجل التقاط صورٍ لها في الخارج، ربما في جبال سان بول دي فنيس. كان في انتظارهما في المقهى وبدا صريحاً واثقاً و لم يكن بحاجة لأن يفتح فمه، إذ كان جلياً أنه كان واقعاً في غرام جاكلين. كل ما كان على المرء أن يفعله أن يلاحظ الطريقة التي ينظر بها إليها. وما الذي يثير العجب في ذلك؟ لا شيء، ما كانت تثير العجب حقاً هي جاكلين نفسها. استلقت بعض الشيء على مقعد الشاطئ الذي يمكن تعديله، وبدأت تستمع إليه وهو يتحدث عن تحديد المواعيد والأماكن المناسبة، وعن المشاكل المتعلقة بجمع مال يكفي لإنهاء الفيلم، الذي لم ينتهوا من تصوير نصفه بعد. كان يخاطب جاكلين بالطريقة الفرنسية غير الرسمية، وكانت تجيبه بأن تخفض رأسها موافقة، أو ترفعه رافضة بعينين نصف مغلقتين. كانت «او» تجلس قبالتها وكان هو يجلس بينهما. لم يكن من الصعب ملاحظة أن جاكلين التي خفضت عينيها، كانت تراقب من خلف جفنيها، آثار ما تثيره من رغبةٍ في نفس ذلك الشاب: إنها تفعل ذلك دوماً حين تعتقد أن أحداً لا يراقبها. لكن الأمر المثير للعجب بحق أنها بدت مستاءةً جداً، وضعت يديها على جانبيها، و لم يظهر على وجهها الذي بدا غايةً في الجدية أي تعبير، و لم يظهر حتى شبح ابتسامة، وذلك ما لم يحدث سابقاً في حضرة رينيه. تلك الابتسامة العابرة، التي لا تكاد تُرى على شفتيها، والتي لحظتها «او» حين انحنت إلى الأمام لتضع كأس الماء المثّلج الخاص بها على الطاولة فتقابلت نظراتهما، ذلك كان كل ما تحتاجه «او» لتعرف أن جاكلين

Twitter: @ketab_n

أدركت أن ثمة لغزاً في الأمر. لم يزعج ذلك جاكلين، إلا أن وجنتي «او» توردتا من الخجل.

– هل تشعرين بالحر؟ قالت جاكلين، سنغادر خلال خمس دقائق. إن اللون الأحمر يناسبك.

ثم ابتسمت ثانيةً، وأدارت وجهها لتلتقي نظراتها بنظرات محاورها، وابتسمت ابتسامةً دافئة ورقيقة، حتى يخيّل للمرء أنه من المستحيل له ألا يعانقها حين يراها لكنه لم يفعل. كان فتياً ويصعب عليه أن يعرف أن ذلك الجمود والصمت ليس سوى غطاء يخبئ ما في النفس من وقاحة. ساعد جاكلين على النهوض وصافحها مودعاً. ربما تتصل به. ودع الظل الذي مثلته له «او»، ووقف على الرصيف يراقب سيارة البويك السوداء تختفي خلف البيوت التي تلتمع تحت أشعة الشمس الغاربة، وخلف البحر الأسود الذي بدا أرجوانياً بعض الشيء. بدت أشجار النخيل جامدة وكأنها مصنوعة من حديد، وبدا المتجولون في الطرقات كأنهم تماثيل شمعية مشكّلة على نحوٍ سيء، تحرّكها آليةٌ قديمةٌ سخيفة.

– هل يعجبك إلى هذا الحد؟ قالت «او» لجاكلين حين غادرت السيارة المدينة وانطلقت تعبر الشارع العلوي الساحلي.

– وهل هذا من شأنك؟ أجابت جاكلين.

– لكن الأمر يهمّ رينيه، قالت «او».

– وما دخل رينيه والسيد ستيفن في الأمر، وإن كنتُ قد فهمت الوضع جيداً، فكنتِ تجلسين بشكل خاطئ؟ ستفسدين ثوبك.

Twitter: @ketab_n

لم تتمكّن «او» من الحراك.

- وكنت أعتقد أنه لا يُسمح لك بأن تضعي ساقاً فوق ساق. أضافت جاكلين.

ولكن «او» لم تكن تصغي إليها. ولماذا تهتم بتلك التهديدات التي وجهتها إليها جاكلين؟ إن هددتها بأنها ستخبر عن هفوتها تلك، فما الذي يمنعها هي من أن تخبر رينيه عما فعلته جاكلين؟ لم يكن ينقصها الدافع والرغبة لفعل ذلك. ولكن رينيه لن يحتمل تلك الأخبار، ولن يحتمل حقيقة أن جاكلين تكذب عليه، وأن لديها خططاً لا تشمله،. كيف يمكن لها أن تجعل جاكلين تفهم أنها لن تخبره بالأمر لتتجنب رؤيته يفقد ماء وجهه، وحتى لا تراه شاحباً بسبب شخص آخر سواها، ربما سيكشف ذلك حقيقة أنه ضعيف جداً وعاجزٌ عن معاقبتها. هل يمكن لها أن تقنعها أن سبب صمتها الأقوى، هو أنها تخشى أن يصبّ رينيه جام غضبه عليها هي، لكونها الواشية حاملة الأخبار السيئة؟ كيف يمكن لها أن تخبر جاكلين أنها لن تتفوه بكلمة واحدة، دون أن تعطيها ذلك الانطباع بأنها تعقد معها صفقة عدم خيانة متبادلة؟ إذ أن جاكلين كانت تعتقد أن «او» ترتجف خوفاً خشية أن تشيَ بها. منذ تلك اللحظة وحتى خروجهما من السيارة في فناء المزرعة القديمة لم تتحدثا سوياً البتة، ودون أن تنظر إلى «او»، قطفت جاكلين زهرة إبرة الراعي البيضاء التي نبتت في الحديقة. كانت «او» تسير خلفها على مسافة قريبة، واستطاعت أن تشمّ العبق القوي لتلك الرائحةالناعمة المنبعثة من الأوراق المتفتتة بين يدي جاكلين. هل حقاً كانت تعتقد أنه يمكنها بذلك أن تتخلص من رائحة العرق الذي علق بكنزتها، وشكل دوائر غامقة اللون تحت ذراعي سترتها، وتسبب أن تعلق تلك المادة السوداء

Twitter: @ketab_n

تحت إبطيها؟ في تلك الغرفة البيضاء الكبيرة ذات البلاط الأحمر كان رينيه يجلس وحيداً.

– لقد تأخرتما. السيد ستيفن ينتظرك في الغرفة المجاورة، قال ذلك مشيراً إلى «او»، إنه يريد منك شيئاً ما ولا يبدو أنه في مزاجٍ جيد.

انفجرت جاكلين ضاحكة، فنظرت إليها «او» واحمرت وجنتاها غضباً.

– يمكنك تأجيل ذلك إلى وقتٍ لاحق، قال رينيه، مقاطعاً بذلك ضحكة جاكلين وقلق «او».

– ليس ذلك ما أضحكني، قالت جاكلين، لكني أود أن أعلمك أن جميلتك المطيعة لا تطيع أوامرك في غيابك، انظر إلى ثوبها، هل ترى كيف أفسدته؟

كانت «او» تقف في منتصف الغرفة قبالة رينيه. طلب منها أن تستدير، لكنها لم تتحرك.

– وقد وضعت ساقيها بشكل متصالب، لكنك لن تستطيع رؤية ذلك، أضافت جاكلين، كما أنه لن يكون في مقدورك رؤية كيف دنت من الصبية.

– هذا ليس صحيحاً! صرخت «او»، أنت من فعل ذلك! وقفزت لتقترب من جاكلين!.

أمسك بها رينيه ليمنعها من أن تضرب جاكلين، فبدأت تقاوم

Twitter: @ketab_n

بين ذراعيه لتشعر أنها أضعف منه، وأنها تحت رحمته، وحين رفعت رأسها وجدت السيد ستيفن يقف عند مدخل الغرفة وينظر إليها. رمت جاكلين بنفسها على الكنبة،وقد تيبس وجهها الصغير لما علته من أمارات غضبٍ وخوف، ورغم أن رينيه كان يحاول تهدئة «او» بكلتا يديه فإنها شعرت أنه لم يكن يهمّه أحدٌ سوى جاكلين. توقفت عن المقاومة وأصابتها الكآبة لأن السيد ستيفن وجدها ضعيفة هناك، وقالت بصوتٍ خفيضٍ هذه المرة:

– هذا ليس صحيحاً، أقسم إن ذلك ليس صحيحاً.

دون أن ينطق بكلمة، أو أن يعير جاكلين أي انتباه، أشار السيد ستيفن إلى رينيه وطلب منه أن يترك «او»، وأن تلحق به إلى الغرفة الأخرى. على الجانب الآخر من الباب، بدأت «او»، التي أُسندت فوراً على الحائط، والتي أمسك السيد ستيفن ببطنها وصدرها، وأجبرها أن تفتح فمها بلسانه الملحاح، تتأوه لشعورها بالسعادة والخلاص. بدأت قمتا صدرها تتيبسان تحت أثر مداعبات يده، وأخذ يجس بيده الأخرى عضوها الأنثوي بقوة، فشعرت أنه يكاد أن يُغمى عليها. هل تجرؤ أن تخبره أن لا سعادة، ولا متعة، ولا حتى إبداعات خيالها، يمكن أن تتسبب لها بسعادة مكافئة لتلك التي تشعر بها حين يستخدمها بحرية كيفما شاء، لا سعادةً تعادل ما تمنحها فكرة أنه يمكن له أن يفعل بها أيَ شيء، إذ لم يكن هناك من حدود وقيود لبحثه عن المتعة فوق جسدها. ثقتها الأكيدة أنه حين يلمسها إما ليداعبها أو يجلدها، أو حين يطلب منها أن تقوم بأمرٍ فقط لأنه يريد ذلك، وأنه لا يهتم سوى برغبته الشخصية، تلك الثقة كانت تجتاح «او» وتمنحها شعوراً بالرضى،لذا كانت في كل مرةٍ ترى دليلاً يؤكد لها ثقتها، بل في كل مرةٍ تخطر تلك

Twitter: @ketab_n

الفكرة في بالها، كانت تشعر بنارٍ مشتعلة، وكأن درعاً محترقاً يمتد من كتفيها حتى ركبتيها، ويغطي كامل جسدها. وفيما كانت هناك مثّبتةً على الحائط مغمضة العينين، همست «أحبك» وذلك حين التقطت أنفاسها لتنطق بتلك الكلمات، ويدا السيد ستيفن اللتان كانتا باردتين جداً كينبوع ثائر، مقارنةً مع تلك النار التي كانت تجتاحها من رأسها وحتى أخمص قدميها، جعلتاها تشعر بحرارة أكبر. أطلق سراحها بلطف، ووضع تنورتها فوق فخذيها المبتلين، وأغلق أزرار سترتها فوق نهديها المرتجفين.

– تعالي، يا «او»، أريدك في أمرٍ ضروري.

فتحت «او» عينيها وأصابتها الدهشة حين رأت أنهما لم يكونا بمفردهما. يوجد في آخر هذه الغرفة البيضاء الكبيرة الخالية، التي تشبه غرفة المعيشة إلى حد كبير، بابٌ فرنسي يؤدي إلى الحديقة. وفي تلك الحديقة، على الترّاس الذي يقع بين المنزل والحديقة، على كرسي مصنوعٍ من الخيزران جلس رجلٌ ضخم الجثة، حليق الرأس، واضعاً سيجارةً بين شفتيه، وقد تدلى كرشه الضخم تحت قميصه المفتوح وبنطاله القماشي. كان يحدّق في «او». اقترب من السيد ستيفن الذي كان يدفع «او» أمامه، فلاحظت حينها أن إشارة رواسي كانت تتدلى من أسفل سلسلة ساعة يده. قدّمه السيد ستيفن بلطف إلى «او» مشيراً إليه بكلمة رفيق فقط، دون أن يذكر اسمه أو أي شيءٍ آخر. ما أثار دهشة «او» أن الرجل الغريب قبّل يدها، فهذا لم يحدث سابقاً منذ أن انضمت إلى رواسي (لم يفعل أحدٌ ذلك سوى السيد ستيفن). انتقل ثلاثتهم إلى الغرفة وتركوا الباب مفتوحاً. مشى السيد ستيفن إلى أحد طرفي الموقد وقرع الجرس. رأت «او» أنه يوجد على الطاولة ذات الطراز الصيني

Twitter: @ketab_n

زجاجة من الويسكي، وبعضٌ من ماء الصودا والكؤوس، فأدركت أنه لم يكن يطلب الشراب. جلس الرجل القادم من رواسي على كرسي الخيزران، واتكأ السيد ستيفن على الطاولة المستديرة مدلياً إحدى ساقيه، أما «او» التي طُلب منها أن تجلس على الأريكة، فإنها رفعت تنورتها بخضوع، فشعرت بوخز القطن الموجود في النسيج البروفانسي المستخدم في تنجيد الأريكة. كانت نورا هي من حضر.، فطلب منها السيد ستيفن أن تزيل عن «او» جميع ملابسها وتخرجها من الغرفة. سمحت «او» لها أن تخلع سترتها وفستانها والحزام المحيط بخصرها، وصندلها. حالما أصبحت «او» عاريةً تماماً، وما إن غادرت نورا، حتى اقتربت الأولى وبشكلٍ أتوماتيكي، مستذكرةً تعاليم رواسي، مدركة أن ما يريده منها السيد ستيفن هو إظهار الخضوع التام، اقتربت لتبقى واقفةً في منتصف الغرفة بعينين منخفضتين، وهكذا أحست دون أن ترى، أن ناتالي تتسلل من النافذة مرتديةً الأسود كشقيقتها، حافية القدمين، صامتة. لا شك أن السيد ستيفن شرح للزائر من تكون ناتالي وما هو سبب وجوده، وبالكاد ذكر اسمها للزائر، الذي بادره برد على ذلك، وطلب أن تعد لهما كأسين من الكحول. وما إن قدمت لهما الويسكي، والصودا، والماء، ومكعبات الثلج (وفي ذلك الصمت، بدا الصوت التي تصدره مكعبات الثلج عند ارتطامها بأطراف الكأس مروعاً) نهض الرفيق من كرسي الخيزران الذي كان يجلس عليه، حين كانت «او» تخلع ملابسها، ومشى إليها حاملاً كأسه بيده. توقعت «او» أن يمسك بيده الطليقة نهديها أو بطنها، لكنه لم يفعل، بل اكتفى أن يتفحّصها عن قرب، من شفتيها المتباعدتين حتى ركبتيها المتباعدتين. أخذ يدور حولها ويتفحَص بنظراته صدرها وفخذيها ومؤخرتها وكل جزءٍ من جسدها، دون أن يتفوه بكلمة واحدة. هذا التفحّص الحذر،

Twitter: @ketab_n

وتواجد ذلك الجسد الضخم إلى جوارها، غمرا «او» بشعورٍ غريب، حتى أنها لم تكن تعلم فيما إذا كانت راغبة أن تهرب بعيداً، أو أن يلقي بجسده فوقها ويحطمها. شعرت بانزعاج كبير، وفقدت سيطرتها على نفسها، فرفعت عينيها ونظرت إلى السيدً ستيفن باحثةً عن مساعدته. فهم ما يحدث، وابتسم واقترب منها ثم وضع يديها خلف ظهرها وأمسك بهما بإحدى يديه. انحنت «او» إلى الخلف وشعرت كأنها في حلم، أو على الأقل في شبه نوم ناتج عن إرهاق، كما سمعت عندما كانت صغيرة في المستشفى، وكانتً لاً تزال تحتً أثر المنوّم، الممرضات يتحدثنّ عنها، معتقداتٍ أنها لا زالت نائمةً، كن يتحدثنّ عن شعرها وشحوبها، وبطنها المسطح الذي بدأت تظهر عليه علامات البلوغ للتو. شعرت بأن الزائر يمدحها أمام السيد ستيفن في حلم كذلك، ويعبّر عن مدى إعجابه بصدرها الممتلئ الذي يبرزه خصرهاً النحيل، وبتلك الأغلال التي بدت أطول وأكثر سماكةً من المعتاد. في الوقت ذاته، فهمت «او» بأن السيد ستيفن وافق وبكل تأكيدٍ على أن يعيرها للزائر خلال الأسبوع القادم، فقد كان الأخير يشكر السيد ستيفن على أمرٍ ما، وحينها قام الأخير بإمساكها من رقبتها وطلب منها بلطفٍ، أن تستفيق وتصعد إلى الأعلى برفقة ناتالي، وتنتظر في الغرفة.

هل كانت تملك السبب الكافي لتغضب، أو لتستاء من ناتالي، التي كانت مبتهجة لأن هناك احتمال أن يقوم شخصٌ آخر سوى السيد ستيفن بفتح جسد «او»، وبدأت تؤدي رقصةً أشبه ما تكون برقصة هندية صاخبة حول «او» وتسألها:

– هل تعتقدين بأنه سوف يضع عضوه في فمك يا «او»؟ كان يتوجب عليك أن تري كيف كان يتفحّص فمك. أوه، كم أنت محظوظة

Twitter: @ketab_n

لأنك مرغوبة إلى هذه الدرجة!، أنا واثقةٌ أنه سيجلدك. لقد تفحّص علامات الجلد هنا فوق جسدك أكثر من ثلاث مرات. على الأقل لن تفكري بجاكلين حينها!

– إني لا أفكر بجاكلين طوال الوقت أيتها الحمقاء الغبية. أجابت «او».

– لا، لستُ حمقاء، ولستُ غبية، ولكني أعلم جيداً كم تشتاقين إليها، أجابت الفتاة.

ذلك صحيح، ولكن ليس تماماً.، ما كانت تشتاقه «او» لم يكن جاكلين، ليس تماماً، بل كانت تشتاق لاستخدامها لجسد فتاة، دونما قيودٍ أو حدود. لو لم يصّرح لها بأن ناتالي ممنوعةٌ عنها، لكانت قد داعبتها الآن. الحقيقة أن السبب الوحيد الذي منعها بأن تخالف تلك القوانين، هو أنها كانت واثقةً بأن ناتالي ستُمنح لها في رواسي بعد مضي عدة أسابيع من الآن، وأنه قبل ذلك الوقت بقليل، ستُسلّم ناتالي في حضرتها، ومن قبلها، وبفضلها. كانت تتشوق إلى كسر ذلك الحاجز من الهواء، من الفراغ، ومن... لنضع الكلمة الصحيحة، من اللاشيء، الذي يفصل بينها وبين ناتالي، ولكنها كانت في الوقت ذاته سعيدةً بهذا الانتظار الذي فُرض عليها، قالت ذلك لناتالي التي رفضت أن تصدّقها واكتفت أن تومئ برأسها قائلة:

– لو كانت جاكلين هنا وكانت راغبةً لقمتِ بمداعبتها.

– بالطبع كنت سأفعل ذلك، أجابت «او» ضاحكةً.

Twitter: @ketab_n

- هل رأيت؟ صرخت الفتاة.

كيف كان في مقدورها أن تشرح لها - وهل كان يستحق الأمر كل ذلك الجهد؟ - أن الأمر لم يتعلّق كثيراً بكونها واقعة في حب جاكلين، أو في حب ناتالي كذلك، أو أي فتاة أخرى على وجه الخصوص، وأن كل ما في الأمر يتلخّص بكونها تحبّ الفتيات، الفتيات بشكلٍ عام - بتلك الطريقة التي يمكن من خلالها للإنسان أن يحب صورته - ولكنها كانت دوماً تعتقد أن بقية الفتيات أكثر جمالاً وإثارةً للرغبة منها. تلك المتعة التي كانت تشعر بها حين ترى فتاة تلهث حين تداعبها، وحين تراها مغمضة العينين وقد تيبست حلمتا نهديها بين شفتيها وأسنانها، متعة اكتشافها من الأمام والخلف وهي تتلمسها بيديها، ومن تيبس جسدها بين أصابعها، فتتنهد الفتاة بعدها وتتأوه، تلك المتعة كانت أكثر مما تستطيع احتماله، وإن كان ما تشعر به من متعةٍ عظيماً، فإن السبب يعود في كون ذلك يجعلها مدركةً لما تشعر به من متعة،حين يصبح جسدها قاسياً تحت أثر لمسات من يحضنها، حين تتأوه وتتنهد، ولكن هنا فرقٌ واحدٌ في حالتها، وهو أنه لا يمكن أن يخيّل لها أن تُمنح لفتاة، كما مُنحت تلك الفتاة لها، بل لرجلٍ فقط. وعلاوةً على ذلك، كانت تشعر بأن الفتيات اللواتي تداعبهنّ يخصن كذلك الرجل الذي يملكها، وأنها حاضرةٌ كوكيل عنه فقط. لو دخل السيد ستيفن مثلاً غرفتها في أحد تلك المساءات التي كانت فيها جاكلين معتادةً أن تقضيها بجوارها، ووجدها تداعبها، لمدت فخذيها، وأبقتهما مبتاعدين، دون أن تشعر بأي من تأنيب الضمير، بل على العكس كانت ستجد في ذلك متعةً كبيرة، إن كان يسعد السيد ستيفن أن يأخذها بدلاً من أن يكتفي بالتحديق بها من خلال الحائط المجوّف. كانت ماهرةً في الصيد،

Twitter: @ketab_n

وكانت أقرب ما تكون إلى طائرٍ مفترس بطبيعتها، والذي يهزم الفريسة دوماً ويحضرها إلى الصيّاد، وبمناسبة الحديث عن الصياد، وفي تلك اللحظة بالذات،حين بدأت نبضات قلبها تتسارع، وهي تفكر بشفتي جاكلين المخبئتين أسفل زغبها الناعم، واللتين تمتازان بلونٍ ورديٍ جميل ومذاقٍ طيب، وتلك الحلقة الوردية المثبتة بين طرفي مؤخرتها، والتي تجرأت على اقتحامها ثلاث مراتٍ فقط، سمعت السيد ستيفن يتحرّك في غرفته. كانت تعلم بأنه يستطيع رؤيتها في حين لم يكن في مقدورها أن تراه، ولذا شعرت مرةً ثانية بأنها محظوظةٌ لأنها أبداً أسيرة هاتين العينين اللتين تحيطان بكل شيء. كانت ناتالي الصغيرة جالسةً على السجادة البيضاء الموجودة في منتصف الغرفة، وبدت كأنها حشرةٌ في كوب من الحليب، في حين كانت «او» تقف بجوار المكتب الضخم الذي كانت تستخدمه كذلك كطاولةٍ للزينة، وكانت قادرةً على أن ترى نفسها من رأسها وحتى خصرها، في المرآة العتيقة المائلة إلى الخضرة، والتي كانت كأنها تموجاتٍ في بركة ماء، فبدت وكأنها إحدى لوحات نساء القرن التاسع عشر، اللواتي كنّ يتجولن عاريات في غرفٍ ذات ضوءٍ خافت، مع أننا في منتصف فصل الصيف.

عندما دفع السيد ستيفن الباب، استدارت فجأةً، فاصطدمت إحدى الحلقات الحديدية بين ساقيها بمقابض المكتب البرونزية، الذي كانت تستند عليه، وأصدرت صوتاً قوياً.

– ناتالي، انزلي وأحضري الصندوق الكرتوني الأبيض الموجود أمام غرفة الجلوس. قال السيد ستيفن.

وحين عادت ناتالي، وضعت الصندوق أسفل السرير، وفتحته،

Twitter: @ketab_n

وبدأت تفرغ الأشياء الموجودة في داخله واحداً تلو الآخر، وتزيل عنها الورق الذي كان يغلّفها ثم تسلّمها للسيد ستيفن. لم يكن في داخله سوى أقنعة، مزيجٌ بين غطاء الرأس والقناع، كان جلياً أنها صُنعت لتغطي الوجه بكامله ما عدا الفم والذقن وفتحتي العينين بالطبع. باشقٌ شمالي، صقرٌ، بومة، ذئبٌ، أسدٌ، وثور: لم يكن هناك من شيءٍ آخر سوى أقنعة الحيوانات، والتي صُممت بما يتناسب وحجم رأس الإنسان، وكانت جميعها مصنوعةً من الفرو والريش الحقيقي، وكان يوجد فوق العين رموشٌ في حال كان الحيوان الحقيقي الذي تمثّله يمتلك رموشاً (كما في حال الأسد)، وينسدل الجلد أو الريش ليغطي كتفي الشخص الذي يرتديها. لكي يثبت القناع بشكلٍ مريح فوق الشفة العليا، (كان هناك فتحتان للتنفس عند منطقة الأنف)، وعلى الخدين، كل ما كان يتوجب على المرء القيام به هو تعديل الشريط الرخو بعض الشيء والمخفي داخل هذا الشيء الأشبه بالغفّارة، والذي يتدلى من الخلف. يساعد إطارٌ مصنوعٌ من الورق المقوّى وموضوع بين الوجه الخارجي والحشوة الداخلية للجلد، في الحفاظ على شكل القناع ثابتاً متماسكاً. وأمام المرآة التي تظهر الجسد بكامله، جرّبت «او» كل واحدٍ من تلك الأقنعة. كان أكثرها لفتاً للأنظار، والذي شعرت بأنه غيّر شكلها تماماً وبدا طبيعياً، هو أحد أقناعي البوم ولا شكّ أن السبب يعود لكونه مصنوعاً من ريش بلون برونزي وأسمر مائل للصفرة، فامتزج مع لون بشرتها البرونزية بشكلٍ جميل. غطت غفارة الريش كتفيها تقريباً، وانسدلت لتصل حتى منتصف ظهرها من الخلف، والمنحنى البارز بين ثدييها من الأمام. طلب منها السيد ستيفن أن تمسح أحمر الشفاه وقال لها وهي تخلع القناع:

Twitter: @ketab_n

– حسناً، ستكونين بومة الرفيق. ولكن أرجو أن تسامحيني يا «او» سنأخذك إلى هناك بعد أن نشدّ وثاقك. ناتالي، اذهبي واحضري السلسلة من درج مكتبي العلوي، هناك، ستجدين سلسلة وبعض الكلّابات.

عادت ناتالي مع السلسلة والكلابات التي استخدمها السيد ستيفن ليفتح الحلقة الأخيرة، ويثّبتها في الحلقة الثانية التي كانت ترتديها «او» بين ساقيها، ومن ثم أغلقها ثانيةً. يبلغ طول تلك السلسلة والتي كانت مشابهةً للرسن المستخدم مع الكلاب، بل إنها كانت رسناً حقاً، أربعة أو خمسة أقدام، وينتهي أحد طرفيها بشريط جلدي. بعد أن وضعت «او» القناع، طلب السيد ستيفن من ناتالي أن تمسك بطرف السلسلة وتدور حول الغرفة. دارت ناتالي في الغرفة ثلاثة مرات، جارةً خلفها «او» عاريةً لا ترتدي شيئاً سوى ذلك القناع.

– حسناً، قال السيد ستيفن، لقد كان الرفيق على حق. يجب إزالة كل الشعر. ولكن يمكننا القيام بذلك غداً. أما الآن، فلا تخلعي السلسلة عنك.

وفي ذلك المساء، ولأول مرة برفقة جاكلين، وناتالي، ورينيه والسيد ستيفن، تناولت «او» العشاء عاريةً، ووضعت رسنها بين ساقيها، فالتفّ حول مؤخرتها وأحاط بخصرها. كانت نورا وحدها من تقدّم الطعام، فحاولت «او» أن تتجنب نظراتها. قبل ساعتين، كان السيد ستيفن قد استدعاها.

ما سبّب الذهول والصدمة للفتاة في صالون التجميل في اليوم التالي، أكثر من الحلقات الحديدية والعلامات الزرقاء والسوداء الموجودة على الجزء الخلفي السفلي من جسدها، كانت آثار التمزق الحديثة. كانت

Twitter: @ketab_n

«او» قد ذهبت إلى هناك لتزيل الشعر الزائد، و لم يكن ينفع إخبارها بأن إزالة الشعر باستخدام الشمع، والتي تعتمد على وضع الشمع على الجسد وتركه ليصبح صلباً بعض الشيء، ومن ثم إزالته فجأةً لكي ينزع الشعر، ليس أشد إيلاماً من التعرّض للضرب بالسوط. و لم تنفع محاولتها أن تعيد الحديث عن الأمر مرات ومرات ولا أن تحاول تفسيره، إن لم يكن ذلك قدرها، فعلى الأقل يليق بهاأن تبيّن أنها سعيدةٌ به. لم يكن هناك من طريقة أفلحت في طمأنة الفتاة وتبديد شعور الاشمئزاز والرعب في داخلها. بل كل ما نجحت «او» في تحقيقه في محاولاتها تهدئة الفتاة، كان أن جعلتها تنظر إليها بعين الرعب، لا بعين الشفقة كما كانت الحال في بداية الأمر. لم يغير من مجرى الأمور ما قدمته «او» من عظيم شكر لها، بعد أن غادرت تلك الكوة الصغيرة، حيث كانت جالسة مباعدةً بين ساقيها كصقر، وكأنها تستعد لممارسة الحب، و لم تغير حقيقة أنها قدّمت لها بقشيشاً سخياً من شيء، فحين انتهى الأمر، شعرت «او» كأنها لا تغادر المكان بملء إرادتها، بل تُطرد منه عنوة. ولكن لم تهتم لذلك؟ كان جلياً بالنسبة لها أن هناك تضارباً كبيراً بين ذلك الشعر الذي كان يغطي بطنها والريش الذي يغطي قناعها، وكان جلياً أن مظهرها الأقرب للتمثال المصري الذي يمنحها إياه هذا القناع، والذي يبرزه أكثر كلٌ من كتفيها العريضين، وخصرها الضيق وساقيها الطويلتين، وهذا يتطلب منها أن يكون جسدها ناعماً للغاية. وحدها تماثيل الآلهة البدائية صوّرت بكل فخرٍ ووضوح، ذلك الجزء من البطن الذي تظهر شفتاه العلويتان والحدود الدقيقة لتلك الشفتين السفليتين. هل سبق لأحدهم أبداً أن رأى حلقات في الشفتين السفليتين؟ تذّكرت «او» تلك الفتاة ذات الشعر الأحمر ممتلئة الجسد، التي أخبرتها بأن سيدها لم يكن يستخدم الحلقات الموجودة على بطنها إلا لكي يربطها

Twitter: @ketab_n

بطرف السرير، وأنه كان يطلب منها أن تزيل كل الشعر عن جسدها لسبب واحد فقط، لأن ذلك يجعلها تبدو عاريةً تماماً. خشيت «او» أن تثير غضب السيد ستيفن، إذ كان يستمتع بأن يسحبها إليه من خلال الوبر الذي كان يغطي تلك المنطقة أسفل بطنها، ولكنها كانت مخطئة: شعر السيد ستيفن بأنها قد أصبحت أكثر جاذبيةٍ على هذا النحو، وبعد أن وضعت القناع، وأزالت كل أثرٍ لأحمر الشفاه في الأعلى والأسفل من الشفتين العلويتين والسفليتين، وأصبحت شاحبةً على نحو غير معتاد، بدأ يداعبها بلطفٍ شديد، بتلك الطريقة التي يداعب فيها المرء حيواناً يسعى إلى ترويضه.

لم يخبرها شيئاً عن المكان الذي كان ينوي اصطحابها إليه، أو عن وقت المغادرة، كما أنه لم يخبرها من سيكون ضيوف الرفيق، ولكنه جاء إليها، وقضى ما تبقى من فترة بعد الظهيرة مستقلياً إلى جوارها، وحين حلّ المساء طلب أن يُؤتى بالعشاء إليهما في الغرفة.

غادروا المنزل قبل ساعة من حلول منتصف الليل في سيارة البويك. لفّت «او» نفسها بمعطف تسلق جبال بني اللون، وارتدت قبقاباً خشبياً. أما ناتالي فكانت ترتدي سترةً سوداء وبنطالاً أسود واسعاً وتحمل في يدها الرسن، الشريط الجلدي الذي كان مثبّتاً بتلك الأسوارة التي كانت ترتديها في معصمها الأيمن. كان السيد ستيفن يقود السيارة. القمر كان بدراً تقريباً، وقد أنار الطرقات عاكساً عليها ما هو أشبه بنقاط الثلج، كما أنه أنار الأشجار وبيوت القرى التي كانوا يمرون عبرها، محوّلاً كل شيءٍ آخر إلى الأسود القاتم الأشبه بلون الحبر الهندي. هنا وهناك، تناثرت مجموعاتٌ من الناس، مع أن الوقت كان متأخراً، عند عتبات الأبواب المواجهة للشارع، وقد شعروا بأن مرور تلك السيارة المغلقة

Twitter: @ketab_n

(لم يكن السيد ستيفن قد أخفض الجزء العلوي) قد أثار فضول الجميع. بدأت بعض الكلاب تنبح. على ذلك الجانب من الطريق الذي كان يستحمّ بضوء القمر، بدت أشجار الزيتون وكأنها غيومٌ فضية تطوف على علو ستة أقدام عن سطح الأرض، وبدت أشجار السرو وكأنها ريشٌ أسود. لم يكن هناك شيءٌ حقيقيٌ في هذا المنطقة التي حولها الليل إلى أمرٍ خيالي، لا شيء حقيقيٌ سوى رائحة الخزامى والقصعين. استمر الطريق صعوداً، ولكن طبقة الهواء الحارة ذاتها كانت لا تزال ماثلة فوق الأرض. أزاحت «او» معطفها عن كتفيها. لم يكن يمكن لأحدٍ رؤيتها، لم يكن هناك أي أحد في الطريق.

وبعد مضي عشر دقائق، وبعد أن طاف حول غابة من البلوط الأخضر على طرف هضبة، بدأ السيد ستيفن يقود بسرعةٍ أبطأ قبل أن يصل إلى جدارٍ طويل حُفر في داخله مدخل كراج، فُتح مع اقتراب السيارة. ركن السيارة في فناءٍ أمامي قريب وكانوا يغلقون البوابة خلفه، وبعدها ترجل وساعد ناتالي و«او» على النزول طالباً من «او» أن تترك معطفها وقبقابها داخل السيارة.

وحين دفع الباب ظهر دير تزيّنه أقواسٌ من زمن عصر النهضة من ثلاث جهات، أما الجهة الرابعة فهي امتدادٌ لفناء الدير المرصوف بالبلاط. كانَ هناك الكثير من الناس الذين يرقصون في الساحة وعند الترّاس، وقليل من النساء اللواتي يرتدين أثواباً مكشوفة من الأعلى، وعددٌ كبيرٌ من الرجال الذين يرتدون معاطف بيضاء، وكانوا جالسين إلى جوار طاولات تنيرها بعض الشموع. كانت المسجلة موجودةً في الجهة اليسار من المعرض، أما في الجهة اليمنى فكان هناك طاولةٌ تحمل العديد من المأكولات.

Twitter: @ketab_n

كان ضوء القمر قوياً كضوء الشموع، وحين لامست أشعته «او» والتي كان يدفعها إلى الأمام ظلها الأسود الصغير، ناتالي، توقف كل من لحظ وجودها عن الرقص، ونهض الرجال عن طاولاتهم. شعر الصبي المسؤول عن وضع التسجيلات الصوتية بأن أمراً غريباً قد حدث، وحين استدار ليتبين الأمر، ذُهل بمنظر «او»، فأوقف الموسيقى في الحال. توقفت «او»، وكان السيد ستيفن يقف خلفها على بعد خطوتين دونما حراك، وكان ينتظر أيضاً.

طالب الرفيق أولئك الذين تجمهروا حول «او» بالابتعاد فوراً، وطلب مصباحاً ليتمكّن من تفحصها عن قرب.

– من تكون" بدأ الجميع يتساءل. ومن تخص؟

– إنها تخصكم، إن أردتم ذلك، قال هذا ثم طلب من «او» وناتالي مرافقته إلى زاوية التّراس، حيث وُضع مقعدٌ حجري يستند إلى حائطٍ منخفض، وتغطيه بعض الوسائد.

حين جلست «او» هناك، مسندةً ظهرها إلى الحائط، ويداها متدليتان فوق ركبتيها، وجلست ناتالي على الأرض إلى يسارها، حاملةً في يدها الأغلال التي تكبّل «أو». استدار إليهما. بدأت «او» تبحث عن السيد ستيفن، لكنها لم تعثر عليه بدايةً ثم شعرت بوجوده، كان مستنداً على كرسي في الزواية الأخرى من التّراس. كان بإمكانه رؤيتها وقد زرع ذلك في داخلها بعضاً من الطمأنينة. عادت الموسيقى وعاد الجميع إلى الرقص. وأثناء ذلك، اقترب زوجٌ أو أكثر من «او» متظاهرين بأنهم فعلوا ذلك مصادفةً، ولكن بعد مضي فترةٍ وجيزة، اقترب منها زوجٌ عمداً، وكانت المرأة هي من تقود الطريق. حدّقت بهما «او» بعينيها

Twitter: @ketab_n

اللتين جعلهما الريش داكنتين، عينان واسعتان تماماً كعيني الطائر الليلي الذي كانت تمثّله، كان التنكر ناجحاً للغاية حتى أنه لم يخطر في بال أحدٍ أن يتحدّث إليها، كما هو متوقع، وكأنها بومة حقيقية، صماء عن لغة البشر، لا تفهمها.

منذ منتصف الليل وحتى حلول الفجر، الذي بدأ يضيء السماء الشرقية حوالي الساعة الخامسة، والذي بدأ معه القمر يشحب وينسحب ليختفي من جهة الغرب، جاء إليها عددٌ من الناس، بعضهم لمسها وتحلّقوا حولها في دائرةٍ عدة مرات، وفي مرات أخرى باعدوا ركبيتها ورفعوا السلسلة، محضرين معهم واحدةً من حاملات الشمع ذات الغصنين والمصنوعة من الفخار- كان في مقدورها أن تشعر باللهب المتصاعد من الشموع وهو يلامس فخذيها من الداخل- وذلك ليروا كيف كانت مشدودة الوثاق.

اقترب منها كذلك أمريكيٌّ ثمل، ضاحكاً، وأمسك بها، ولكن حين أدرك بأنه قد أمسك جزءاً من جسدها الذي ثقب لتثبت به الحلقات الحديدية والأغلال، شعر بأنه قد صحا من سكرته حالاً، ورأت «او» في وجهه تعابير الرعب والقرف ذاتها التي رأتها على وجه الفتاة في صالون التجميل، فاستدار وابتعد.

اقتربت منها كذلك فتاةٌ في مقتبل العمر، عارية الكتفين، كانت ترتدي طوقاً من اللؤلؤ، وفستاناً مماثلاً لتلك الفساتين التي ترتديها الفتيات عادةً حين يذهبن إلى أولى حفلاتهنّ، وتضع على خصرها زهرتين معطرتين برائحة الشاي، وحذاءً ذهبياً في قدميها، وقد جعلها الفتى الذي كان يرافقها تجلس إلى يمين «او». ثم أمسك بيدها وجعلها

Twitter: @ketab_n

تداعب صدر «او»، الذي بدأ يرتجف تحت أثر لمسات الأصابع الباردة الناعمة تلك، وجعلها كذلك تلمس بطنها، والسلسلة، والحفرة التي تمر عبرها، نفذت الفتاة كل أوامره دون أن تقول شيئاً، وحين أخبرها الشاب بأنه ينوي أن يفعل كما فُعل بـ «او»، لم يبدُ عليها أي أثرٍ للدهشة. رغم أنهم استخدموا «او» بهذه الطريقة، ورغم أنهم جعلوا منها أداة عرض، أداة توضيح، لم يتحدّث إليها أي شخصٍ مباشرةً. هل كانت إذن مصنوعة من الشمع أو الحجارة، هل كانت مخلوقة من عالم آخر، وهل كانوا يعتقدون أنه لا جدوى من التحدّث إليها؟ أم أنهم لم يجرؤوا على فعل ذلك؟

بعد حلول ظهر اليوم التالي، وبعد أن غادر جميع الراقصين، أيقظ السيد ستيفن والرفيق ناتالي التي كانت نائمة عند قدمي «او»، ثم ساعدا الأخيرة على النهوض، واقتاداها إلى وسط الفناء، حيث فكا وثاقها وخلعا قناعها، ثم ألقيا بها على الطاولة وامتلكاها الواحد تلو الآخر.

وتروي بعض القصص التي بقيت طي الكتمان بأن «او» قد عادت إلى رواسي حيث هجرها السيد ستيفن.

وهنا نهايةٌ أخرى لقصة «او» تقول بأن «او» حين شعرت بأن السيد ستيفن ينوي هجرانها، قالت بأنها تفضّل الموت على ذلك. فمنحها موافقته على ذلك.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

تتناول (قصة او) حياة مصوّرة أزياء فرنسية تُكنى بـ «او»، حُبست في أماكن غامضة وتعرضت لشتى أنواع التعذيب والإذلال والعنف والعبودية، في سبيل إثبات إخلاصها لعشيقها رينيه. في مجريات القصة، تُعصب عيناها وتربط بالسلاسل وتجلد بالسوط وتثبت الحلقات في جسمها وتوسم بالنار.

كتبت أوري هذه الرواية إهداءً لبولان بشكل خاص، رداً على ملاحظته الارتجالية، أن ليس بمقدور امرأة أن تكتب رواية جنسية حقيقية، إلا أن السبب الملّح لذلك كان خوفها من أن تنتهي العلاقة التي تجمعهما، حيث كشفت هذا السر فيما بعد (لم أكن في ريعان صباي، ولم أكن باهرة الجمال، وبما أن الجانب الجسدي لم يكن كافياً، لذا كان من الضروري أن أجد أسلحة أخرى، للأسف، تلك الأسلحة كانت تدور في رأسي).

كُتبت هذه الراوية كتحد لجرأة بولين، (لقد كتبتُها له وحده، إرضاءً له، ولكي أستحوذ على تفكيره)، هذا ما قالته لـ بولا ربابورت مخرجة الفيلم الوثائقي، قبل وفاتها بفترة قصيرة.

ISBN 978-2-843090-97-4